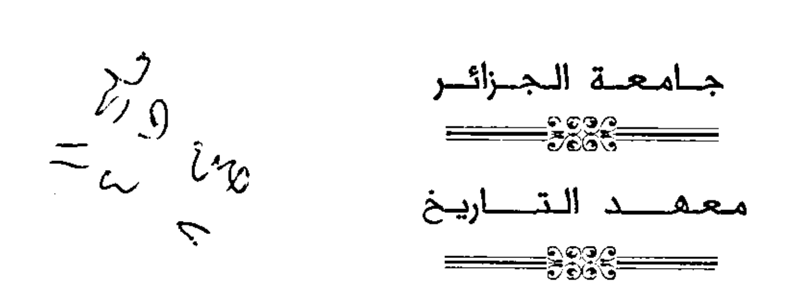
جامعة الجزائر

معهد التاريخ



دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية

(رسالة ماجيستير في التاريخ الاسلامي)

يقدمها :

الطالب قويدر بشار

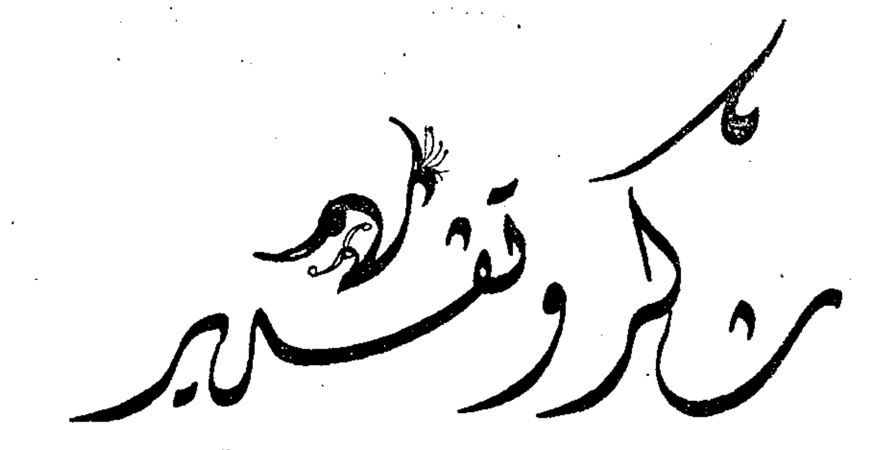
تحت إشراف :

الاستاذ الدكتور موسى لقبال

أستاذ التاريخ الاسلامي والوسيط بجامعة الجزائر

السنة الجامعية 1985 ـ 1986


بسم الله الرحمن الرحيم



بهذه المناسبة لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى المشرف الدكتور موسى لقبال لتوجيهاته السديدة، وإرشاداته القيمة التي لولاها لما أضحى هذا البحث على هذا المستوى من الاعداد.

الطالب

قويدر يشار

مـــــقد مـــــة

يعتبر تاريخ الخلافة الاموية (41ـ 132هـ/ 661ـ749م) ،مرحلة هامة في بناء الدولة الاسلامية ،استمرت فيها عملية الاحتكاك الحضاري بين حضارة العرب ومبادئ الاسلام اولا وبين حضارات الشعوب الاخرى من جهة ثانية .

وكان دور الامويين هاما في تنظيم هذا التفاعل الحضاري وتوجيهه لخدمة بناء الدولة وارساء قواعد نظامها ،وتظهر اهمية ذلك بشكل عام في ما شيد من مشاريع حضارية واساليب وتنظيمات الخلفاء الامويين التي انتهجوها للتكيف مع مقتضيات الظروف المستجدة في انماط الحياة الناتجة عن عمليات الامتزاج البشري بعد توسع حركات الفتح الاسلامي في عهدهم .

وبغض النظر عن نجاحهم في اكثر المسائل حيوية واخفاقهم في بعضها الا ان الثابت انها واجهتهم مظاهر معقدة ،طرحت على ادارتهم قضايا حضارية ذات ابعاد متشعبة لم يكن بوسعهم وقتذاك التغلب عليها .

ان عجزهم هذا قد سمح لبعض المؤرخين باعطاء ارائهم ،حول اسبابه والظروف التي تحكمت فيه ،انطلاقا من محاولتهم تفسير عوامل نجاح خصومهم العباسيين في القضاء عليهم سنة 132هـ/ 749م .

واظن ان جل هذه الاراء قد ركزت على اخفاق الامويين في تحقيق المساواة بين العناصر الاجتماعية المكونة لدولتهم ،بدعوة ان خلفائهم العباسيين قد نجحوا في ذلك اثناء تنظيم الثورة وبعدها .

ولذلك فقد شاع وصف الخلافة الاموية بالدولة العربية " لاعتمادها على العنصر العربي في التسيير ، وفرضها اللغة العربية كأداة للتعامل والتعبير في كامل انحاء الدولة .

ويبدو ان هذا الاختصاص قد كان سبب تحامل الكثير من المؤرخين على الامويين حيث ،وصفوهم باشنع الاوصاف ،ونسبوا اليهم التعسف والظلم وسوء التدبير واتهموهم

بمخالفة الشريعة الاسلامية لاحتقارهم العناصر غير العربية في دولتهم
واحسب ان أول من طرح هذه التفسيرات ، جماعة من المستشرقين
امثال " فرانسيسكو غابريلي (Francesco GABRIELI) (1) ، برنار لويس Bernard LEWIS (2) ودومنيك سوردل Dominique SOURDEL (3) وغيرهم (4) •
وتبعهم في ذلك كثير من المؤرخين العرب (5) •

(1) Frèncesco GABRIELI .LES ARABES. Traduit de l'Italien par Marie De Wasmer. Editions Buchet Chastel. Paris 1968. PP. 99-100.
(2) Bernard LEWIS. LES ARABES DANS L'HISTOIRE. Traduit de l'anglais par Annie Mestritz, éditions de la Baconnière, Neuchatel Suisse 1958. PP. 68-68.
(3) Dominique SOURDEL. HISTOIRE DES ARABES. Que sais-je? N°27068 Deuxième édition corrigée. Imprimerie des Presses Universitaires de France. Paris .1980. PP. 45-49.
(4) Van Volten.

Welhausen

(5) — فانفلوتن ،
السيادة العربية والشيعة والاسرائليات في عهد بني امية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، العالم الاسلامي ، ط2 ، القاهرة ، 1965 / ص 21 ، 35 ، 134 ، 135
فالهوزن ،
تاريخ الدولة العربية الى نهاية العصر الاموي ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة سلسلة الالف كتاب ، القاهرة ، 1958م ، هنا وهناك • وللكتاب ترجمة اخرى بعنوان ، السيادة العربية وسقوطها ، قام بها يوسف العش ، دمشق ، 1956م
ي بلياييب ،
العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة انيس فريحة ، الدار المتحدة للمشر ، بيروت ، 1973م ، ص 242 — 251 •
فيليب حتي ،
العرب تاريخ موجز ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968م ، ص 103 — 104
جورجي زيدان ،
تاريخ التمدن الاسلامي ، بدون تاريخ ، ج 4 ، (ص 90 ، 99 — 101 •
محمد بديع سريف ،
الصراع بين الموالي والعرب ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1954 ، هنا وهنا ك =

بمخالفة الشريعة الاسلامية لاحتقارهم العناصر غير العربية في دولتهم
واحسب ان اول من طرح هذه التفسيرات ، جماعة من المستشرقين
امثال " فرانسيسكو غابريلي (Francesco GABRIELI) (1) ، برنار لويس Bernard LEWIS (2) ودومنيك سورديل Dominique SOURDEL (3) وغيرهم (4) .
وتبعهم في ذلك كثير من المؤرخين العرب (5) .

(1) Frèncesco GABRIELI .LES ARABES.Traduit de l'Italien par Marie De Wasmer.Editions Buchet Chastel.Paris 1968.PP.99-100.
(2) Bernard LEWIS.LES ARABES DANS L'HISTOIRE.Traduit de l'anglais par Annie Mestritz,éditions de la Baconnière,Neuchatel Suisse 1958.PP.69-68.
(3) Dominique SOURDEL. HISTOIRE DES ARABES.Que sais-je?N°27068 Deuxième édition corrigée.Imprimerie des Presses Universitaires de France.Paris .1980.PP.45-49.
(4) Van Volten.

Welhausen

(5) - فانفلوتن ،
السيادة العربية والشيعة والاسرائليات في عهد بني امية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، العالم الاسلامي ، ط2 ، القاهرة ، 1965 / ص21 ، 35 ، 134 ، 135
فالهوزن ،
تاريخ الدولة العربية الى نهاية العصر الاموي ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة سلسلة الالف كتاب ، القاهرة ، 1958م ، هنا وهناك . وللكتاب ترجمة اخرى بعنوان ، السيادة العربية وسقوطها ، قام بها يوسف العش ، دمشق ، 1956م
ي بلياييب ،
العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة انيس فريحة ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، 1973م ، ص 242 - 251 .
فيليب حتي ،
العرب تاريخ موجز ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968م ، ص 103-104
جورجي زيدان ،
تاريخ التمدن الاسلامي ، بدون تاريخ ، ج 4 ، (ص 90 ، 99 - 101 .
محمد بديع شريف ،
الصراع بين الموالي والعرب ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1954 ، هنا وهنا ك =

آراء

واحسب ان هؤلاء المؤرخين كانت متسرعة ،وغير موضوعية في اغلب جوانبها اذ ما لبثت ان ابطلها باحثون تطورت اصول النقد لديهم (1) ،فضلا عن اكتشافهم لمخطوطات(+) ،اضافت للمادة التاريخية رصيدا هاما من المعارف ،ساهمت في توضيح رؤيتهم وتصحيح اخطاء سلفهم .

- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي ، (العصر العباسي) ،ط 7 ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1964م ،ج2 ،ص12–19 .
علي حشن خربوطلي ،تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ،طبعة دار المعارف ،مصر 1959م ،هنا وهناك .
احمد المختار العبادي ،في التاريخ العباسي والاندلسي ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،1972م ،ص14– 16 ،ومحمد حلمي محمد احمد ،الخلافة والدولة في العصر العباسي ،ط2 ،مكتبة الشباب ،القاهرة ،1398هـ/1978م ،ص36–77 .
احمد علبي ،انتقال السلطة من الامويين الى العباسيين ،مجلة(الباحث)،السنة الثالثة ،عدد 15 ،1981م ،ص 117– 138 .
ثريا حافظ عرفة ،الخرسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الاول ،ط 1 ،جدة، 1402هـ/1982م ،ص11

(1) -CL,CAHEN? Poin de vue sur la revolu tion Abbasside, (RevueHistorique) , 1963.

كلود كاهن ،تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية ،ترجمة بدر الدين قاسم ،ط 2 ،دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت ،1977 ،43 ومابعدها .

- Daniel DENNET دانييل دينيت

الجزية والاسلام ،ترجمة فوزي فهيم جاد الله ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت بدون تاريخ ،ص29 ،ومابعدها .

Hamilton GEEB. هاملتون جب

دراسات في حضارة الاسلام ،ترجمة احسان عباس وآخرون ،دار العلم للملايين بيروت ،1384هـ/ 1964م ،ص13 .

(+) – انظر الفصل الاول ،نقد المصادر .

وتجب الاشارة هنا ان اغلب المؤرخين المسلمين القدماء لم يعطوا تفسيرات واضحة عن سياسة الامويين تجاه العناصر غير العربية المسمين عادة باسم " الموالي "(+) ولا نقدا لاساليبهم عدا جمعهم لروايات كثيرة عن الادوار البارزة التي حدثت في عهدهم ، وان ذكروا بعض التعاليق فهي رغم قلتها لا تعدو ان تكون نابعة من ميولهم المتعددة مع احتمال تصرفهم في انتقاء الروايات وتجنب ما من شأنه المساس بشعور العباسيين وهم على رأس السلطة وقت كتابة هؤلاء المؤرخين للاحداث (1) .

والرائج ان اشكالية القضايا الإجتماعية المعقدة التي اعجز الامويين حلها ، و كانت سببا في تعجيل سقوطهم لم يطرحها المؤرخون الا في المناطق الفارسية وفي " خراسان " (++) ، على وجه التحديد ، بدعوة ان سكان هذا الاقليم كانت فكرة الشعور القومي والاعتزاز بالكيان متفشية في اغلب عناصرهم ، لذلك كانوا يناصبون العداء والكره لسياسة الامويين العربية ، وانهم على اسقاطهم ، واقامة الخلافة العباسية اثر سلسلة من المعارك استمرت فيما بين عامي (129 ـ 132 هـ / 746 ـ 749 م)

(+) ـ الموالي ، حسب مايفهم من مصادر التاريخ الاسلامي هم المسلمون من غير الجنس العربي ، وبمقتضى الشريعة الاسلامية كان هؤلاء الموالي يقفون على قدم المساواة التامة مع اخوانهم العرب المسلمين ، والمؤكد ان اغلب الموالي قد نظموا حياتهم الاجتماعية بانظمامهم الى اقوى القبائل العربية للتأقلم مع عاداتهم واساليبهم في الحياة ، ولذلك كان نشاط هؤلاء الموالي اشد الارتباط بالقبائل العربية التى انظموا اليها . انظر ما سيأتي ،

(1) ـ اغلب مصادر التاريخ الاسلامي كانت قد كتبت من طرف مؤرخين عاشوا في فترات من تاريخ الخلافة العباسية ، وكان بعضهم موظفين في اداراتها انظر ، الفصل الاول ، نقد المصادر

(++) ـ خراسان ، يعطي الجغرافيون العرب القدماء حدودا واسعة جدا لمنطقة خراسان تكاد تشمل اغلب مناطق شرقي الخلافة العباسي فهي " ... اول حدودها مما يلي العراق ، ... وآخر حدودها مما يلي الهند " ، انظر الفصل الثاني ، ص

واظن ان هذه التفسيرات التي تبناها بعض المستشرقين ، وتبعهم في ذلك بعض المؤرخين العرب ، كانت وليدة نمو التيار القومي في اوروبا وتاثر هؤلاء بافكارهم .
والملاحظ ان مثل هذه الافكار الجاهزة قد فشل توظيفها لتفسير التاريخ الاسلامي في العصور الوسطى للاسباب التالية :

اولا : ان منطقة خراسان وغيرها من اقاليم الحدود الشرقية للخلافة الاموية قد عرفت هجرات عديدة للعناصر العربية بهدف الاستقرار هناك منذ الفتح الاسلامي لها ، واستقطبت امتزاجا عربيا اعجميا بشكل ملحوظ ، يجعل من حفاظ السكان على نقاء انتمائهم العنصري والولاء له امرا صعب الحدوث (1) .
وان اغلب الانتفاضات التي كانت تقوم بين الحين والآخر ضد السياسة الاموية كانت تعبيرا عن استياء يشترك فيه العرب والعجم دفاعا عن مصالح مادية لا صلة لها بالجانب العنصري .

ثانيا : ان اتهام المؤرخين للامويين بالوقوف امام التطور لحرمانهم العناصر غير العربية من الرقي وتحسين اوضاعهم الاجتماعية ، كان يعتمد على تصرفات شاذة لبعض الشخصيات الاموية املته ظروف معينة دون النظر الى القواعد الاساسية التي تتحكم في النظام الاموي ، واعطاء البعد الشامل لطبيعة الاحداث .
والواضح ان تلك التصرفات الشاذة كانت مرتبطة بخلفيات تاريخية وحضارية لا دخل لها بادارة الخلفاء الامويين واساليب نظامهم ، وتتجلى في محاولات

---

(1) ـ انظر ، شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية في القرن الاول ، نشاتها ، مقوماتها ، تطورها اللغوي والادبي (دراسة جامعية) ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1398هـ/ 1978 م ، ص72 ـ 113 ، عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم الاموي في خراسان (الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي 96 هـ ـ 127هـ) ، (رسالة جامعية) ، قدمت لجامعة الازهر ، مكتبة الجامعة ، قسم الرسائل ، الفصل الاول خاصة ، سامية توفيق عبد الله ، الحياة السياسية في خراسان من بداية العصر العباسي حتى اواخر القرن الثالث الهجري ، (رسالة جامعية) ، القاهرة ، 1399هـ/1979 م ، الباب الاول ، ثريا حافظ عرفة ، الخرسانيون ودورهم في العصر العباسي الاول ، (رسالة جامعية) ، ط1 ، جدة ، 1402 هـ/ 1982 م ، ص19 ، صالح احمد العلي ، استيطان العرب في خراسان ، مجلة (كلية الآداب ـ بغداد) ، سنة 1959 ، عبد العزيز الدوري ، نظام الضرائب في خراسان ، مجلة (كلية الآداب ـ بغداد) ، سنة 1964م ص75 ـ 88 .

الامتزاج بين المفاهيم القبلية ومبادئ الاسلام في الدولة الاسلامية الحديثة وقد كانت العملية تتناسب طردا ، اذ كلما تغلغلت المبادئ الاسلامية وتمثلتها العناصر الاجتماعية في سلوكها واساليب حياتها كانت نزعة التاكيد على المساواة بين افراد المجتمع خير ضمان للفرد وللجماعة في الكيان الاجتماعي (1) .

واذا كان العنصر العربي قد اعتز بالفروسية والجهاد شعورا منه بحمل رسالة الى البشرية ، واحتقر الحرف وما يتصل بها ، التى كانت تمارس من طرف " الموالي " فان ذالك لم قاعدة عامة يحكم من خلالها على نظام دولة باكمله .

والمؤكد تاريخيا ان العناصر غير العربية في تاريخ الخلافة الاموية قد افسح لها المجال في المشاركة في اكثر المسائل الحيوية ذات الاتصال المباشر بامن الدولة ومستقبلها ، مما يدل على النظرة الموضوعية لطبيعة التطور الاجتماعي عند الامويين .

ثالثا ، ان شعارات الثورة العباسية التي كان من ضمنها الاصلاح الاجتماعي والمساواة بين الافراد لا يمكن ان تفسر بانها تعبير عن نزعات قومية ضد سيادة العنصر العربي كما اشاعها " المستشرقون " ومن تبعهم بقدر ما تعني من جهة تفهما اكثر من طرف العباسيين للمشاكل الاجتماعية المطروحة ، ومن جهة اخرى دليلا على وعيهم للعناصر التي يمكن الاعتماد عليها في تحقيق النصر على خصومهم الامويين .

رابعا ، ان اثبات اصالة الثورة العباسية

---

(1) — انظر ، عبد العزيز الدوري ، مقدمة في صدر الاسلام ، ط2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1381 هـ / 1961 م ، ص 66 وما بعدها ، و ، نجده خماش ، الادارة في العصر الاموي ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1400 هـ / 1980 م ، ص 342 .

وعروبتهـــا (1) ،لا ينفي الدور المشترك الذي مثلته بقية العناصر غير العربية للوصول الى الامال المنشودة في المساواة واعادة الاعتبارات لكل فرد بغض النظر عن انتمائه العرقي .

خامسا ،اذا كانت المشكلة الاجتماعية في الخلافة الاموية قد نالت هذا الاهتمام في احداث سقوط الامويين ونجاح العباسيين ،فالى اي مدى كان تفهمها في المرحلة الاولى من تاريخ الخلافة العباسية ؟ هل كان العنصر العربي وغير العربي اللذان اشتركا في العداء ضد الامويين قد اتفقا في جوهر التطور واساليبه بعد القضاء على الخصم المشترك ؟ ام كان هدف وطموح كل طرف يتعارض مع الآخر؟ وهل كان العباسيون الذين ارتقوا الى سدة الخلافة على حساب الامويين اوفياء في تطبيق المبادئ التي نادوا بها ، ام كانت شعارات اقتضتها مصلحة العمل الثوري .

وسوف نسبق الاحداث عند ما نقول ان العباسيين قد تداركوا المساوئ الجوهرية لكثير من القضايا الاجتماعية وباشروا الاصلاح ،لكن المسالة المطروحة ،هل استطاعوا ان يوفقوا في مزج العناصر البشرية في دولتهم ضمن منظور اجتماعي هادف حقق التطور الحضاري للمجتمع الاسلامي ام لا ؟ واذا كانوا قد وفقوا فما نسبة هذا التوفيق ؟ والى اي مدى وصل ذالك ؟ واخيرا هل سار هذا

---

(1) ـ انظر الدراسات الكثيرة التي قام بها الدكتور " فاروق عمر " من اجل اثبات عروبة الثورة العباسية في ، طبيعة الدعوة العباسية (98ـ132هـ) ، ط1 ،دار الارشاد ،بيروت، 1389 هـ/ 1970 م ص83 وما بعدها . نصوص تاريخية ساعد اكتشافها على اعادة الدعوة العباسية ،مجلة (كلية الاداب الرياض) سنة 1969 م ،تقديم جديد للثورة العباسية ،مجلة (جمعية التاريخ الاثرية) سنة 1969 م ،الثورة العباسية ثورة عربية ،مجلة الشرطة) ،عدد 20/19 ، سنة 1971، م و ،عبد العزيز الدوري ،مقدمة هنا و هناك ، و ، نبيه عاقل ،بعض احداث الدولة العباسية والدور العباسي الاول من خلال منظور عنصري واقتصادي واجتماعي ،مجلة (دراسات تاريخية) ،عدد 4، سنة 1401 هـ / 1981 م ،ص 63ـ 84 .

التطور بشكل طبيعي ومتواتر ام افرز اعراضا جديدة منتظرة اوغير منتظرة ، وما فعاليتها في التطور الاجتماعي والسياسي للدولة ؟ وكيف واجهه الخلفاء العباسيون ؟

ان الاجابة عن هذه الاشكاليات ليست سهلة في نظري الا بالاعتماد على تتبع الاحداث وفحص الروايات التاريخية فحصا دقيقا خلال الفترة الاولى على الاقل من حكم العباسيين .

ولتجنب طابع التعميم والابتعاد عن الحكم السريع على الاحداث، رايت ان اتتبع طبيعة التطور الحضاري للخلافة العباسية في مرحلتها الاولى ، باخذ نموذج من كيان العنصر غير العربي في المجتمع العباسي ظهر لي من خلال تطور اسرة " البرامكة " في العصر العباسي ، واخترتها موضوعا لرسالتي تحت عنوان "دور اسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية" .

ان الموضوع الذي اتناول البحث فيه لا يهدف فقط الى تتبع اخبار هذه الاسرة ذات النفوذ الواسع في عهد الخليفة "هرون الرشيد" (170 - 193 هـ/ 786 - 808م) وانما يمثل ايضا حلقة من حلقات التاريخ الاسلامي في المشرق التي برز فيها التفاعل الحضاري و الرقي الاجتماعي بشكل واضح .

ولموضوع الدراسة اتصال وثيق بهذه الحلقة ولعله النموذج الواضح الذي يمثل من جهة اوجه برامج الاصلاح في الخلافة العباسية الجديدة ومن جهة اخرى يوضّح فعالية العناصر غير العربية في مجتمع العباسيين وآثار ذلك في تاريخ الدولة الاسلامية .

ويرجع سبب اختياري "اسرة البرامكة" موضوعا لدراستي الى عدة اعتبارات يمكن ايجازها فيما يلي ،

اولا ، ان هذه الاسرة تمثل اهم مظاهر من مظاهر التطور السياسي والاجتماعي الذي دعا اليه الراي العام وقتذاك .

ثانيا ، انها تمثل بوضوح مبلغ ما وصلت اليه العناصر غير العربية في تطور الدولة الاسلاميه .

ثالثا ، ان البرامكة يعبرون بدقة عن مظاهر الافرازات الخطيرة على مستقبل السياسة العربية والاسلامية في تاريخ الخلافة العباسية التي انفتحت لكثير من العناصر البشرية المختلفة وابدت تسامحها وتعاونها معها في ظل الحرية والمساواة .

وتجب الاشارة الى ان دور افراد هذه الاسرة في الدولة لم يبرز بشكل فعال الا في احداث الثورة العباسية ضد الحكم الاموي في المشرق ، حين اندمجوا في تيارها ، ثم اخذوا في التكيف مع المعطيات الجديدة للمجتمع الاسلامي في ظل العباسيين حيث تدرج افرادها في الوظائف السامية للدولة حتى صاروا يمثلون " دولة داخل دولة " ثم اختفوا فجأة من مسرح الاحداث

ان هذا الاختفاء غير المتوقع لهذه الاسرة وما ترتب عنه من احداث لا يزال يطرح غموضه وتناقضه على المؤرخين بسبب تشتته بين تيارات متناقضة في رؤيتها لبرنامج الاصلاح الاجتماعي المتبع من قبل العباسيين خلال المرحلة الاولى من تاريخ حكمهم .

وللباحث في مواقف المؤرخين من اسرة " البرامكة " وانقسامهم مابين مادح مستفيض في المدح وقادح مغرق في القدح ، خير دليل على عدم وحدة الموقف وتباين الآراء وفق الاهواء

والمصالح التي كانت ممثلة من طرف العناصر البشرية ، في المجتمع العباسي .

ويبدو ان محاولة الاعتماد على المصادر التاريخية التي اولت عنايتها بمسالة اسرة "البرامكة" ، لا يؤدي الا الى نتائج سطحية ومتضاربة ، ولذلك فانه من الضروري فحص الروايات التاريخية والادبية للعصر العباسي الاول ، وملء فراغها بالاستنتاجات المنطقية المجردة من النظرة العنصرية لحوادث التاريخ حتى نصل الى تفسيرات موضوعية لطبيعة احداث هذه المرحلة الهامة من تاريخ الدولة الاسلامية .

وقد كان هذا المنهج هو الذي حاولت القيام به اثناء تحضيري لهذه الرسالة ، فمهدت لها بمقدمة تناولت فيها اشكالية الاحتكاك الحضاري ومحاولات الامتزاج البشري بين عناصر المجتمع الاسلامي واثره في تاريخ الخلافة الاموية ، حتى اتمكن من متابعة اجراءات الخلفاء العباسيين في معالجة هذه الظاهرة وخصصت فصلين تمهيديين ، الاول ، لنقد المصادر والمراجع المعتمد عليها بينت فيه ابرز من ارخوا لهذه الفترة ، ونظمتهم لا على الترتيب الابجدي لاسماء المؤلفين ، وانما على حسب قربهم وبعدهم من تاريخ المرحلة التي ابحث فيها ، واعطيت فكرة عن كل مؤلف لبيان منهجه في كتابته للتاريخ واهمية المادة التاريخية التي اوردها . والفصل الثاني ، خصصته لـ "اصل اسرة البرامكة وعلاقتها بالدولة الاسلامية" ، بحثت فيه الجذور التاريخية لهذه الاسرة ومجمل نشاطها قبل الاسلام ، وموقفها منه ، وعلاقتها بالخلفاء حكام الدولة الاسلامية ، والادوار التي لعبها افراد هذه الاسرة

سواء في عهد الخلفاء الراشدين او الامويين .
اما الفصل الثالث فقد عنونته ب "علاقة اسرة البرامكة بالخلافة العباسية" بينت فيه صلة هذه الاسرة بأحداث الثورة العباسية ، وكيف اوصلتهم الى خدمة الخلفاء العباسيين "ابي العباس والمنصور والمهدي والهادي" حتى اتمكن من توضيح وفهم اسباب وصولهم الى قمة الوظائف السامية في الفترة الموالية التي خصصت لها الفصل الرابع تحت عنوان "دور اسرة البرامكة السياسي في عهد الرشيد" ، وهي فترة نفوذهم الواسع في ادارة الدولة التي مكنتهم من القيام بادوار هامة في مختلف المجالات ، لذا لك حاولت توضيح هذه الادوار في الفصلين الخامس والسادس ، ويحمل الفصل الخامس عنوان "دور اسرة البرامكة في الميدان الاقتصادي" ، بينت فيه تحكم البرامكة في بيت المال وتصرفهم في اموال الدولة واجراءاتهم في ميدان الضرائب والاصلاح الزراعي .
اما الفصل السادس فقد حاولت فيه توضيح "دور اسرة البرامكة في الميدانين الاجتماعي والثقافي" وذلك عن طريق تحديد مستواهم الاجتماعي وحياتهم اليومية موضحا طبيعة علاقتهم بالمجتمع والمهام التي كانوا يمارسونها تجاههم خاصة تجاه جمهور المثقفين والشعراء الذين نالوا حظا كبيرا من اهتمام البرامكة ، مما كان له الاثر الكبير في نمو الحركة الثقافية في عهدهم .
وحاولت توضيح الدور الذي مثله البرامكة على المستوى الحضاري للدولة الاسلامية في الفصل السابع الذي يحمل عنوان "البرامكة بين الشعوبية والزندقة" تناولت فيه سعي هذه الاسرة الى تقريب العناصر الفارسية واستلائهم على المناصب الحساسة في الدولة من اجل ازاحة

العناصر العربية وذلك ضمن مخطط خطير هدد كيان الدولة حين تطرف هؤلاء الفرس تطرفا كبيرا وذلك باحياء تراثهم القديم وبعث مذاهبهم المخالفه للعرف العربي والدين الاسلامي •

وخصصت الفصل الاخير وهو الثامن "نكبة البرامكة وآثارها تكلمت فيه عن الاجراءات والتجاوزات التي مارسها البرامكة ،وكانت سببا في اثارة الشكوك حولهم وادت في الاخير الى سقوطهم•

وانهيت رسالتي بخاتمة ، اوجزت فيها مجمل استنتاجاتي عن دور هذه الاسرة ،وعلاقة ذالك بطبيعة التطور لمجتمع الخلفاء العباسيين الاوائل •

وفي الاخير ،يجدر بي ان اتوجه بالشكر الجزيل الى المشرف الاستاذ الدكتور "موسى لقبال" الذي اخرج معي هذه الرسالة بهذا الشكل ، وقد بذل مجهودا كبيرا في تقويم اخطائي ،كما له الفضل في تركيز معلوماتي بتوجيهه لي الى القيام برحلات الى الخارج تمكنت خلالها من الاتصال بعدة مؤرخين متخصصين اذكرمنهم ، الدكتور "عبد المنعم ماجد" استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس بالقاهرة ،والدكتور "محمود اسماعيل" ،استاذ التاريخ الوسيط والاسلامي بنفس الجامعة ايضا ،والدكتور "محمد جمال الدين سرور" استاذ التاريخ بجامعة القاهرة ،والدكتور "عصام الدين عبد الرؤف" استاذ التاريخ الاسلامي بنفس الجامعة ايضا •

وفي جامعة الازهر ،كلية اللغة العربية قسم التاريخ والحضارة اتصلت بـ "الدكتور حسين محمد عبد الله المنيدي" استاذ التاريخ الاسلامي ،والدكتور "السيد محمّد الدقن" استاذ التاريخ العربي الحديث بنفس الجامعة ايضا

وخلال زيارتي للجمهورية العربية السورية للاستفادة بما في مكتبة "الظاهرية" ، و"المركز الثقافي الفرنسي" من مخطوطات ومصادر ،تمكنت من الاتصال بـ "الدكتور سهيل زكار" الذي وضع مكتبته الخاصة تحت تصرفي خلال اقامتي الطويلة بـ "دمشق" وفي قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة دمشق ،تقابلت مع الدكتورة "ليلى الصباغ"

والدكتور " محمد خير فارس" الاستاذ بنفس الجامعة ، الذي اتصلت عن طريقه بالدكتور "عبد العزيز الدوري " المختص في التاريخ العباسي والاستاذ بالجامعة الاردنية الآن .

وفي الاخير اشير الى ان زياراتي لم تقتصر على الاتصال بالاساتذة الاجلاء فحسب ، بل كانت بالنسبة لي فرصة للاطلاع على اغلب الرسائل الجامعية التي تدور مواضيعها حول التاريخ الاسلامي عامة والتاريخ العباسي خاصة ، ويرجع الفضل في ذلك الى الاستاذ المشرف الدكتور " موسى لقبال " الذي طلب مني استقراء كاملا وفحصا دقيقا لما كتب في تاريخ العباسيين في جامعات المشرق العربي ، وقد استفدت من ذلك كثيرا ، سواء من حيث المادة التاريخية او طرق البحث في التاريخ الاسلامي .

ومهما يكن فان فضل الزيارات العلمية لا يمكن انكاره في تبادل الخبرات وتوضيح وجهات النظر في مختلف المعارف ، خصوصا عندما يتعلق الموضوع باعادة بناء التاريخ العربي الاسلامي وتفسيره تفسيرا جديدا .

ولذلك اتوجه بالشكر الجزيل الى كل الاساتذة الكرام واخص منهم الاستاذ المشرف الدكتور " موسى لقبال " الذي ساعدني كثيرا من اجل اخراج هذا العمل بهذه الصورة التي ارجوا ان تنال قبولا لدى الاساتذة الباحثين .

والله ولي التوفيق .

الفصل الأول

نقد المصادر

لم يكن دور اسرة البرامكة في الخلافة العباسية قاصرا على فترة حكم " هرون الرشيد " كما هو الشائع • بل تجاوز ذلك الى حد مشاركتهم كثيرا من مراحل احداث الخلافة العباسية وعصرها الاول •

والمؤرخون المعاصرون قاموا بجهود معتبر في دراسة التاريخ الاسلامي ، وأولوا عناية خاصة بالخلافة العباسية بفضل ما توفر لديهم من مصادر تاريخية • والمؤكد ان هناك ثغرات عديدة في تاريخ العباسيين ، لا تزال غامضة تنتظر من يوضحها سواء باكتشاف مصادر جديدة او بتفسيرات موضوعية مقنعة •

ولذلك فان عملية تقييم دور البرامكة لا يقتصر على المؤلفات التى اعتنت باحداثها فحسب ،بل بالاعتماد على اهم مصادر التاريخ والأدب التي تهتم باخبار العصر العباسي الاول ومنها : ـ

1ـ (مؤلف مجهول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)

"تاريخ الخلفاء" ، نسخة مصورة عن مخطوطة وحيدة بموسكو ،قام بالتعليق عنها ونشرها المستشرق الروسي كرايزنوفيج KRAYZNOUVIKH في مجلد خاص في اطار سلسلة اثار الاداب الشرقية • والمخطوطة في عمومها تتكلم عن احداث الدعوة العباسية وادوارها ،ثم الثورة ضد بني امية ، ونشاط اول وزير في الخلافة العباسية " ابي سلمة خلال " ، وتشير الى سوء التفاهم والنزاع على السلطة التى واكبت بروز شخصيات متصارعة مع نجاح الثورة العباسية • وقد انفردت المخطوطة بذكر ما كان من عداوة بين " مسرور " خادم الخليفة الرشيد و " جعفر البرمكي " وزيره التي ادت الى نكبة البرامكة ، والملابسات الى راجت حول ذلك •

2ـ لمؤلف مجهول ، اخبار العباس وولده :

وهي مخطوطة كانت محفوظة في مكتبة الاوقاف ببغداد يعتقد الدكتور عبد العزيز الدوري انها لـ " محمد بن صالح النطاح " على اعتبار انه اول من كتب عن العباسيين ،والكتاب في جوهره تاريخي مرتب على نظام النسب ،اعتمد فيه المؤلف على رواة ثقاة ممن عاصروا الاحداث ،ويلاحظ انه موالي للعباسيين وان بعض المؤرخين اللاحقين اعتمدوا عليه دون الاشارة اليه ،وبالنسبة الى موضوعي استعنت به في تحديد نشاط " خالد البرمكي "

العسكري مع قادة الثورة العباسية في معاركهم ضد الجيش الاموي •

3- روزبـــــــة بن داذويـــه المعروف بـ" عبد الله بن المقفع" (106- 142هـ
724-759م) :

رسالة الصحابـــة ، وهي عبارة عن تقرير نقدي لرجال الادارة في عهد الخليفة العباسي الثاني " ابي جعفر المنصور" وضع لي هذا التقرير صورة اعوان الخليفة ومستشاريه ، وهـــي صورة تعكس المشكلات الى كانت تواجه الخلفاء الاوائل بخصوص امكانيات وخبرات المستخدمين الاداريين في الخلافة الجديدة كما ان مقر مقترحات كاتب هذه الرسالة تظهر بوضوح بذور الرقي الاجتماعي والتطور السياسي الآخذ في النمو في تاريخ الخلافة العباسسة •

4- ابن خياط (خليفة بن خياط الليثي) ، ت 240هـ / 855م ،

تاريخ خليفة بن خيـــــاط :- وهو كتاب لم يكن معروفا الا ان نشره مؤرخان معاصران كل على حدى ، الدكتور سهيل زكار في سوريا ، والدكتور اكرم العمري في العراق ، وميزة المؤرخ ابن خياط لا تظهر في انتقائه للمواضيع فحسب ، بل في التركيز على الروايات المهمة ، فضلا عن انفراده بمعلومات لا نجدها عند غيره مثل الانظمة الادارية واسماء القائميـــن بها في الدواوين المركزية او الاقليمية وهي ظاهرة يصعب وجودها لدى غيره من مؤرخـي ذلك العصر مما ساعدني على معرفة العديد من مظاهر واساليب الادارة العباسية اثنا تتبعي لنشــــــاط البرامكة •

5- ابو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) ت 182هـ / 731م ،

كتاب الخــــــراج ، وهو كتاب ذو اهمية بالغة لما لصاحبه من مكانة لدى الخليفة الرشيد ووزرائه البرامكة ، حيث ظل يشغل منصب القضاء لمدة طويلـــة فضـــــلا عـن

اشـــــ رافه على تعليم أحد كبار أفراد البرامكة " جعفر البرمكي .
ويفهم من عنوان الكتاب أنّه خاص بالشؤون المالية للدّولة .
ولعلّه أوّل كتاب يتناول هذا الجانب بحيث يبين بوضوح مدى اهتمامات
الخليفة هرون الرشيد من خلال الاستفسارات التى طرحها على
القاضى أبى يوسف فى هذا الكتاب .
وقد استفدت من ذلك فى عدّة قضايا أهمها :
أ ـ حالة الأنظمة الادارية المختصّة بالشؤون المالية وتصرفات
القائمين عليها حتى عهد الخليفة الرشيد وذلك مكّنني من تقييم
سياسة البرامكة فى المجال الاقتصادى على وجه الخصوص .
ب ـ اهتمام الخليفة هرون الرشيد بالشؤون الحيويّة فى دولته ،
واجتهاده فى ايجاد حلول للمسائل المطروحة فى عهده ، وهو اهتمام
يفنّد الادّعاءات الشائعة حول هذا الخليفة التى تدّعى تركه لمقاليد
الحكم والتسيير بيد وزرائه البرامكة طيلة فترة خلافته .
7ـ ابن النديم أبو الفرج محمد) ،(ت 235هـ/ 2369هـ/ 849م او 850م) :
الفهرست ، من أهم المصادر العربية فى تاريخ العلوم العربيّة
الاسلامية بحيث يمثل موسوعة ثقافية لكل العلوم المعروفة فى عصر
المؤلف ، وهو عبارة عن سجل لمختلف المصادر التى وصلته أو سمع عنها ،
اعتمد على خطة منظّمة فى التعريف بكلّ علم من العلوم ثمّ المؤلفين الذين
صنّفوا كتبا فى ذلك العلم مع سرد عناوينها ، وأحيانا يعطي وصفا
دقيقا لمحتويات الكتب التى يتحدّث عنها . وقد أفادني فى التعليق على
أهميّة نشاط أفراد أسرة البرامكة فى الميدان الثقافى فى

ضلا عما أورده من أخبار حول رجال الفكر ومؤلفاتهم

ممن كانوا على اتصال بالبرامكة .

8_الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ،(150هـ - 255هـ/ 767م - 986م) :

البيان والتبيين . وصاحبه من أشهر الكتاب بالعربية وأغلب

مؤلفاته تتعلق بجوانب هامة في التاريخ الحضاري للدولة الاسلامية

لانجدها في كتب التاريخ . وقد أستغلت مؤلفاته في الدراسات الأدبية ،

ولم يستفد المؤرخون بمادته رغم أهميتها .

أمدني الجاحظ بالعديد من المعلومات حول موضوع الدور الثقافي للبرامكة

خاصة يحي البرمكي وابنه جعفر ، كما ضمّن كتابه مجموعة من أقوالهما

البيانية مبينا في ذلك اعجابه بمستواهما الثقافي فضلا عن

وجود عدة ابيات شعرية منتقاة من جود ماقيل فيهم .

9_ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) ،(ت 276هـ/ 889م) :

امام اللغة العربية والأخبار التاريخية ، له تآليف عديدة استعنت

منها: عيون الأخبار : وهو كتاب في التاريخ الحضاري ونماذجه

في الحضارة العربية الاسلامية ، أفادني في محاولة تتبع التطور

الاجتماعي وأساليبه في ظل الخلفاء العباسيين الأوائل ووزرائهم

خاصة عصر نفوذ البرامكة ودورهم الثقافي الاجتماعي في الدولة

كتاب المعارف : وهو كتاب أشبه بدائرة المعارف فيما يخص

تاريخ الدولة الاسلامية حتى عصر المؤلف ، ميزته احتواؤه على

الكثير من الروايات الجديدة وانتقاؤه لها من رواة ثقاة فضلا

عن ابداء رأيه في بعض المسائل التي يتحدث عنها وهي ظاهرة نادرة

الموجود لدى مؤرخي ذلك العصر ، الذين ظلوا على الحياد فيما يوردونه من روايات مما يلاحظ على بعضها من التناقض وصعوبة التصديق .

- كتاب الامامة والسياسة : - منسوب اليه ويعتبر من أقدم المصادر التى تناولت هذا الجانب ، ساعدنى فى تقييم الأنشطة الحضارية والادارية للفترة الأولى من تاريخ الخلافة العباسيّة خاصة عهد " هرون الرشيد " ، وقد خصص المؤلف فى كتابه هذا الصفحات لتفاصيل العلاقة بين " جعفر البرمكي " و " العباسة " أخت الرشيد ، واعتبر هذه العلاقة المشبوهة من أهم الأسباب التي أدّت الى قتله على يد الرشيد .

10 البلاذرى أحمد بن يحي ، (ت 279 هـ/ 892م :

مخطوطة أنساب الأشراف ، وهو كتاب عام للتاريخ الاسلامي ، سجل المؤلف أحداثه وفق نموذج جديد يجمع بين منهجيّة

كتب الطبقات والتراجم ، وكتب الأخبار والأنساب حدّد فيه البلاذرى ، الأحداث التى وقعت لكل خليفة ، مع وجود عناوين فرعية للحوادث الهامة " أمركذا " ، مع مراعاة التسلسل التاريخي للأحداث فى أغلب الأحيان ، ويستفاد من مادّة هذا المؤلف اهتمامه بالعنصر العربي والدور الذى كان يلعبه فى ادارة الخلافة العباسيّة مما يجعل فكرة سيطرة الفرس على الادارة منذ بداية تاريخ العباسيين محل شك ، وبخصوص دور البرامكة يلاحظ أن المؤلف قد ركز فى حديثه على الدور الذي كان يقوم به الخليفة الرشيد ليبين أنه كان على اطلاع بكل مايجرى فى دولته ، عكس ما ادّعيه بعض المصادر

الاخرى من ان هذا الخليفة قد ترك شؤون ادارته بيد وزرائه البرامكة •

ب ـ فتوح البلدان ، من اقدم المؤلفات العربية ، لا يقتصر فيه الكاتب على احداث الفتح الاسلامي للاقاليم كما يتبادر الى الذهن من خلال العنوان ، بل يسترسل في ذكر ما طرأ من تغيرات في هذه الاقاليم بعد الفتح ، تصل احيانا الى عصره ، وميزته في ذلك اعتماده على اكثر الروايات دقة •

11 ـ ابن طيفور (ابو الفضل بن ابي طاهر) ، ت 280هـ / 893م ،

بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، يبدو فيه المؤرخ حسن الاطلاع وذلك بانفراده ببعض الروايات الهامة ، وميزة الكاتب ترجع الى انه من اوائل الكتاب الذين تحدثوا عن التاريخ المحلي ولذلك يعد كتابه أكثر دقة وتركيز من غيره خاصة الاحداث الجارية في عاصمة العباسيين بغداد •

12 ـ الدينوري (ابو حنيفة احمد بن داود) ، ت 282هـ / 895 ،

الاخبار الطوال ، من اقدم كتب التاريخ واوثقها ، وهو تاريخ عام تنتهي الاحداث فيه عند سنة 227هـ / 842م • ميزة الكاتب انه من اقرب المؤرخين الى احداث الموضوع التي اتناولها بالبحث ، ورغم اهمال الكاتب لبعض الروايات الهامة والاسانيد الطويلة وميله للسرد الروائي فان مادته تبقى ضرورية خصوصا وانه اعتمد على مصادر تعتبر مفقودة لحد الآن مثل كتاب " الخلفاء الكبير" لـ " ابي بكر المعتصم " وكتاب " التاريخ على السنين " لـ " ابي عبد الرحمان " المتوفى عام 209هـ / 825م •

13ـ اليعقوبي (أحمد بن اسحاق) ، (ـ 284هـ/ 897م) :
من أسرة كتاب دواوين الخلافة العباسية مما مكّنه الاطلاع على الأحداث من مصادرها الأساسيّة ، اعتمدت على كتابه
أ ـ البلدان، وهو في الجغرافيا التاريخية ، ومن أقدم المصادر التي اعتمدت عليها حول هذا الموضوع ،
ب ـ التاريخ ، وهو موجز تاريخي على نسق التاريخ العالمي ، حتى سنة 259هـ/ 872م ، اهتم فيه بالجوانب الحضارية قدر اهتمامه بغيرها ، أفادني بما كان يسجله في خاتمة عهد كل خليفة أسماء الشخصيات البارزة التي لعبت الادوار الهامة في حكمه ، منتقيا في ذلك الرائج من الروايات مع اهمال الاسناد لذكر مصادره في بداية كتابه ، وأهم ما تميز به " اليعقوبي " ايراده لبعض الرسائل والخطب التي تعتبر اليوم من أهم الوثائق في اعادة تفسير التاريخ الاسلامي ورغم عروبة هذا المؤرخ وميوله الى " العلويين " الا أنه التزم جانب الحياد في مناسبات، أثناء حديثه عن " البرامكة " عكس مالاحظه عند بعض المؤرخين الفرس ،
14ـ ابن المعتز (عبد اللّه بن محمد المعتز باللّه) ، (247هـ/296هـ/ ـ 861م ـ 909م) : طبقات الشعراء ، كتاب ضخم يبحث في تراجم الشعراء ، ومن أهم المصادر المصريّة في الحياة الفكريّة للعهد العباسي ، يتضمن العديد من الأفكار الجديدة حول نشاط البرامكة في الميدان الثقافي ، وقد أمدّني بنماذج حيّة عن المجالس الفكرية التي كانت تعقد باشراف أسرة البرامكة ، وركّز على الشعراء المنقطعين اليهم

وارد في ذلك بمجموعة من قصائدهم التي نظموها في البرامكة ،
وميزة كتابه أن ما تخيّره المؤلف من شعر عن البرامكة كان من النماذج
النادرة التي لا يعرفها الاّ الخاصّة . وأهمل في ذلك مجموعة القصائد
المتداولة عن هذه الأسرة أسوة بمنهج تبنّاه حين عهد على نفسه
الاّ يذكر الاّ النوادر من الأشعار التي قيلت عن الخلفاء العباسيين
أو وزرائهم .

15+ الطبري (أبو جعفر بن جرير) ، (224هـ - 310هـ/ 838م - 923م)
تاريخ الرسل والملوك . . . أهم مصدر جامع لتاريخ الخلافة العباسيّة
على الاطلاق ، اتّبع فيه صاحبه طريقة المحدثين بذكره لأغلب
الروايات عن الحادثة الواحدة وباسنادها ، الشيء الذي يسمح
للباحث بامكانية
المقارنة لاستخلاص الحقائق التاريخيّة .
وتعتبر مادّة هذا الكتاب ورواياته من أوثق المصادر وأكثرها
التصاقا بالموضوع .
ولعلّ أهم ما يؤاخذ عليه هذا المؤرخ ضمور النّقد عنده ،
مما سمح للمؤرخ — ابن خلدون — في مقدمته الشهيرة
أن ينتقده انتقادا لاذعا فيما يخص رواياته عن نكبة البرامكة وقصة
العلاقة المزعومة بين العباسة وجعفر البرمكي .

16 ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) ، (246هـ - 328هـ - 940م) :
العقد الفريد ، موسوعة أدبية وحضاريّة هامّة ،
خصّص للبرامكة وأخبارهم عناية كبيرة ، وانفرد ببعض الرّوايات خاصّة
فيما يتعلّق بموضوع الدّور الثقافي والاجتماعي لهذه الأسرة .

17 ـ الأزدي (أبو زكريا يزيد) ،(ت 334هـ/ 945م) :
تاريخ الموصل ، قام بتحقيق ودراسة هذه المخطوطة الدكتور علي حبيبة ، ويظهر من العنوان أن الكتاب مختص بجوانب تاريخية لمنطقة الموصل الا أن المتتبع للحوادث المسجلة فيه يجد المؤلف يسترسل في بيان ما يتعلق بالموصل فيتكلم عن الادارة المركزية في بغداد وعلاقتها بالأقاليم ، وهي أحيانا معلومات لم يسبق لها أن ذكرت في المصادر المهتمة بالتاريخ العام للخلافة العباسية ، وقد استفدت منه في بعض الروايات المتعلقة بنشاط البرامكة السياسي وأثره .

18ـ الصولي (محمد بن يحي) ،(ت 335هـ/ 946م) :
الأوراق في أخبار آل العباس ، صاحب هذا الكتاب من كبار علماء اللغة والأدب العربي ، تميز باحترامه للاسناد في أكثر الروايات الهامة ، ويلاحظ من خلال كتاباته عن دور أسرة البرامكة انه متعاطف معها الى حد كبير بدليل أن أغلب كلامه عنها خصصه للأعمال الايجابية التي مارسوها ، ونادرا ما يشير الى ما يمس بسمعتهم أو يشكك في تصرفاتهم .

19ـ المسعودي (علي بن الحسين) ،(ت 345هـ/ 956م) :
أ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لايهتم المؤرخ في هذا الكتاب بالتسلسل التاريخي للأحداث قدر اهتمامه بالموضوعات والنماذج الحضارية التي لفتت انتباهه . وأهمية كتابه تظهر اساسا في اعتماده على بعض المصادر النادرة التي تعتبر لحد الآن ،

مفقودة ككتاب "أخبار العباسيين" لأحمد بن يعقوب الرازى الذى توفى عام 300هـ/ 812م . وكتاب "التاريخ وأخبار الخلفاء من العباس . وقد أفادنى بمادة جيدة حول أخبار البرامكة ، اذ يعتبر من أهم المؤرخين اللذين تحدثوا عن أصل البرامكة حين تكلم عن النوبهار " معبد البرامكة" ،
كما إنفرد بذكر معلومات تتعلق بعلاقة البرامكة بالدولة الاسلامية قبل الخلافة العباسية . وأما فى العهد العباسي فقد خصص لهذه الأسرة عنوانا مستقلا سماه " جملا من أخبار البرامكة" تحدث فيه عن نشاطهم وأورد عدة قصائد قيلت فى مدحهم ورثائهم . ويلاحظ أن المسعودى كان متعاطفا مع البرامكة ، ولا يخفي ميله اليهم بدليل انتقائه لجل الروايات التى تمجد هذه الأسرة ولم يبد اعتراضا على أى رواية رغم عدم مطابقتها الواقع أحيانا .
ب - التنبيه والاشراف : اتبع في هذا الكتاب طريقته الأول فى نسق الموضوعات ، مع شى من الايجاز ، ميزته هذا التركيز على الروايات المتعلقة بالخلفاء وطرقهم فى معالجة المشاكل المطروحة فى عهدهم . استفدت منه فى تحليله لتاريخ الوزارة وتطورها فى العهد العباسى ، كما يلاحظ أنه اتبع طريقة " اليعقوبى" فى تذييل عهد كل خليفة بذكر أهم من اشتغلوا فى ادارته .
20 الجهشيارى (أبو عبد الله محمد) 331هـ/ 943 : .
كتاب الوزراء والكتاب ، أقدم وأشهر مؤلف - لحد لآن - فى تاريخ تطور النظم الادارية للدولة الاسلامية ومن أهم مصادر

المؤرخين الذين جاؤوا بعده .

استفدت منه فى تتبع تطور ادارة الخلافة العباسية حيث أسهب الكاتب فى ايراد مختلف الروايات المتعلقة بالكتاب والوزراء وغيرهم من المستخدمين الاداريين ، وقد نال البرامكة فى كتاب الوزراء اهتماما خاصا ، لذلك يعد من المصادر المعول عليها فى هذا الموضوع . وفضلا عن ذلك تميز الكاتب بالحياد فى أكثر المسائل التى تحدث عنها .

21- الأصبهانى (على بن الحسين) 284هـ - 356هـ/ 897م -967م :

أ- الاغاني وهو تاليف ضخم فى 24 مجلدا ضمنه صاحبه تراجم لاغلب الشعراء والمغنين ، والمعروف عن هذا المصنف أنه يهتم بالأدب بدرجة أولى بينما هو فى الواقع يعطى صورة واضحة يمكن اعتبارها وصفا للحياة الاجتماعية والفكرية للمجتمع العباسى خاصة ، ولا يكاد يخلو مجلد من ذكر حادثة أو رواية تتصل بأحد أفراد أسرة البرامكة خصوصا وأن علاقة هؤلاء بالشعراء والندماء كانت مضرب الأمثال .

ولئن كان الكاتب متهما بذكر غرائب الأخبار الأأن ذلك لا ينفي القيمة التاريخية لهذه الموسوعة الأدبية ، وقد استفدت منها فى كثير من المسائل المتعلقة بدور البرامكة فى الميدانيين الاجتماعي والثقافي .

ب- مقاتل الطالبيين وهو مجلد ضخم - فى حوالي 850 صفحة - يتحدث فيه باسهاب عن علاقة العباسين بأبناء عمومتهم العلويين - الشيعة .، ويعد هذا المصدر - لحد الآن - من أهم المصادر حول هذا الموضوع ، أفادني فى تقييم الوضع الدّخلي للخلافة العباسيّة فى الفترة التي أدرسها كما استعنت به لتوضيح علاقة البرامكة بالعلويين . هذه العلاقة التي أشاع كثير من المورخين أنها كانت احدى أسباب

نكبتهم

22- الاصفهاني ،(ابوعبد الله حمزة) ، ت 360هـ/ 979م ،

تاريــخ سنــي ملوك الارض والانبيــاء ، امتاز بالاختصار الشديد ، استفــدت منــه فيما يتعلق بادارة " الفضل بن يحى " في " خراسان " ويبدو من الكتــاب على صغر حجمه انه مؤرخ دقيق يظهر ذلك من خلال انتقائه لمصادر المعلومات التى اختارهــا .

23- الماوردي (ابو الحسن علي بن محمد) ت 450هـ/ 1057م ،

أ- الاحــكام السلطانيــة ، قدم الماوردي هذا الكتاب ،الشكل النظري لواقــع النظام السياسي والاجتماعي للدولة الاسلامية فمكنني من اجراء المقارنة بين النظري وواقع تطور تطور الخلافة في عهد العباسيين الاوائــل ومدى مطابقة اجراءاتهم للشريعــة الاسلاميــة .

ب- قوانين الوزارة وسياســة الملــك ، من أهم المصادر التى كتبت حول موضوع الوزارة ، استفدت منه المصطلحات النظرية التى تطلق على واقع تصرفــات الوزراء ، خاصة فيما يخــص نشاط البرامكــة ، كـ" وزارة التنفيــذ " و " وزارة التفويــض " ، وشروط وحدود كل منهما ومدى علاقة ذلك بالخليفــة

24- الحصــري (ابو اسحق ابراهيم بن علي) ،ت 453هـ/ 1061م ،

زهــر الاداب وثمــر الالباب ، عبارة عن اشتات من متخير الشعر والنثــر وبعض الروايات التاريخية خالية من ابداء الرأي والتعليق فــي اغلــب الاحيــان أخذت منــه بعض ما يتعلق بموضوع نشاط البرامكــة في الميدانيــن الاجتماعــي والثقافــي ،

25- البيهقــي (ابو الفضــل) ،ت 470هـ/ 1077م ،

تاريــخ البيهقــي ، وهو مؤرخ فارسي الاصل لم يكن معروفا لدى قراء العربية الا بعــد تعريبه من طــرف احــد المترجمين وهو" يحــى الخشــاب" (في النصف الثاني من القرن) ،والكتاب ضخــم (800صفحة) ،ويعد من اهم المصادر الفارسية الموالية لاسرة البرامكة ،لاعتبارات عنصرية ،فهو يشيد باعمالهم ويعتبرها من اهم مقومات السياسة ،وقد اولى عناية خاصة بـ" جعفر البرمكــي " حيث اظهره بمظهر

السياسي المحنّك صاحب اليد البيضاء في بناء الادارة العباسيّة اذ بلغ به الجد والتفاني في حب العمل كما يوضّح البيهقي الى حد التوقيع على ألف مظلمة في جلسة واحدة .

أما الفضل البرمكي - في نظره - فقد كان مواليا للحزب العلوي لدرجة أنه كان مستعدا الى التضحية بنفسه على أن يمس أحدا منهم بضرر رغم توصيّة أبيه يحيي " الذى نصحه بضرورة تصفيتهم .

ولا يشك في أن أغلب ما أورده هذا المورخ قد كان من متخير ما قيل في البرامكة من روايات لذلك فان قبولها دون نقد أو مقارنة بما ورد عند غيره لا يوصل الباحث الا الى نتائج متضاربة .

25 . المقدسي (أحمد بن سهل) ، ت 507هـ/ 1113م .

البدء والتاريخ ، تميّز بالاختصار الشديد ، استفدت منه موضوع تطوّر الوزارة في العهد العباسي . أما حديثه عن البرامكة فلا جديد فيه عدا اهتمامه البالغ بقضيّة نكبتهم على يد الرشيد .

27 السمعاني (عبد الكريم بن محمد) ، 506هـ 562هـ/ 1113م . 1167م :

الأنساب ، كتاب ضخم مطبوع طبعة حجريّة ، يبحث في موضوع تتبع أنساب العائلات والقبائل ذات النفوذ السياسي والأدبي في الدّولة الاسلاميّة . استفدت به في الحديث عن آثار البرامكة في الفصل الأخير من رسالتي . . .

28 عبد الملك بن عبد الله) ، ت 608هـ/ 1211م : ليس للكاتب شهرة في ميدان التأليف غير شرحه لقصيدة " ابن عبدون " واعادتها نشرا تحت عنوان كمامة الزهر وفريدة الدّهر " والقصيدة في عمومها تتناول مواضيع تاريخيّة ، نالت أسرة البرامكة من اهتمامه بقدر ما نال الخلفاء العباسيون ، مما يظهر مكانة هذه أسرة لدى مورخي القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادي) ، وقد جاءت في هذه القصيدة عدّة معلومات جديدة عن دور البرامكة ، لذلك كانت هذه القصيدة احدى أهم مصادر ابن خلكان " في كتابه " وفيات الأعيان واليافعي صاحب كتاب " مرآة الجنان " في حديثهما عن أسرة البرامكة وغيرهما .

29- ياقوت الحموي (574هـ - 626هـ/ 1075 م - 1144 م) :
معجم البلدان من أشهر المصادر التي كتبت في الجغرافية التاريخية، وهو عبارة عن معجم لأهم بلدان العالم الاسلامي المعروفة حتى عصره، مرتبة حسب الترتيب الأبجدي .
أمدني بمعلومات هامة عن مدينة بلخ - الموطن الأصلي الأسرة البرامكة - كما فصّل الحديث عن " النوبهار " المعبد الذي كان أجداد البرامكة سدنة له . هذا فضلا عن الاعتماد عليه في التعليق عن أسماء المدن والأماكن الواردة في الرسالة .

30- ابن الفقيه (عبد الواحد بن الحسن) ، (561هـ - 636هـ/ 1166 م - 1238م)
البلدان ، استعنت به في الحديث عن نشاط البرامكة قبل الخلافة العباسية ، وعن مكانتهم لدى سكان منطقة " بلخ " حين كانوا قائمين على خدمة معبد " النوبهار " هذا فضلا عن بعض الروايات القيمة عن نشاط " يحى البرمكي " ، لا يمكن الاستغناء عنها .

31- ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن) ، (555هـ - 630هـ/ 1160م - 1233 م) : الكامل في التاريخ ، تحدث باسهاب عن البرامكة ، وميزة منهجه في الكتابة أنه تصرف تصرفا حكيما في الروايات حيث انتقى منها أشهرها وأقربها الى الوثوق ، كما تجاوز في رواياته عن ذكر سلسلة الاسناد . أهم ما يؤخذ عليه ابن الأثير في كتابه - الكامل - عدم ذكره للمصادر

التى اعتمد عليها فى سرد رواياته . والظاهر أن أغلبها منقولة عن المؤرخ الكبير" الطبرى" فى كتابه" تاريخ الرسل والملوك " الذى أشرت اليه سابقا .

32 ـ الفردوسى أبو القاسم الفردوسى) ،

الشاهنامه قصيدة نظمها الفردوسى حول تاريخ الفرس ويرجع الفضل فى ترجمتها للعربية واعادة صياغتها نشر الى " البندرانى الفتح بن على) 586هـ ـ 643هـ/ 1190م ـ 1245م . والكتاب فى عمومه للتاريخ الفارسي الساسانى حتى سقوط دولة الفرس على يد المسلمين ، وقد خصص صاحب الشاهنامة حديثا مفصلا عن معبد " النوبهار" ومكانته عند الفرس، كما استعنت به فى التعليق عن ايوان كسرى حيث يعتبر أهم من غيره فى مثل هذه المواضيع .

33ـ ابن خلكان (شمس الدين أحمد) (608هـ ـ 681هـ / 1211م ـ 1282م)

وفيات الأعيان ، وهو عبارة عن تراجم لاهم كبار رجال الدولة و أعلام الفكر فى تاريخ الدولة الاسلامية حتى عصره .

استعنت به فى الحديث عن بعض أفراد أسرة البرامكة وفى التعليق عن شخصيات أخرى تعاملت معهم . وميزة كتاب الوفيات" أسلوبه المبسط الذى اتبعه فى التراجم ، و أهم الأحداث البارزة التى ساهموا فيها خاصة فيما يتعلق بالبرامكة حيث يذكر ماوقف عليه من أحوالهم ، وبيان اشتهروا به ومتخير ماقيل فيهم من أشعار ، كما يلاحظ عليه أنه لايخفى ميله اليهم . وقد كان كتاب ابن خلكان " مصدرا هاما لمن جاؤوا بعده من المؤرخين خاصة" مخطوطة ليلوى " أحسن المسالك لأخبار البرامك" التى سيأتى ذكرها .

ويعتقد أن "ابن خلكان" ينحدر من أسرة البرامكة لذلك كان لا يتورع في المبالغة عند ما يتحدث عنهم هذا فضلا عن اعتماده على مصادر ليست في المتناول اليوم مثل كتاب "تاريخ الوزراء" لابن القادسي" المفقود لحد الآن .

34- القزويني (زكريا بن محمد) ، (605هـ - 682هـ/ 1208م - 1283م) : . كتاب آثار البلاد ، يتحدث فيه صاحبه عن أهم المدن في الدولة الاسلامية التي زارها أو وصلته عنها أخبارها . استعنت به في موضوع أهمية مدينة "بلخ" ، ومصير معبد "النوبهار" بعد الفتح الإسلامي للإقليم الشرقية .

35- ابن الطقطقي (محمد بن علي) ، (660هـ - 709هـ/ 1262م - 1309م) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تأليف متوسط الحجم يتحدث عن التاريخ الاسلامي ويركز على أخبار الخلفاء والوزراء . وعلى الرغم من إلتزامه ، كما صرح في مقدمة الكتاب ، بقول الحق الا أنه تمادى في التحامل على الخليفة هرون الرشيد وسياسته ، ولا يخفي أن ابن الطقطقي عرف بميله الكبير للعلويين . أما حديثه عن البرامكة فألبسه مدح واعجاب بمواقفهم لدرجة أنه أورد لهم فصلا خاصا سماه" دولة البرامكة" ووصفهم بالدرة في جبين العصر" . وبخصوص نكبتهم يبدي الكاتب حيرته معتبرا أن ذلك كان خطأ مارسه الخليفة الرشيد ضدهم

36 - الأربلي (عبد الرحمن سنبط) ، (ت 718هـ/ 1318 م) :

خلاصة الذهب المسبوك . أشار الكاتب فيه الى وزارة خالد البرمكي " ودوره فى المجتمع العباسى خلال عهد الخليفة أبى جعفر المنصور " ، وتحدث عن دور البرامكة فى خلافة الرشيد موليا عناية كبيرة بموضوع نكبتهم وصرح أن أسباب ذلك كانت مثار جدل واختلاف حتى عهده . ويلاحظ أن " الأربلي " لم يضف شيئا للموضوع عند نقله لروايات سبق فيها الكثير من المؤرخين .

37 - الذهبي (محمد بن أحمد) ، (673هـ - 748هـ/ 1274م - 1348م) :

العبر فى خبر من غبر ، وهو تاريخ مختصر نقل فيه أشهر الحوادث بايجاز بين دون سند للروايات أو توضيح للمصادر التى ينقل منها ، تكلم باختصار عن البرامكة و أغلب ما قاله مأخوذ من المصادر السابقة .

38 - اليافعي (عبدالله بن أسعد) ، (698هـ - 768هـ/ 1298م - 1367م) :

مرآة الجنان لا جديد فى كتابه عن الموضوع سوى تنظيمه للروايات المتعلقة بالبرامكة دون الاشارة الى المصادر التى ينقل منها ، ويلاحظ عليه ضمور النقد عنده حتى فى الروايات التى يظهر عليها بعدها عن الحقيقة وعن مطابقتها للواقع .

39 - ابن كثير (اسماعيل بن عمر) ، (701هـ - 774هـ/ 1302م - 1376م) :

البداية والنهاية . تأليف ضخم جامع لأهم الحوادث فى التاريخ الاسلامى يتبع نفس منهجية " ابن الاثير " فى كتابه " الكامل " وينقل عنه أحيانا دون الاشارة اليه .

استفـــــدت به فيما يخص نشاط "خالد البرمكـــي" في جيـــش الثورة العباسيـــة وأهـــم تحركات "ابي سلمـــة الخلال" اول وزيـــر للعباسييـــن •

39ـ ابن خلدون (عبد الرحمان) ت 732ـ809هـ/1332ـ1406م •

كتاب العبر وديـــوان المبتـــدأ والخبر فـــي ايام العرب والعجـــم والبربر ومـــن عاصرهم مـــن ذوي السلطان الاكبـــر، وفيه معلومات عـــن تاريـــخ الخلافة العباسيـــة اغلبها منقولـــة عن المصادر التي اشـــرت اليـــها ، وهي فـــي عمـــومها قليلة الاهمية ، بالقياس لما جاء في "المقدمـــة" ، اذ يعتبـــر فيهـــا المـــؤرخ الوحيـــد من بين المؤرخيـــن القدماء ـ المعتمـــد عليهم ـ اذ ابـــدى ابن خلدون اعتراضا تجاه الروايات التاريخيـــة المتعلقـــة باخبار البرامكـــة خاصـــة حـــول فكرة ـ عـــلاقة جعفر البرمكي بالعباســـة اخـــت الرشيـــد •• ، حيث فنّـــد القصـــة واظهـــر معالم ضعفـــــها كما انتقـــد المؤرخيـــن السابقيـــن عنه في قبولـــهم لمثل هـــــذه الروايـــات ، وفضلا عن ذلك استعنـــت به في حديثـــه عن طبيعة وضعيـــة "الموالي" ومكانتهـــم في الدولـــة الاسلاميـــة •

40ـ القلقشندي (شهاب الدين ابو العباس) ت 756ـ821هـ/ 1355هـ/1414م •

مجـــآثر الانافـــة في معالم الخلافة ، تاليف ضخـــم في مجلدات اورد فيه صاحبـــه بعض مايتعلـــق بقضايا الخلافة منـــذ نشأتها اتبـــع فيها اسلـــوب الاختصـــار والدقـــة ، افادنـــي فـــي كلامـــه عـــن نشاط "خالد البرمكي" في عـــهد كل من الخليفتيـــن "ابي جعفر المنصور" و ابنه "المـــهدي" وميـــزة الكاتب اهتمامه بالجانب الاداري للخـــلافة العباسية ، لا في بغـــداد والعـــراق فحسب ، بل في مختلف اقاليم الخلافـــة ، فمكنـــني من استضـــاح صـــوره ادارة الخـــلافة في عهـــد نفوذ البرامكـــــة •

42ـ السيـــــوطي (جلال الدين أبو الفضل) ، ت 849 هـ ـ 1445/911 ـ 1505م)
تاريـــخ الخلفاء ، كتاب مختصر حول اخبار الخلفاء ، اغلب كتاباته عن البرامكة منقولة عن من سبقوه من المؤرخين خاصة المؤرخ المسعـــودي " ، الذي اشرت اليــــــــه ويلاحظ ان السيوطي كان يميل الى الخليفة الرشيد حين يتكلم عن النشاط السياســــي في عهده ، وذلك بارجاع اغلب القرارات الصادرة وقتـــــذاك الي الخليفـــــــة وليس الـــــى وزرائـــــه كما تتدعـــــي المصادر الاخـــرى التي تميـــــل الى صـــف البرامكـــــة •

43ـ ميرخــــاوند (محمد بن محمد خاوند شاه) ت 903هـ / 1498م ،
تاريـــــخ روضـــــة الصفـــا (بالفارسية) (1) ، طبعة حجرية قديمة ، افـــادني ببعض التفاصيل عن نشاط البرامكة ، بيد ان المـــــلاحظ ان اغلبها منقولة عن المصادر المكتـــــوبة بالعربيـــــة كتاريخ الرسل والملوك للطبري ، وكتاب " الكامل " لابن الاثيـــــر ، وميزة الكاتـــب تظهـــر في تعاطفه مع البرامكـــــة مما يعكـــــس وجهـــــة نظر المؤرخين الفرس تجاه هذه الاسرة الفارسيـــــة ذات النفوذ الواسـع•

44ـ خوان داميـــــر (غياث الدين همام الدين) ، ت 941هـ / 1508م ،
دستور الوزراء ، (بالفارسيـــــة) (2) يلاحـــــظ ميله الشديد الى اســـــرة البرامكة حيث لم يـــــورد في كلامـــــه عنهـــــم غير الجوانب الايجابيـــــــة التي قاموا بها او كانوا سببا في حدوثها ، وهو مصدر آخر يعكـــــس وجهة نظـــــر المؤرخيــــن الفرس تجـــــاه هـــــذه الاسرة •

---

(1) ـ (2) ، ساعدني على ترجمـــــة المصادر المكتوبة بالفارسية ، الاستاذ كاظـــــم اصولي استاذ اللغة الفارسية بالحوزة العلميـــــة بدمشـــــق •

-عبد الحليل اليازدي (تبعد عام 926/ 1520م)،
تاريخ آل برمك ، مخطوط كتب في حدود سنة 926هـ/ 1520م• نسخة منه محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم
1342و 1351•

وهو عبارة عن سرد لمختلف الروايات عن اسرة البرامكة ،التي اورد هلا مؤرخون سبقوه ،-نفها اليازدي ورتبها ثم قسمها الى ستة فصول ،خصص الفصل الاول لما قيل عن نشاط اجداد البرامكة في معبد " النوبهار" البوذي ،ثم اتصال برمك بالخليفة الاموي "عبد الملك بن مروان " ،والفصل الثاني وهو عبارة عن ثلاثةروايات تحدث فيها عن نشاط "خالد البرمكي " لم يظف فيه شيئا جديدا ،اما الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن يحى البرمكي وابنه الفضل ،وخصص الفصل الخامس ل " جعفر " واطنب في ذكر علاقته بالعباسة اخت الرشيد كعادة الكثير من المؤرخين الفرس ،وختم كتابه بالفصل السادس تحدث فيه عن نكبة البرامكة مبديا حصرته عليهم ،وواضعا اللوم على الخليفة الرشيد الذي لم يفي لهم حقا ولم يرع لهم حرمة حسب رأيه وهو رأي يشترك معه فيه كثير من الرواة الشعوبيين •

ولا يشك في تعاطف هذا الكاتب مع البرامكة وميله الى تمجيدهم ، بدليل لقتصاره على الروايات التي تطري ذكر البرامكة وتنسب اليهم جليل الاعمال وهذه الروايات كما سنلاحظ لم تكن سوى نتاج حركة شعوبية احست بخيبة املها امام السيادة العربية ونمو سلطانها •

ومهما يكن فان هذا المخطوط يبين بوضوح مكانة اسرة البرامكة في نفوس الرواة و المؤرخين الذين ظلوا معجبين باخبار هذه الاسرة حتى ولو كان بعضها غير مطابق وثبوت بطلانها عند اول محاولة لانتقادها اومقابلتها بالواقع وقتذاك•

46_ الاتليـــدي (محمد ذياب) ت 1100هـ/ 1688م .

اعـــلام الناس بما وقع للبرامكـــة مع بني العبـــاس، وهو كتـــاب متوســـط الحجم لا ينطبق ما جـــاء فيه على عنوانـــه ، حيث يغطـــي فترة طويلة نسبيـــا من تاريخ الخلافة العباسية واهم ما جـــاء فيه تركيزه على عـــلاقة جعفر البرمكـي بالخليفـــة هرون الرشيد ومنادمته لـــه اما ما عدا ذلك فكلـــه حديث عـــن موضـــوع نكبة البرامكـــة ، حيث فصل في جوانبها المتشعبـــة ومزج فيها الواقـــع بالخيال ، ممـــا يعكس الصورة التي وصلت اليها قضية البرامكة في نفوس الرواة و المؤرخيـــن ، والاتليدي فيما يكتبه عن البرامكة لا يتحفظ في بيان اعجابـــه الشـــديد بهم ، حيث وضعهم احيانا في مرتبة اعلى من مرتبة الخلفاء العباسيـــن انفســـهم .

ويعـــد هذا المصدر احد المصادر الهـــامة التي اشاعت قصة البرامكـــة وروجتها في خيال الادباء والقصاصين في الفترة الحديثـــة اذ كان من اهم مصـــدر الاديـــب " جرجي زيدان " في القصـــة التي كتبها عن موضوع علاقة جعفر البرمكـي بالعباســـة اخت الرشيد التي سيرد ذكـــرها .

47_ ابن الوكيـــل (يوسف بن محمد) ت بعد 1114هـ/ بعد 1702م .

احســـن المسالـــك لاخبار البرامـــك ، مخطوط ، وصاحبـــه كاتـــب واديب ، صرح في بداية مخطوطه انـــه اول من افرد تاليفا خاصـــا للبرامكـــة (1) مـــع العلـــم لنـــه ـ كما اشـــارهـــو بنفســـه ـ قد اعتمد على

---

(1) ـ جاء في مقدمة المخطوط ، " ... وكان ممن وصف بها في دولة الاسلام وتوليـــت ماثرهم فيها على السنة الايام اجناس الناس بني برمك وزراء بني العباس ، ومـــع ذلك لم يفردهم احد بالتأليف ، ولا عرفهم حق التعريف ، انما ذكر لهم المؤرخون اخبارا متبددة .. "

Manuscrit Arabe, N° 210 7 de la Bibliothèqùe Nationale (Folio 2 verso).

على مصادر معروفة ومتداولة (1) مثل كتاب " تاريخ الرسل والملوك" للطبري وكتاب "مروج الذهب" للمسعودي ، وكتاب " وفيات الاعيان " لابن خلكان ، ويتضمن المخطوط مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . تحدث في المقدمة بايجاز عن مصالح الوزير واطوار مدلوله في نظام الدولة الاسلامية ، وخصص الفصل الاول لـ "خالد البرمكي " وابنه " يحـــــى " وتحدث في الفصل الثاني عن الفضل بن يحى اما الفصل الثالث فخصصه لـ "جعفر البرمكي " وختم حديثه عن البرامكة بالكلام عن الظروف التي تمت فيها نكبتهم واورد ماقيل فيـــهم من شعر ، والملاحظ ان الكاتب قد قضى على وحدة الموضوع نتيجة محاولته احترام تقسيم الفصول التي التزم اتباعها . ورغم انه حاول سرد تاريخ كل فرد من افراد اسرة البرامكـة الا انه لم يوفق بحكم ارتباط الاحداث ببعضها ، ولذلك فان اغلب ما جاء به كان عبارة عن سرد لمختلف الروايات التي سبق وان ذكرت عن البرامكة دون تمحيص او محاولة انتقاد رغـم غرابة بعضها وبعدها عن المعقول ، ويلاحظ عن الكاتب ميله المبالغ فيه الى البرامكـــة وتاثره بالروايات التي تمجد دورهم في تاريخ الخلافة العباسية ، وهي صورة تعكس بوضوح مدى اعجاب الكثير من المؤرخين والادباء بهذه الاسرة على مر الاجيال حيث ان اغلب الروايات التي اعتمد عليها صاحب هذا المخطوط لا تزيد عن تعداد محاسن اسرة البرامكة وافضالهم كما انها توحي بانتقاد شديد لموقف الخليفة الرشيد من وغيره حيالهـــــم عندما احسوا بتزايد خطرهم على الدولة .

والملاحظ ان هذه الافكار قد ظلت متداولة بين المؤرخين دون محاولة منهم لتمحيصها او الشك في صحتها ، وهي صورة ترفضها الموضوعية التاريخية ، ولا يقبلـــــــها النقد التاريخي الحديث .

---

(1)_ راجـــــــــع ما سبـــــــق .

والى جانب النصوص السابقة ، تناول موضوع أسرة البرامكة

مؤرخون ودارسون محدثون منهم مستشرقون ومهم عرب مسلمون . ويجب

أن أشير فى البداية الى أن بعض المستشرقين الأوائل

من الذين كتبوا فى التاريخ الاسلامي والتاريخ العباسي خاصّة

قد كانوا متأثرين بقصص ألف ليلة وليلة . سأتي ذكرها .

ويعتبرونها تستند على وقائع تاريخيّة ، ولذلك فقد كانت كتاباتهم

عن أسرة البرامكة تتميّز غالبا بالمبالغة وبالبعد عن الواقع

التاريخي أيضا . ولعلّ أول من حاول منهم كتابة تاريخا

الأسرة البرامكة هو: لاهارب " LAHARPE "

الذى ألف مسرحيّة عن البرامكة قدّمت للمسرح الفرنسي عام 1778م

. والتي طبعت فيما بعد لتكون مرجعا للأوروبيين عن

تاريخ هذه الأسرة .[1] . ديك سميري DIXMERIE أولى عناية

خاصّة بقصّة العباسة أخت الرشيد وعلاقتها بجعفر البرمكي

حين تناول الحديث عن طبيعة الأحداث وتطوّرها فى تاريخ

الخلافة العباسيّة فى عهد الخليفة هرون الرشيد[2]

---

(1) La Harpe , Le Barmacide, Tragédie , Paris, 1778.

(2) Dixmérie, Contes philosophiques et moraux , Londres, 17688, 2Tomes, T. 2.

ســاسي ســلفــستر Sacy Silvester ويعتبر أول المستشرقين الذين ساهموا في محاولة توضيح تاريخ هذه الأسرة، وذلك عن طريق نشره لبعض صفحات من كتاب " الفخري في الآداب السلطانية (لابن الطقطقي) سبق الحديث عنه، كما نشر بعض الصفحات من مقدمة ابن خلدون التي تتعلق بموضوع نقد المؤرخين العرب بسبب تصديقهم للروايات الشعوبية التي وضعت بهدف المس بشرف العائلة العربية الهاشمية.(1)

ولاشك أن هذه النصوص وترجمتها الى الفرنسية قد ساعد بعض المستشرقين فيما بعد على وضوح الرؤية حول تاريخ هذه الأسرة التي كانت غامضة وقتذاك،

نرفال جرار Nerval Gerard تحدث عن استمرار اطلاق العامة اسم البرامكة على الذين اشتهروا بالمجون واللهو كما هو الحال في مصر مثلا (2)

1°) - Sacy Silvestre, Chrestomathé Arabes, 2è)ed, Paris, 1826 . 3Tom ,T 1 . PP 1 - 41, T 2 PP.1 6 77, T3. PP. 370 - 411.

2°)- Nerval Gerard, Voyage en Orient , Paris, 1856, 2 Tom .T 1.

كاترمير . *Quatrémere*

وصاحب هذه الدراسة مترجم ومحقق للعديد من المصادر العربية الاسلامية، ومن أهم الاعضاء النشطين في الدراسات الشرقية وأغلب مواضيعه منشورة في " المجلة الآسيوية (J.A). اعتمد في دراسته هذه على المؤرخ " المسعودي " صاحب كتاب " مروج الذهب " المعروف بميله الشديد الى البرامكة .

والدراسة في عمومها تكاد تقتصر على رد وانتقاد هذا المستشرق لآراء ابن خلدون " التي حاول فيها الرد عن ادعاءات المؤرخين الذين اعتبروا قصة علاقة جعفر البرمكي بالعباسة كانت سبب نكبتهم (1)

شيفير : Schefer قدم نقاطا مهمة في تاريخ أسرة البرامكة فضلا عن نشره مخطوطا لـ " عبد الجليل اليازدي : الذي أشرت اليه سابقا .

وقد استفاد منه كثير من المستشرقين في ابحاثهم ودراساتهم عن هذه الأسرة خاصة المؤرخ " بوفا وبرمينك " - اللذين سيأتي ذكرهما (2)

---

1) *Quatremére, Notes sur les Bar macides, (Journal Asiatique), 5ê Srie, T.X.VII? 1861 PP. 106 - 119.*

2) *Schefer, (Cherstomathie Persone), " notes sur l'Histoire des Bar macides " , Paris, 1885 - 1886, T II.*

لان يول Lammepoole (st). (2) " ولافوا La voix (2) "

ويرجع لهما الفضل فى الاشارة المبكرة الى المسكوكات المضروبة

فى عهد " هرون الرشيد " والتى تحمل اسم " جعفر البرمكي " ،

الشيء الذي أمدني بأدلة مادية أثبت من خلالها مدى سيطرة

هذه الأسرة على أغلب المؤسسات الحيوية فى الدولة .

- لويس شيخو " Louis Cheiko أول من اهتم بمصادر تاريخ

أسرة البرامكة . ونظرا لندرة مصادر التاريخ الاسلامي

وقتلذاك وتوزعها بين المكتبات العامة والخاصة

كمخطوطات غير منشورة وغير محققة فان دراسة هذا الباحث

بقيت قاصرة عن توضيح اهتمام

المؤرخين القدماء بالدور الذى مثلته هذه الأسرة

الفارسية الأصل فى تاريخ الدولة الاسلامية . (3)

1°) Lamme - Poole , *Catalogue of oriental coins in the British Museum*, London, 1875 - 1890, 10 Tom, T 1.

- Lanne - poole, *Catalogue of Arabic.Coins in the Kedival librairy*, Caîro , London, 1897.

2°) La voix (H), *Catalogue des monnais Musulmanes de la Bibliothèque national*, Paris, 1897.

(3) - لويس شيخو، كتب عن البرامكة، مجلة (المشرق)، سنة (1898)، جـ1، ص478 .

- كيرن Kern كتب عن الديانة الهندية القديمة "البوذية"، وأشار اعتمادا على مصادر قديمة وهامة الى أن منطقة بلخ - مهد نشاط أجداد البرامكة الديني - قد كانت مركزا هاما للديانة البوذية، كما فصل في الحديث عن الدور "النوبهار" معبد البرامكة - في الحياة العقائدية لشعوب تلك المنطقة (1)

- أدوارد براون Edward (B) يتبسط في الحديث عن الدور البرامكة في نشر الثقافة الفارسية، يشيد بأعمالهم الأدبية التي أشاعوها في المجتمع العباسي خلال فترة نفوذهم الطويلة بيد أن طابع التعميم الذي تميز به كتاب "براون" وأخذه بظاهر الروايات - أغلبها أدبية - جعله يحكم حكما قاسيا ضد الخليفة الرشيد حين عمل هذا الأخير على التخلص منهم ويلاحظ أن هذه الفكرة قد كانت شائعة لدى معاصرية من المستشرقين، أمثال المستشرق نيكلسون Nickolson (3) وغيره

1°) - Kern (H) Histoire du Boudhisme dans l(Inde,Trd Gedeon Heret, Paris, 1901 - 1903 - 2 Tom,T 2.

2°) - Edward (B), à litérary Histoiry of percia, London - Lepsic. 1909.

3°)- Nikolson, litérary héstory of the Arabe, Cambridge 1907.

ـ ماركوفيتش ماريلي (M) Markovitch تحدث عن مجالس الغناء والطرب، وتشجيع البرامكة لهذا اللون من الفن من خلال حديثه عن "دنانير البرمكية" التي كان هذا المستشرق معجبا بوفائها واخلاصها للبرامكة حتى بعد نكبتهم (1)

ـ لوسيان بوفا Bouvat. L والكتاب له دور هام في احياء التراث العربي الاسلامي كمحقق ومترجم وباحث في العديد من المجلات التاريخية ـ والفرنسية المهتمة بقضايا التاريخ الاسلامي، استفدت من دراسته عن البرامكة وخاصة اشارته في المقدمة الى المصادر التي تناولت الحديث عن هذه الأسرة عند ماكانت في بداية جمع المادة لرسالته (2)، ويبدأ أن عدم اطلاع هذا المؤرخ المصادر الهامة التي كانت تعد مفقودة في عهده ككتاب "الوزراء والكتاب" للجهشياري جعل دراسته قاصرة عن توضيح الدور الحقيقي لأسرة البرامكة في الخلافة العباسية،

1°)- Markovitch Marylie, Denanir la musicienne, Revut (Nouvelle Orientale), 8 (1910).

2°)- Bouvat, L, les Barmacides d'Aprés les Historiens Arabes et persons, Edition.Paris .1912.

- جبريـــــــل اوديسو Gabrieli Audiso كتاب يوءرخ لسيرة الخليفة هرون الرشيد وعصره ،ويطنب الموءرخ في دورالبرامكة ولا يخفي اعجابه الشديد بهم خاصة نشاطهم فـي الميدان الاجتماعي والثقافي حيث ينسب اليهم اغلب مظاهر اللهو والترف •

اما موضوع نكبتهم فيرجعها الى علاقة العباسة بجعفر البرمكي التي اسرف في تفصيل اخبارها ويلاحظ تاثر الكاتب الشديد بصاحب كتاب " الاغاني " وقصص الف ليلة وليلة " الخيالية لذلك فان كتابه بعيد ان يكون كتابا تاريخيا (1) •

اً- كرستنســـن Christensen ،استغل المصادر العربية استغلالا جيدا فــي الحديث عن ايران في العهد الفارسي وقد امدني بمعلومات عن ديانتهم القديمة ، والدور الذي مثله "معبد النوبهار" في الحياة العقائدية لسكان منطقة "بلخ" التــي كانت تدين بالولاء لأجداد البرامكة (2) •

- جواتيان Goitien ، وهو موءرخ انقليزي استعنت بتفسيراته القيمة في موضوعين اساسين اولهما ،نقطة التحول في تاريخ الدولة الاسلامية وثانيهما ،موضوع حول اصل الوزارة منشور في نفس المجلـــــة (3) تتظمن عـــــدة تفسيرات جادة استفدت منها في بعض المقارنات اثناء حديثي عن تطور الوزارة وظروفها في عهد نشاط البرامكـــــــــــــة

- دومينيـــــك سورديل Dominique ،وتعتبر دراسته من اهم الدراسات في تاريخ الوزارة العباسية حيث قدمه صاحبه كرسالة جامعية لكلية الاداب لجامعة باريس ،وقد خصص للبرامكة عدة صفحات تميزت بتحليل جيد واستعمال محكم لاهم المصادر (4) •

- نيكيتا اليسيبيـــــف Nikitta تحدث عن تطور نظام الوزارة في العهد العباسي بصفة موجزة دون الاشارة الى مصادره وقد تميز كتابه بتحليل جيد للاحداث وخصـــص للبرامكة بعض الصفحات قدم فيها نبذة عن اخبارهم (5) •

---

(1) Gabrieli, A., La vie de Haroun Al Rachid, 7 éd., Paris, 1929)
(2) Christensen, A., L'Iran sous les sassanides, Paris, 1936.
(3) Goitein, A Turning point in The history of the muslim state (Islamic culture), T. XXVIII, (1949), pp. 120-135, (1942), pp. 225-268.
(4) Dominique, S., Le visarat Abbasside 749 à936, Damas, 1958.
(5) Nikitta, E., L'Orient Musulman au moyen age (622-1260), édition Armand Colin, Collection U, Paris, 1977.

اما الدارسون العرب فاهمهم (1) -

جميـل نخلة المدور ، حضارة الاسلام في دار الاسلام (2)

يعد الكاتب من رواد المورخين العرب في كتابة تاريخ الخلفاء العباسين ووزرائهم اتبع في كتابه اسلوبا غير معروفا في سرد الاحداث التاريخية وذالك عن طريق تسجيلها على شكل نصوص تاريخية وروايات على لسان احد الرحالين الفرس الذي عاش الفترة الهامة من تاريخ نشاط الاسرة البرمكية (56 هـ - 187هـ/772-802م) ، ويلاحظ على المؤرخ تعاطفه الشديد مع البرامكة واعجابه المبالغ بسياستهم حيث ينسب اليهم كل الفضائل في تاريخ الخلافة العباسية خاصة عهد الرشيد كما انه كان شديد النقمة على هذا الخليفة بعد تخلصه منهم حيث يعتبر ذالك نكرانا للجميل خاصة وان البرامكة لم يرتكبوا ذنبا يستحقون عليه هـذا الجزاء .

- احمد امـيـن : - ضحى الاسـلام (3) ، نموذجا من التاليف الموسوعي في التاريخ العربي الاسلامـي خاصة في ميدان الحياة الفكرية والاجتماعية ، اعتمدت عليه في الحديث عن اهم رجال الفكر وتاثير افكارهم في المجتمع العباسي ، وهذا ما ساعدني على تقييم الوضع الثقافي الذي كان مسرح نشاط البرامكة خلال فترة طويلة نسبيا واثر ذالك في ظـاهرتـي الزندقة والشـعوبيـة .

ب - هرون الـرشيد ، (4) ويتعلق موضوعه بسيرة الرشيد والظروف النفسية التى كانت تحيط به ومواقفه تجاه البرامكة ، ويبدو الكاتب هنا متناقضا تناقض الروايات التى اعتمد عليها ، واغلبها ماخوذة من كتابي "الاغاني" و"العقد الفريد" ، ولذالك فان اهمية ما كتبه في هذا الموضوع قليلة من الناحية التاريـخية .

- جرجي زيدان ، تاريخ الـتمدن الاسـلامي (5) ، موسوعة في التاريخ الحضاري للدولة الاسلامية ، ورغم ندرة الاشارة الى مصادره وتحامله على الخلفاء الا ان ذالك لا يقلل من قيمة كتابه لشمولية مادته وتنوعها ، وقد استعنت به في التعليق على ميزانية الدولة فـي عهد نفوذ البرامكة وفي تطور الموالي في العهد العباسي .

---

(1) ساقتصر في هذه القائمة على المراجع ذات الصلة الوثيقة بالموضوع اما بقية المراجع فسيرد ذكرها في هوامش الفصول وفي نهاية هذا البحث .

(2) - ط2 ، مصر ، 1323هـ/1905م . (3) - ط2 ، القاهرة ، 1392هـ/1972م .

(4) - ط1 ، القاهرة ، 1370هـ/1952م . (5) - بدون تاريخ ولا تحديد لمكان الطبع .

— : حاسم آل كلكاوي ، البرامكة والعلويون ،(1)
بحث يتناول موضوع علاقة البرامكة بالعلويين المنافسين
التقليديين للخلفاء العباسيين .
يتميّز الكتاب بنقده للروايات التاريخيّة التي تزعم عطف البرامكة
على العلويين ويستخلص من كتابه أن البرامكة كانوا
يظهرون للعلويين عكس ما كانوا يبطنون : ولذلك فهو يعتبر
هم أخطر على العلويين من العباسيين .
: محمد أحمد برانق . البرامكة في ظلال الخلفاء(2)
ميزة الكتاب جمعه لروايات والأشعار المتعلّقة بالبرامكة
رغم عدم الأشارة الى مصادره في أكثر الأحيان .
وقد ركز خلال ذلك على دور البرامكة في عهد الرشيد رغبة
منه وإظهار خطر الصراع الحضاري بين العرب والفرس .
غير أن المؤلف لم يوفق في توضيح ذلك لسببين
الاعتماد على الأسلوب الأدبي والخيال أحيانا في كلامه
عن الأحداث التاريخيّة .
منهجيته في كتابة التاريخ كانت غير سليمة ، من جبهة
عدم تنوع مصادره وندرة الاشارة اليها . ومن
جهة أخرى ترتيبه للعناوين الها مشيّة تقضي
على وحدة الموضوع على وتسلسله التاريخي .

(1) . مطبعة أهل البيت ، كربلاء ، 1384هـ/ 1965م .
(2) الطبعة الأولى ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .

توفيق سلطان اليوزبكي (1)

الوزارة ، نشأتها وتطورها في الدولة العباسية 132هـ/ 447هـ/

رسالة جامعية تقدمت لنيل شهادة الماجستير في كلية الآداب جامعة عين شمس بالقاهرة عام 1968م وهي في عمومها دراسة عامة لبعض الجوانب من تاريخ نمو مؤسسة الوزارة في العهد العباسي ، وبعض أدوار كبار الوزراء في الفترة التي حددها وبين أحيانا موقف الخلفاء العباسيين من ذلك .

عبد الله فياض: 2)

تاريخ البرامكة ، أول محاولة لكتابة تاريخ هذه الأسرة بالعربية تقدم بها صاحبها لمذكرة نهاية السنة الرابعة ليسانس بجامعة بغداد عام 1948م، والملاحظ أنه لم يستفد من المصادر الأساسية التي لم تكن متوفرة لديه وقت كتابته للموضوع وكان اتباعه ، لطريقة (العناوين الفرعية) في تحديد بعض الجوانب من نشاط البرامكة قد قضت على وحدة الموضوع ولذلك كانت مذكرته هذه قاصرة عن توضيح الأدوار التي قامت بها هذه الأسرة وأثرها في الدولة ومميزة الكتاب تكاد تقتصر على وجود الكثير من الروايات المنقولة دون اعطائها التحليل اللائق أو التفسير الموضوعي استفدت منه التفاته الى (المخطوطة) التي أشرت اليها والتي (3)
لم يكن بوسعه الاطلاع عليها ، كما أفادني فياض ، في الاشارة

1) الطبعة الثانية ، مؤسسة دار الكتاب ، جامعة الموصل ، العراق ، 1396هـ/ 1976م،

2) الطبعة الأولى ، مطبعة المرشد ، بغداد ، 1367هـ/ 1948م

3) مخطوطة ابن الوكيل احسن المسالك التي اشرت اليها .

السـى الفكرة العامّة التى أشاعها أحد المؤرخين الفرس المحدثين - ميرزا عبد العظيم خان كركاني ، فى كتابه (تاريخ برامكة) (بالفارسية) ، الذى لم أتمكن من الحصول عليه ، ويظهر حسب - فياض - أنه كان متحاملا ضد الخليفة هرون الرشيد وشديد الميل الى البرامكة ، وبذلك تعطينا هذه الفكرة صورة عن كتابات بعض المؤرخين الفرس المحدثين عن بعض جوانب التاريخ العباسى ، [illegible]

/ عبد الجبار الجومرد : هرون الرشيد : دراسة تاريخية اجتماعية سياسية (1)

دراسة قيمة لسيرة هرون الرشيد ، اراد الكاتب من خلالها الدّفاع عن شخصية هذا الخليفة التى شوهتها بعض الروايات المغرضة ، تميّز اتجاه الكاتب بشدّ النقمة على الحركة الشعوبية وآثارها فى تزييف الحقائق التاريخية وقد تناول موضوع نشاط البرامكة بشيء من العمق والنّظرة الموضوعية يبدو أنه أسرف فى الدفاع عن الرشيد ، وبرأه من أغلب الأخطاء التى أرتكبت فى عهده ، - محمد بديع شريف :

/ الصراع بين الموالي والعرب ، رسالة جامعيّة (2) ، كتبت بالألمانية وترجمها صاحبها الى العربيّة ، ونشرت عام 1954م ، تميّز أسلوبه فيها بسيطرة الطابع الأدبي ، وضمور النّقد عنده كما تميّز بمجاراته للمستشرقين فى تفسير الأحداث التاريخية ،

1) الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتاب ، بيروت ، 1397هـ/ 1959م
2) الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ، القاهرة ، 1374هـ/ 1954

تفسيرا عنصريا ، رغم اعتماده على الكثير من المؤرخين المسلمين .

- شوقي ابو خليل ،

هارون الرشيد ، (1) دراسة لتقييم سيرة هذا الخليفة على اعتبار انه اهم علم في التاريخ الاسلامي خضعت سيرته للتزييف وحبك الاساطير حوله ، ويعتبر المؤلف ان موضوع نكبة البرامكة كانت احدى اهم الاسباب في تشويه سمعة هذا الخليفة ، وذالك بتبني كثير من المؤرخين والرواة الفرس لهذه الفكرة فراحوا يقدحون في شخصية الرشيد ، ويعتبر المؤلف ان ذالك لا يقتصر على هذا الخليفة فحسب ، بل يتعدى هذا للقدح الى المساس بالشرف العربي والكيد للاسلام .

- بدوي (عبد الرحمن) ،

التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية (2) ، وهو عبارة عن ترجمة وتحقيق لدراسات الاسلامية (2)

استعنت بكتابة هذا في التعليق عن دور البرامكة الثقافي وقيمة التآليف التي ساهموا في تشجيع ترجمتها .

- محمد مصطفى هدارة ،

اتجهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، رسالة جامعية تقدم بها صاحبها لنيل شهادة الدكتورا ه

---

(1) - الطبعة الثالثة ، مطبعة دار الفكر ، دمشق ، 1401هـ/ 1981م .

(2) - الطبعة الرابعة ، سلسلة دراسات اسلامية ، نشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، بيروت ، 1400هـ/1980م .

الادب العربي (1) . استفدت منها في تحديد اغراض واتجاهات الشعراء الذين التفوا حول اسرة البرامكة ،ودور هذه الاسرة في بلورت اتجاه المدح والاسراف فيه ،وذلك من خلال سياسة العطاء والمنح التي كان البرامكة قد بالغوا فيها

محمد محمدي ،

التزجمة والنقل عن الفارسية في القرون الاسلامية الاولى (2) ،دراسة ببليوغرافية جيدة عن التراث الفارسي المترجم الى العربية ،افادتني في تقييم دور البرامكة في بعث التراث الفارسي في الحياة الثقافية للمجتمع الاسلامي خلال فترة نفوذهم وآثار ذلك .

محمد جمال الدين سرور ،

الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة (3) دراسة سياسية عامة تميزت بالاتزان بالاستغلال الجيد للمصادر استفدت منها في تفسير بعض الاحداث المتعلقة بالعصر العباسي والظروف المتحكمة فيها .

(1) ـ الطبعة الثانية ،دار المعارف بمصر ،القاهرة ،1386هـ/1966م

(2) ـ منشورات قسم اللغة الفارسية وادابها ،الجامعة اللبنانية ،بيروت، 1384هـ/1964م .

(3) ـ الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربي ،القاهرة 1393هـ/ 1973م .

- محمد ضياء الدين الريس،

الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، دراسة جادة في النواحي الاقتصادية من وجهة نظر مؤرخ عربي مسلم وهي من الدراسات التي ظلت حكرا على المستشرقين .

ولذلك فان هذا البحث ، يعد اول لبنة في التاريخ الاقتصادي للدولة الاسلامية .

استعنت به في التعليق على مظاهر نشاط العهد الاول من حكم الخلفاء العباسيين في الميدان الاقتصادي ، واهمية دور البرامكة في ذلك .

كما استفدت منه في تحديد بعض المصطلحات الاقتصادية التي كان للبرامكة سببا في تطويرها .

- محمد أمين غالب الطويل ،

تاريخ العلويين (2) ، يتضمن الكتاب مجمل اخبار العلويين المنافسين السياسيين للخلفاء العباسيين ، وموقف هؤلاء منهم .

اغانني هذا الكتاب على فهم دور الوساطة التي كان يلعبها بعض افراد البرامكة بين العلويين والعباسيين ، كما اشار بالتفصيل الى علاقة الفضل البرمكي ب " يحى العلوي " الثائر في اقليم " الديلم " في عهد " الرشيد " ، ودور الفضل في ايقاف القتال بين المسلمين .

- طاهر مظفر العميد ،

بغداد مدينة المنصور المدورة (3) ، رسالة جامعية ، قدمها صاحبها الى جامعة بغداد لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية .

تميزت بالتوثيق المحكم ، وبعض الرسومات التخطيطية للمدينة . استفدت منه في مدى جدية الخليفة العباسي الثاني " ابي جعفر المنصور" في بناء عاصمة جديدة للعباسيين ، باتخاذ العدة الكافية لاتمام هذا المشروع الهام . ، مما ساعدني على تقييم الروايات التي تظهر فضل "خالد البرمكي " عند استشارة الخليفة له

---

(1)- الطبعة الرابعة ، دار الانصار ، القاهرة ، 1397هـ/ 1977م .

(2)- الطبعة الثالثة ، دار الاندلس ، بيروت ، 1399هـ/ 1979م .

(3)- الطبعة الاولى ، مطبعة النعمان ، النجف ، بغداد ، 1387هـ/ 1967م .

ومما يجدر بي ملاحظته هنا : أنني أثناء رحلتي العلمية الى القاهرة للاستقراء والاستقصاء ، استشرت فهارس البحوث وكنوز الرسائل الجامعية في موضوعات شتى من التاريخ الاسلامي ، والعباسي قدمت لجامعات مصر . وأعتبر أن أهمها :

- رسالة بعنوان :

تطور نظام الوزارة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، أفادتني في تقييم وتتبع دور العناصر الفارسية في الوزارة وتنظيمهم لهذه المؤسسة الهامة في تاريخ ادارة الدولة الاسلامية . وبخصوص " أسرة البرامكة " ركزت الباحثة على دور " يحى البرمكي " وسلطته الواسعة زمن الخليفة الرشيد ، التى أدت في نهاية الأمر الى نكبة الأسرة . (1)

- رسالة بعنوان :

تطور النظم الادارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي الى نهاية القرن الرابع الهجري ، (2) استعنت بها في ضبط أقسام بلاد العراق الادارية وكيفية تعيين

(1) هامية توفيق عبد الله ، قدمتها لكلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1391هـ/ 1971م .

(2) محمد توفيق خفاجي قدمها لكلية الآداب ، جامعة القاهرة عام 1386هـ/ 1966م .

الأمراء على مختلف الأقاليم ، كما أفادني الباحث في دور العديد من الاداريين البارزين ومنهم بعض أفراد البرامكة .

- رسالة بعنوان : الحركات المناهضة للخلافة العباسيّة في الشرق الاسلامي منذ قيامها حتى أوائل القرن الثالث الهجري (1)

بينت فيها الباحثه بخصوص البرامكة أنّهم كانوا يمثلون الحزب الفارسي وأنّهم قد عملوا على تطويره في الخلافة العباسيّة خاصة عهد الخليفة هرون الرشيد ، وأن نكبتهم كانت نتيجة للصراع القومي بين العناصر العربية الحاكمة والعناصر الفارسية الطموحة الى المناصب العليا للوصول الى الحكم .

وانتهت الباحثة الى القول بأن نكبة البرامكة لم تحد من النّزاع العربي الفارسي بل كانت عاملا أساسيا في تجدّده بطرق أخرى وبأساليب مختلفة .

- رسالة بعنوان : طبقات المجتمع العراقي في العصر العباسي الأوّل (2) خصص الباحث فيها فصلا للوزراء تحدّث فيه عنهم على اعتبار أنّهم كانوا يمثلون احدى الطبقات الهامة في المجتمع العباسي .

وأشار بصفة الى المكانة الاجتماعية التي وصلت اليها أسرة البرامكة ، والى حياة الترف والمجون التي كانت تعيشها هذه الأسرة . وتحدّث

(1) سامية محمود ابراهيم نصار ، قدّمتها لكليّة الاداب جامعة القاهرة ، عام 1403هـ/ 1983م .

(2) لمائق نجم مصلح ، قدّمها لكلية الاداب جامعة عين شمس القاهرة عام 1391هـ/ 1971م .

بايجاز عن الدّور الاجتماعي والثقافي الذي ساهم به البرامكة في الخلافة العباسيّة عصر نفوذهم

رسالة بعنوان : نظم بلاط العباسيين، ورسومه في بغداد 132هـ / 656هـ [1] استعرض فيها الباحث مجمل نظم الخلفاء العباسيين ودور الوزراء في تنظيم قواعد الرسوم ، وأشارة بايجاز الى دور أسرة البرامكة - جعفر البرمكي خاصّة - في بناء القصور للترفيه والتنزه

رسالة بعنوان : الحياة السياسيّة في خرسان من بداية العصر العباسي حتى آخر القرن الثالث الهجري [2]

ركزت الباحثة في هذه الدراسة على دور الموالي الخراسانيين خاصّة في الخلافة العباسيّة وبيّنت أن المنافسة بين الخرسانين الفرس والعناصر العربيّة قد تجلّت في عهد الخليفة هرون الرشيد وقد كان للبرامكة دورهام في تزكية وتنشيط ذلك ، ووضّحت الباحث أن هذا السياسة المتبعة من قبل البرامكة كانت عاملا أساسيا في تعجيل سقوطهم على يد العناصر العربية التي تخوفت من ازدياد سلطانهم .

1) عمر محمد سعيد ، موعد ، قدّمها لكلية الاداب ، جامعة عين شمس القاهرة ، عام 1390هـ / 1970م

2) سامية توفيق عبد اللّه قدّمتها لكلية الآداب ، جامعة القاهرة عام 1399هـ / 1979م

(1)
- رسالة بعنوان «بناء بغداد فى عهد أبي جعفر المنصور» ،
يبين فيها الباحثة بالتفصيل مجهود الخليفة العباسي المنصور "
فى بناء المدينة ولم تتحدث عن مشاركة " خالد البرمكي " فى هذا
المشروع ، باستثناء استشارة الخليفة له لمعرفة رأيه فى العملية ،
على غرار مافعله الخليفة مع بقية أصحابه وأعوانه .
- رسالة بعنوان : هرون الرشيد وعصره بين حقائق التاريخ
وشائعات المغرضين (2) حاول فيها الباحث الدفاع عن
الخليفة " هرون الرشيد " من خلال نقده لكثير من الروايات
المغرضة التى تصفه بحدة المزاج ، وتطعن فى تصرفاته وموقفه
. وذلك عن طريق تتبع الباحث لنشأة هرون واهتمام والده المهدي .
باعداده الاعداد الجيد لتحمل مهام المستقبل كما فند الباحث
الروايات التى ترجع أغلب الأعمال الحكيمة فى عهده الى أسرة البرامكة
واعتبر موقف الخليفة منهم ومن العلويين موقفا صائبا فرضته
مصلحة الخلافة ومقتضيات أمنها .
9 - رسالة بعنوان : أثر الفرس السياسي فى العصر العباسي الأول (3)
تتبع الباحث فى رسالة علاقة الفرس بالدولة الاسلامية منذ نشأتها

---

(1) رمزية محمد الأطرقجي قدمتها الكلية الآداب جامعة عين شمس ، القاهرة ، عام 1387هـ/ 1967م .

(2) أحمد ابراهيم حمور قدمها لكلية اللغة العربية قسم التاريخ والحضارة بجامعة الأزهر ، القاهرة عام 1389هـ/ 1969م .

(3) عبد الرحمن العمرى قدمها لنفس الجامعة أيضا ، عام 1397هـ/ 1977م .

مبينا دورهم في تاريخها ، وطموحهم المتزايد في السعي الى المناصب العليا على امل الـ الوصول الى الحكم واحداث الانقلاب الفارسي .

ويبدو ان الباحث قد بالغ كثيرا في اظهار خطـــر هذه العناصر على مستقبل الدولـــة حيث ينفي الدور الريادي الذي كانت العناصر العربية تقوم به مقابل ذالـــك .

وبخصوص اسرة البرامكة يعتبرهم الباحث اهم من كانت تعلق عليهم الامال في احداث هذا الانقلاب الفارسي على الخلافة العربية الاسلامية .

- رسالـــة بعنوان ، الشعوبية واثرها في الشعر العربي (1) ،

استعرض فيها الباحث نشاة ظاهرة الشعوبية في المجتمع العباسي ، ولاحظ ان اسرة البرامكة قد عملت على تشجيع المد الشعوبي في تاريخ الخلافة العباسية بحكم مركزهم السياسي و مكانتهم الاجتماعية ، وبخصوص موقف الخليفة الرشيد منهم لاحـــظ الباحـــث كيـــف ان ذالك استـغـــله الشعـــوبيـــون لافـــي المجـــال الادبـــي فحسب ، بل تجاوز ذالك الى رد فـــعل سيـــاسي تمـــثل فـــي احـــداث الفتنة بـــين الاخـــوين " الاميـــن " و " المامـــون " ابنـــي الخلـــيفة هـــرون الرشـــيد ، وفي محـــاولة " الفضـــل بن ســـهل " صنـــيع البـــرامكة ووزيـــر " المامـــون " ، لتجديد المخطط الشعوبـــي .

---

(1) صالح محمود سليمان ، قدمها لكلية اللـــغة العـــربية ، جامـــعة الازهـــر قسم التاريـــخ والحضارة عام 1398هـ/1978م .

هذا كتاب تواريخ آل برمك • رحمهم الله تعالى وتبارك •
من مؤلفات عبد الجليل اليزدي افاض الله سجال مغفرته •
على تربته ومقبرته • بدءت كتابته لسلطان الاقاليم •
السلطان سليم • نور الله مرقده • وفي عيش السعداء
ارغده • وختمت لولده الخاقان • باسط الامن والامان •
وارث ملك سليمان • السلطان سليمان • طول الله عمره •
ويسر امره • اللهم كما زينت صحايف العواطف بطغراء حمده الوافي •
احفظ ساحة سرادق جلاله من عروض الوقايع
ووقوع المخاوف • آمين بحرمة محمد الامين • عليه افضل الصلوات
وعلى آله اجمعين • الى ساعة قيام يوم الدين • م

اليازدي (عبد الجليل) : تاريخ آل برمك، مخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس، رقم 1351 .

بادر جاء الفضل بن الربيع بالبرامكة وانه يلي مكانهم فقال يحيى ابلغ
من امورنا انه صار يتدبر علينا ولا يغضب ذلك ابانا وبما اشبه ذلك
وحرف وجرحني وان اعلم بقينا : ما شاء الله الا الاخير قبل ذلك فعلت
منه بالبستين في الحال وحبستم بها اذا كان وقد قال نفر عندك
الصدق طلبنا امنع بالباطل اذا لم ينفع الحق فضحك وقال لي فرقت
فقدوا بين الخليفة ثم ان جعفر بات جمع المنجمين واخذوا له الطالع
لخروجه في ذلك اليوم … يوم السبت انسلاخ المحرم
من المحرم سنة سبع وثمانين ومائة وكان نازلا في السبت كرج
عند الرشيد ينادمه وكان اذا ركب يركب معه من غلمانه اربعة الاف
ومن عسكر الرشيد اكثرهم ومن عسكر قواد الذين كانوا متهمين بالحفر
فخرج فاسكر فخرج من دار الرشيد عائدا الى داره وهم معه
فلما دخل داره تفرقوا وجلس في داره مع فواق وجماعة ممن
كان ينادمهم في اطلعه وكان يوقعهم بما يعتمده
بعد خروجه في املاكه واسبابه والرشيد قد وكل به من يعلمه بخبره فاخبر
الرشيد انه قد بقي وحده وتفرق الجند عنه فامر الرشيد مسرورا
السياف بضرب فئة بيته في الدار فقفل ثم امر بحماد
اربعمائة غلام من فواقس مماليكه فاخذ ثم امرهم بحمل السلاح

المقريزي (احمد بن علي)، المقفى، مخطوط، نسخة مصورة عن المخطوط، مكتبة د. سهيل زكار الخاصة.

واو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهاب ، الحليم التواب ، المنزه
عن الشبيه والنظير ، الغني في ملكه عن الظهير والوزير ،
والصلاة والسلام على اكرم مبعوث للامم ، واعظم
منعوت بمحاسن الاخلاق والشيم ، محمد النبي شرفت
به الوجود ، وفضلته على كل موجود ، وعلى آله جمال
الايام ، واصحابه ثمال الايتام ، وبعد فلما
كان الكرم احسن غريزة في الانسان ، وهو والحلم
فرسا رهان ، بهما تصاد المفاخر ، وتخلد على صفحات
الايام محاسن الماثر ، وتنشر المدائح ، وتستر
القبائح ، وكان ممن وصف بهما في دولة الاسلام
وثبت ماثرهم فيهما على السنة الايام ، واجمع
على اجتماعهما فيهم اجمعين الناس ، بنو برمك
وزرا بني العباس ، ومع ذلك لم يفردهم احد
بالتاليف ، ولا عرفهم حق التعريف ، انما ذكرهم
المؤرخون لخبر امتداده ، واتاه راغبين
منفصلة ، لا يظفر بها الا من تتبع كتب الاخبار
وطالع تواريخ الاعصار ، فخطر لي ان اجمع ما
تفرق من اخبارهم ، واجرد ما اخلقه الدهر

ابن الوكيل (يوسف بن محمد) ، احسن المسالك لاخبار البرامك ،
مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية ، باريس ، رقم 2107 .

الفصل الثاني

أصل أسرة البرامكة
وعلاقتها بالدولة الإسلامية

لايزال موضوع أصل أسرة البرامكة احدى النقاط الغامضة في تاريخها ورغم مجهودات المؤرخين القدماء والمحدثين في الكشف عن هذا الغموض، فان المعلومات عن هذه المسألة قليلة ومتناقضة أيضا وقد يكون للبرامكة نصيب في هذا الغموض حيث كانوا قادرين على تشجيع علماء الانساب ورواة التاريخ في البحث والاستقراء عن أصلهم بحكم مركزهم الاجتماعي والادوار التي مثلوها في الدولة الاسلامية

ولعل هذا السكوت المتعمد عن هذا الموضوع هو ما جعل أحد الكتاب يعتمد على نسب وهمي حين أراد التحدث عنهم (1) في حين اكتفي بعضهم بارجاع أصلهم الى ملوك الفرس القدماء (2).

والتحقيق في مسألة أصل البرامكة أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المؤرخين المحدثين الا أنهم وصلوا الى نتائج يصعب تصديقها لتعارضها مع الواقع من جهة وافتقارها الى الروايات التي تسنده

---

(1) نسب البرامكة الى جدين وهميين، دون تحديد أية معلومة عنهما أولهما كان اسمه "يشتاسب" وثانيهما اسمه "جماسب" أنظر، زامباور (مستشرق) معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه جماعة برئاسة زكي محمد حسن، مطبعة جامعة فؤاد الاول بالقاهرة، 1371هـ / 1951م جـ1: ص13،

(2) خواند مير (غياث الدين همام)، حبيب السير (بالفارسية) طبعة حجرية، استنبول (تركيا)، 1271هـ / 1954م جـ1 ص805، ابن الوكيل (يوسف بن محمد الميلوي) أحسن المسالك لأخبار البرامك مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس، قسم المخطوطات العربية رقم 2107، ورقـــه 11 ب،

من جهة أخرى و(1)

ذلك أن عملية البحث في أصول وأنساب العائلة لا يزال من

النقاط الصعبة التي تعترض الباحثين في تاريخ العصور القديمة

والوسطى ، لندرة الوثائق الأساسية الموثوق بصحتها ،

ومهما يكن فقد أشاع المؤرخون نسبة هذه الأسرة الى برمك واعتبوه

جدّها الاول ومنه اشتق لها اسم البرامكة وهو الاسم الذي تعرف به هذه الاسرة في التاريخ(2)

والمتفق أن كلمة برمك البوذية وتعني ليست اسما بل لقبا يطلق على القائم بشؤون

المعابد في الديانة البوذية وتعنى بالعربية "المحس" أي محل السم بحيث

يزعم أن برمكا كان يلبس خاتما مسموما

---

(1)- CH.SCHEFFER, Notice sur l histoire des barmacddes (Chrestomathie persane) , T2. (1885) ,PP. 5-18.

- NADVI ,S.S , THE ORIGIN of the Barmakids ,(Islamic cultur), VI (1932) ,PP. 19-28 .

- L. BOUVAT , les Barmacides d apres les historien Arabe et Persans , Paris ,1912. PP15 . 25-31 .

(2)- DOMINIQUE SOURDEL ,Le visarat Abbasside de 749à936? Istitut Français , Damas ,1959 ? TI.PP. 129-131 .

- عبد الله فياض، تاريخ البرامكة ، مطبعة الرشيد ،

بغداد ، ، 1367 هـ / 1948م ، ص 46 ،

حتى اذا تعرض لغزو او وقع في اسر اسرع الى مص سما في الخاتم مــــن سم ليحفظ اســــراره ويصون كرامته من الغـــــزاة (1) •

وتاريخ البرامكة ـ اجداد الاسرة ـ قد ارتبط بنشاطهم الديني في مدينـــة " بلـــــخ (+) التي كانت وقتذاك مدينة مقدسة تقصدها الشعوب المجاورة وتزورهـــا سنويا للحج وتقديــــم القرابين (2) " • ســـاعدها في ذلك مـــــــــوقعها الاستراتيجـــــــي ، واشـــرافها على الممـــــرات الرئيسيـــــــــــــــــــة

---

(1) ـ ابن فقيه (ابو بكر احمد بن ابراهيم) ، مختصر كتاب البلدان ، تحقيق دي جـــويه مطبعـــــة بريل ، ليدن ، 1302هـ/ 1885م ، ص223 •
محمـــد احمد برانـــق ، البرامكـــة في ظـــلال الخلفــــــاء ، دار المعارف بمصـــــر ، القاهرة ، بدون تاريـــخ ، ص 11 •

(+) ـ بـــــلخ ، من اشهــــر مدن خراسان ، تقع الآن في جمهوريـــة افغنستان كانت ضواحيـــها خصبة بسبب استفادتها مـــن مياه نهر " جيحـــــون " الشهيــــر الذي كان يسمى وقتذاك " بنهر بلخ " ، وقد كانت غلاتـــــها الكثيرة تحمل الى اغلب مدن خراسان ، كما كانت من الناحية السياسية مـــــــركزا لعائلات نبيلة مثلت ادوارا هامة في تاريخ الفرس القـــــديم ، وقد دخلـــــت المدينة و ضواحيها ضمن حدود الدولة الاسلامية في عهد الخليفة " عثمان بن عفان "
انظر ، ياقوت الحموي ، معجـــم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1399هـ/ 1979م ، ج 1 ، ص 479 ـ 480 والحميري (شهاب الدين) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1395هـ/ 1975م ص 96 و البلاذري ، (ابو العباس احمد بن يحـــــى) فتوح البلدان ، تحقيق عبد انيس الطباع ، دار النشر للجامعيين 1377هـ/ 1961م ص574 و الاصطخري (ابو اسحق ابراهيم الكرخي) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، دار القلم ، بيروت ، 1381هـ/ 1961م ، ص74 •

(2)-ROBERT FOSSIER;LE Moyen Age(les mondes nouvaux 350-950) Editeur ,Armand colin, Paris, T1. P.193 .
-BARTOLD,EIe, ART(AL BARAMIKA)T3. PP. 1064-1065.
FRYE ,R.N, ART(BALAKH), T1. PP. 1031-1032.

الرابطة بين الهند وإيران (1)
ويبدو أن أجداد البرامكة كانوا كغيرهم من أشراف المدينة
تم التفكير في مشروع ديني جديد سيكون له الأثر
الكبير على احتلالهم المكانة الهامة بين سكان المنطقة.
ويعزى ذلك إلى اطلاعهم على وصف الكعبة ب(مكة)
وأثرها في نفوس القرشيين (2) حيث سعوا إلى بناء
معبد يكون له من المكانة

---

(1) أنظر اليعقوبي (أحمد بن اسحق)، كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1309هـ/1891م، ص 237 - 238.
المقدسي (المعروف بالبشاري)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي جويه، ط2، مطابع بريل، ليدن، 1324هـ/1906م، ص322 وما بعدها. الاصطخري، المسالك، 155 - 156. سورديل، لومبارد، الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص196 - 197.
Frye, Op., cit., T.1, p. 1032.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص3.
Nadvi, Op., cit., p. 21.
Bartold-Sourdel, Op., cit., T.1, p. 426.

في نفوس سكان المنطقة ما لمكانة الكعبة لدى العرب (1) ، وحسب وصف المصادر التاريخية المبالغ فيه لهذا المعبد الذي اطلق عليه اسم " النوبهار" (*) يكون البرامكة الاوائل قد انفقوا عليه اموالا ضخمة . اذ يروى انهم اتخذوه مضاهاة لبيت الحرام بمكة ، وتفننوا في طريقة بنائه وذلك بوضعه على قاعدة مربعة يزيد ارتفاعها عن مئة ذراع وحفوا بها اروقة مستديرة ، ثم نصبوا حولها اصناما وتماثيل كثيرة وارفقوا بالمعبد ثلاثمئة وستين مقصورة ، اتخذت

---

(1) ـ كان العرب قبل الاسلام يعظمون الكعبة ويقدسونها ، حيث كانوا يزورونها سنويا للحج والعبادة ويقدمون لسدناتها القرابين والاموال الكثيرة ، فقد جنت قبائل قريش العربية من ذالك ارباحا طائلة بحكم اشرافها على الكعبة ، فضلا عما يرد اليها من مدخول وافر نتيجة وساطتهم التجارية بين القبائل العربية من جهة وتجارات الشرق والغرب من جهة اخرى . انظر ،
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 181 ـ 188 . ، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط 3 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1402 هـ / 1982 م ، ج 2 ، ص 46 ـ 52 . ،
الفردوسي ، (ابوالقاسم) الشاهنامه ، ترجمها واعادها نثرا الفتح بن علي البنداري ، تحقيق عبد الوهاب العزام ، ط 1 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1350 هـ / 1932 م ، ص 323
القزويني (زكريابن محمد) ، كتاب آثار البلاد ، نشر فرديناند وستنفيلدن برسل ، 1368 هـ 1948 م ، ص 221

(*) ـ كلمة هندية الاصل مركبة من كلمة "نو" وتعني الجديد وكلمة بهار وتعني نوعا من الريحان . وقد كان من عادة سكان المناطق الهندية تكليل بناتهم الجديدة بالزهور . وبخصوص هذا المعبد تقول الرواية انهم عقدوا على تسميته باول نوع من الزهور ينبت في ذلك الفصل ، فكان " البهار" فسمي المعبد بذلك النوع .
قارن ، ابن الفقيه ، مختصر ، ص 223 ، ب ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 207 ، و ، ب دائرة المعارف الاسلامية نقلا عن ،
-S.T. GULIEN, Memoire sur les contrees occidentales T1' p30.
-BOUVAT, op;cit ,pp,28-30 .
-DOMINIQUE?op ,cit, T1. P129.

كمساكن لخدام المعبد والقائمين بشوءونه (1) .

وقد حرص البرامكة على أن يكون المعبد مشرفا على أغلب بنيان مدينة بلخ ، حتى يرى من بعيد ومن كل الجهات ولذلك نصبوا في أعلاه رماحا تحمل قطعا طويلة من قماش الحرير (2) .

وفى سبيل تدعيم هذا المعبد ماديا الحق به ماحوله من الأراضي والضياع الفسيحة (3) ، كما منح للبرامكة حرية التصرف فى استخدام سكان تلك الضياع كعبيد فى خدمة هذه الموءسسة الدينية ،

وتزعم بعض الروايات أن هوءلاء السكان كان يسعدهم جدا أن يكونوا عبيدا لـ " برمك " ، ولذلك فقد كان الذين لم ينعموا بهذا الشرف من سكان ضواحي مدينة بلخ يحرصون على وقف ضياعهم عليه وحمل منتوجاتهم الى " برمك " التماسا لرضاه وعفوه . (4)

---

(1) تقول الرواية أنه خصص لكل خادم مقصورة ليوءدي خدمة للمعبد في يوم واحد فقط ولا يعود الى خدمته حولا كاملا ، مما يستنتج أن هوءلاء كانوا يحسبون السنة ثلاثمئة وستين يوما فقط .

أنظر التفاصيل عند ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص307 .

ص 223 ، ابن الفقيه ، مختصر ،

(2) تقول الرواية أن القماش قد أخضر من اللون الأخضر ، وكانت تصل القطعة منه الى حوالى مئة ذراع . المسعودى مروج ، ج 2

ص 238 ، 239 .

(3) بلغت مساحتها على مايروى حوالى سبع مئة وأربعين (740) ميلا مربعا . Bartold, EI, Art (Al Baramika) , T.1, pp.1065-1066

(4) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ج 5 ، ص308 ، ص 27 ،

و ، محمد أحمد برانق ، البرامكة ، ص 13 .

ولعل هذه الثروة واليد العاملة الرخيصة التي وضعت تحت تصرف البرامكة كانت من اهم العوامل التي ساعدتهم على الانفاق بدون حساب على المؤسسة الدينية حيث تشير الروايات التاريخية — وظاهرة المبالغة فيها واضحة — ان معبد " النوبهار" قد زين بالديباج والحرير ، وان اغلب جدرانه كانت قد رصعت بأجود واغلى الحجارة الكريمة (1) •

ويستنتج من وصف هؤلاء المؤرخين ان البرامكة كانوا يشرفون على خدمة الديانة البوذية ولا علاقة لهم بالديانة " المجوسية" (+)

---

(1) — انظر ، المسعودي ، مروج ، ج 2 ، ص 223 و ، القزويني آثار ، ص 221 ، و ، ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد طهران ، 1391هـ/ 1971م ، ص 409— 410 ، و ، احمد محمد برانق ، البرامكة ، ص12 — 13 و ،

- BOUVAT ,OP.CIT. P.26 .

(+) المجوسية ، ديانة الفرس القديمة ، يقدسون فيها النار ويعتبرونها مصدر الحياة ، وانها الواسطة بين الله وخلقه وبيوت النار عندهم معظمة ومهابة يقدمون لها القرابين ويطوفون حولها عراة •

حول تفاصيل هذا الموضوع راجع ، المسعودي ، اخبار الزمان ، ط2 ، دار الاندلس بيروت ، 1386هـ/ 1966م ، ص 101— 102 ، ولنفس الكاتب ، مروج ، ج 2 ، ص238 ، الاصطخري ، المسالك ، ص 74 ، كريستانسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحى الخشاب ، مطبعة لجنة التاليف ، القاهرة 1377هـ/ 1957م ، ص 19 ، 130 • احمد امين فجر الاسلام ، ط11 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1395هـ/ 1975م ، ص90 •

ـ الفارسية ـ ، كما هو الشائع (1)

غير أن المؤرخ والرحالة المسعودي (2) " قد حاول أن يربط هذا المعبد بتاريخ ملوك الفرس ، حيث أشار الى أنهم كانوا يقصدون " البيت الحرام " من أرض الحرب قبل الاسلام " ويطوفون تعظيما له .) وأنهم كانوا يهدون سدنته الأموال الكثيرة والجواهر الثمينة) وأن آخر من حج من ملوكهم كان يدعى " ساسان ".*

(1) Nikitta, E., *L'Orient musulman au moyen age 622-1260*, éd. A.Colin, Col. U, Paris, 1977, p. 128.
Robert, Fossier, *Op., cit.*, p.193.
Nadvi, *Op., cit.*, pp. 26-28.

(2) المسعودي ، مروج ، ج 1 ، ص 242 .

* ساسان ، ؟ هو من عائلة نبيلة ، كان سادنا لبيت نار في اصطخر .) وكان قبل موته قد مكن أبناءه ـ خاصة أردشير ـ من الارتقاء الى مناصب هامة في الدولة ساعدتهم فيما بعد على الاستيلاء على الحكم ، وتكوين دولة ، توارثوا عرشها ، قرونا حتى سقطت على أيدي المسلمين الفاتحين .)
حول تفاصيل هذا الموضوع ، راجع ، كريستنسن ، ايران ، ص 74 وما بعدها .
و يخضر ، (دائرة المعارف الاسلامية) ، مادة . ساسان ، ساسانية ، ج 11 ، ص 57 ـ 55 .

مؤسس الدولة الساسنية في ايران (1) •

وليس لدي مايدعم هذه الرواية ويظهر انها منتحلة ،القصد منها بيان التسامح الديني لدى ملوك الفرس وعلاقتهم الطيبة بالعرب قبل الاسلام وهو ادعاء تكذبه الاحداث التاريخية (2) •

وفضلا عن ذلك فان " المسعودي " نفسه الذي افاض في البحث عن الاماكن المخصصة للعبادة قبل الاسلام يفرق في حديثه بين " النوبهار " وبيوت النار الفارسية (3) •

ومهما يكن من امر ذلك فان الرائج ان لقب " برمك " صار يطلق على من يتم بشؤون معبد " النوبهار " الذي اصبح محجا للبوذيين ،يقصده ملوك الهند وملوك الصين وغيرهم من الملوك حيث يتقربون الى اكبر صنم هناك ،بالسجود امامه وبتقبيل يد برمك تكفيرا عن ذنوبهم والتماسا لرضا السادن وعفوه •

واستمرت شهرة " برمك " تزداد باستمرار ،ويبدو انها فاقت شهرة سادن الكعبة في بلاد العرب • حيث صارت له السلطة الزمنية الى جانب سلطته الروحية على كثير من الشعوب البوذية • ،كما ان احكامه واوامره كانت تطبق بكل احترام من قبل

---

(1) — استدل المؤرخ المسعودي ،في هذا الموضوع بقول احد الشعراء — لم يذكر اسمه — (من بحر الوفر)

وما زِلْنا نحجُّ البيتَ قِدمًا ونُلفى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى أتى البيتَ العتيقَ يطوفُ دِينا
فطاف به وزمزم عند بئر لاسماعيلَ تُروي الشاربينا

المسعودي ، مروج ،ج 1 ،ص242•

(2) — انظر عبد الرحمن العمري ، اثر الفرس السياسي في العصر العباسي الاول ، رسالة جامعية ،تقدمها الباحث لنيل شهادة الدكتوراة ،في جامعة الازهر كلية الاداب ،قسم الدراسات العليا ، 1397هـ / 1977م ،مكتبة الجامعة ، ص 3 ، ومابعدها •

(3) — قارن المسعودي ،مروج ،ج2 ،ص138 ، 252 — 258 ،ب ،الاصطخري ، (ابو اسحاق ابراهيم الكرخي) ،المسالك والممالك ،تحقيق محمد جابر عبد العالي الحسيني ،دار القلم ،بيروت ،1381هـ / 1961م ،ص 74 ،و ،ب ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج 5 ،ص 307— 308

ـــــن قبل حـــــكام وامرء الممالـــــك المجـــاورة لمدينـة "بلخ" (1) فقد كان هؤلاء الملوك لا يترددون في اعطـــاء "برمـــك" اغلى الهدايا واثمنها (2)

والملاحظ ان معبد "النوبهار" قد حول الى بيت للعبادة النار على طريقة الديانة الفارسية القديمة ، بيد انه لا يعرف متى تم "ذلك (3) ، وقد حاول بعض المؤرخين ان يربطوا بين اسرة البرامكة وبين تاريخ الفرس فجعلوا "النوبهار" المعبد البوذي بيتا من بيوت النار ونسبوا بناءه الى احد الملوك الساسنيين (1٠٠) واشاروا الى ان اجداد البرامكة كانوا قد تولوا منصب الوزارة ، لملوك الدولة الساسانية (4) ثم زال عنهم ذلك بزوال الدولـــــة . ، فعوضوا هذه السلطـــــة بسلطـــــة

(1) ـ المسعودي ، مروج ، ج 2 ، ص238 .

(2) ـ القزويني ، آثار ، ص 221 ، ابن الفقيه ، مختصر ، ص323 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص308 ، الفردوسي ، الشاهنامه ، ص323 . ، احمد مختار العبادي العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1392هـ / 1972م ، ص 25

(3) ـ انظر ، ابن بدرون ، (عبد الملك بن عبد الله) ، شرح قصيدة ابن عبدون ، تحقيق رينهارت دوزي ، مطبعة الاخويين لختمنس ، ليدن ، 1263هـ / 1846م ص 227 . وينقل عنه الاتليدي (محمد دياب) ، اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، القاهرة ، 1361هـ / 1942م ،

ـ ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 11ب . ، ابن خلدون (عبد الرحمن) ، المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ، (ب ت) ص 136 .

-SCHEFER, Christomathie persane, TI, PP71-72.

(4) — -BRWUNE, Aliterary history of persia, London-Lepsic, 1909 . P .257 .

-BARTOLD , EIe , ART(AL BARAMIKA) ,TI . PP.1065-1066.

(5) ـ الدولة الساسانية ـ امبراطورية الفرس القديمة ، يرجع تاسيسها الى "اردشير بن ساسان" احد كبار ملوك الفرس ، والى ابنه "ساسان" . ، وقد كانت تسيطر على اغلب ممالك الشرق (خراسان ، اصبهان ، فارس والاهواز ، والعراق حتى حدود بلاد الروم) ، وهي التي تعرضت لحركة الفتوحات السلامية منـــــذ مراحلها الاولى . ، ويروى انها من اعظم الدول في تاريخ فارس ، واليها ينسب بعض المؤرخين معظم الاعمال الادارية والاساليب السياسية المتبعة من قبل الخلفاء العباسيين ، انظر ، المسعودي ، التنبيه والاشراف طبعة جديـــدة =

روحيـــة عن طريق قيامهم بخدمة " النوبهار (1)

واظن ان هذه الروايات التي تربط اسرة البرامكة بتاريخ "فارس"، مشكوك فيها، ولا يمكن قبولها بسهولة، لضعف حجتها، فمصادر التاريخ الفارسي القديمة لا تتحدث مطلقا عن نشاط اسرة البرامكة خارج قوامتها لمعبد " النوبهار"، ولعل مصدر هذه الروايات قد جاء من صنع المؤرخين الذين كتبوا التاريخ بعد احداث تطور هذه الاسرة في تاريخ الخلافة العباسية فارادوا ربط ماضي هذه الاسرة بالتاريخ الفارسي امعانا منهم في اظهار فضل الفرس على الدولة الاسلامية.

= منقحة باشراف لجنة تحقيق التراث، سلسلة (في سبيل موسوعة تاريخية)، رقم 1، منشورات ، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1401 هـ / 1981م، ص103 ــ 113 . و ،

الثعالبي (ابو منصور عبد الله)، تاريخ غير السير (المعروف بـ، كتاب غرر ملوك الفرس وسيرهم ، نشر وترجمة زوتنبرق ، مكتبة الاسدي ، طهران ، 1383هـ / 1963م ، ص473 وما بعدها .

و ، آرثر كرستنسن ، ايران ، ص72 ، بخنر ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة (ساسان) ، جـ1 ، ص47 ــ 55 .

(1) ــ انظر ، عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الاول او القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين ، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1399 هـ / 1979م ، جـ1 ، ص190 .

ومهما يكن فان سلطة البرامكة الروحية قد تغيرت تغيرا كبيرا بعد ظهور الاسلام ، وفتح القادة العرب المسلمين لمنطقة " بلخ " وما جاورها .

ويروى ان " برمكا " قد رغب في الاسلام فسارع وفد هام الى المدينة عاصمة الدولة الاسلامية وقتذاك ، حيث تقابل هناك مع الخليفة " عثمان بن عفان " (23 - 35 هـ / 644 - 665 م) ، واسلم على يديه ، وانه كان قد تسمى باسم " عبد الله " (1)

وليس من السهولة بمكان سكوت سكان وامراء المنطقة المجاورة لمنطقة بلخ عن موقف " برمك " من الاسلام وردته عن ديانتهم التي كانوا يضحون من اجلها الكثير ، ولذلك تشير الروايات انهم

---

(1) - تقول بعض الروايات ان " برمك " هذا ، هو آب " خالد البرمكي " المعروف في تاريخ الخلافة العباسية ، انظره

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ5 ، ص307 ،

القزويني ، آثار ، ص 222 .

قد دخلوا مع برمك في منازعات لارجاعه الى دينه الاول (1) ،
وقد كان لهذا الموقف اثر كبير على مصير العائلة البرمكية.
حيث صفيت عن آخرها ،عدا طفل واحد منهم كانت
امه قد هربت به الى الهند ،حيث بقي هناك يتربى ويتعلم ،
الى ان استدعي بعد ذلك للاشراف على معبد "النوبهار"
بعد ان ارتد سكان المنطقة عن الاسلام (2).

وفي الحقيقة فانه من الصعب تصديق الروايات التاريخية
حول موضوع اسلام "برمك" ،لأن ذلك تكرر مع
اكثر من شخص خلال فترة طويلة وفي ظروف مختلفة (3)
فضلا عن تردد المؤرخين

---

(1) ـ اجاب برمك احد الملوك البوذيين حين طلب منه الرجوع الى
دينه بلت بما يلي ، " ...اني انما دخلت في هذا الدين اختيارا له
وعلما بفضله ، من غير رهبة ،ولم اكن لارجع الى دين
بادي العوار مهتك الاستار ..." . انظر ،
ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج5 ،ص308 ،و ابن الفقيه ،
مختصر ، ص 223 .

(2) ـ انظر ،ابن الفقيه ،مختصر ،ص223 ـ224 . و ،ياقوت الحموي معجم البلدان ،
ج 5 ،ص 308 ،وينقل عنه كل من ،
برانق ،البرامكة ،ص 14 و ،
-BOUVAT ,OP.CIT. P.36.

(3) ـ احمد مختار العبادي ،في التاريخ ، ص82 و ،
- BOUVAT ,OP.CIT. P36.

عندما يتعرض ن الموضوع اسلام جد البرامكة (1)

والرائج ان منطقة "بلخ" تعد احدى اهم المناطق التي ركز فيها

المسلمون عمليات الفتح في عهد الخليفة عثمان بن عفان بحكم موقعها

الهام، وانها قد فتحت صلحا بطلب من اعيان المدينة ولم يكن برمك من بينهم على

مايفهم من الروايات (2) يبدا ان هناك ما يشير الى ان برامك نفسه هو الذي صالح الطليفة

على مدينة بلخ ثم نكث المسلمون بعد ذلك الصلح حين قاموا بعمليات تخريبية في المدينة

ومن غير المنطق ان نصدق قيام المسلمين بمثل هذه العمليات لان ذلك يتطلب جهدا

ووقتا كما ان المسلمين لم يعتادوا تخريب المناطق التي كانوا يفتحونها ولعل القصد

من ذلك قيامهم بتحطيمهم التماثيل والاصنام التي كانت ـــــــــــــ

---

(1) ابن الوكيل احسن المسالك (مخطوط) ورقة 11 ب عبد المنعم ماجد العصر العباسي ج 1 ص 190 . جاسم آل كلكاوي البرامكة والعلويون، مطبعة اهل البيت كربلاء، 1384هـ / 1965م ص 9 ـ 12.

(1) الطبري، (محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط 4، 313ـ316 سلسلة ذخائر العرب رقم 30 دار المعارف بمصر القاهرة 1397هـ / 1977م ج 4 ص 32، والبلاذري، فتوح ص 574 . ابن الاثير (ابو الحسن علي) الكامل في التاريخ تحقيق نخبة من العلماء، ص 23 دار الكتاب العربي بيرت 1403هـ / 1983م ج 3 ص 63 ـ 64 .

(3) القزويني آثار ص 223 . البلاذري فتوح ص 575 ومابعدها . و (...)

Dominique, Op cit., T.1, p. 130.

واعتمادا على هذه الرواية ـ رواية البلاذري ـ يستنتج الاستاذ عبد المنعم ماجد ان البرامكة قد اسلموا بعد هذه الحادثة في عهد معاوية بن ابي سفيان انظر عبد المنعم ماجد، العصر العباسي ج 1 ص 190.

تحيط بالمسجد تشبهها بالكعبة في مكة قبل الاسلام كما اشرنا سابقا وهناك من الشواهد ما يؤكد على ان معبد "النوبهار" قد بقي قائما بعد ذلك بكثير (1)، مما يبين ثبوت بقاء برمك على دينه الى ما بعد عام 90هـ/ 708م . كما سنرى والمهم انه ليس لدي رواية صريحة تبين بوضوح موقف احد اد البرامكة من الاسلام، وحسب نسق الاحداث التاريخية يلاحظ انهم ظلوا على دينهم لفترة طويلة من العهد الاموي ، كما انه من الصعب بيان علاقتهم بالخلفاء الامويين لندرة الروايات التاريخية التي تهتم بهذا الموضوع وحسب ما تجمع الذي من الروايات يلاحظ ان "برامك" كان ممن حرضوا سكان بلخ على نقض صلحهم مع المسلمين والا لما كانت زوجته احدى اهم سبايا حملة القائد .

---

(1) الجهشياري (ابو عبد الله محمد) ، كتاب الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط 1 ، القاهرة ، 1357 هـ/ 1938م . ص 42 ، و الاصطخري ، المسالك ، ص 155 .

" قتيبة بن مسلم"* التأديبية التى شنها ضد سكان مدينة بلخ وضواحيها سنة 85هـ/ 704م ،

وتطنب بعض المصادر التاريخية فى ذكر تفاصيل قصة " زوجة برمك" التى صارت سبية عند " عبد الله بن مسلم" أخو" القائد " قتيبة" ، حيث كان قد تسراها فى نفس الليلة التى حملت اليه بعد تقسيم الغنائم بين المشاركين فى الحملة(1) ، وتزعم الروايات أن سكان منطقة بلخ قد أعادوا الصلح مع قائد الحملة" قتيبة" ، وأنهم كانوا قد استرجعوا أسلابهم من المسلمين بعد صباح الغد، وكانت من بينهم " زوجة برمك" التى أعيدت الى بيتها ، بعد

---

*قتيبة بن مسلم (أبو حفص) ، (49 هـ — 96هـ/ 669م — 715م) ، أمير من أسرة عربية عريقة، ذات مكانه مرموقة فى الدولة، نشأ فى ظل الخلافة الأموية، ولي منطقة الري فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، و اقليم خراسان فى خلافة ابنه الوليد ، كرس قتيبة، معظم وقته فى فتح المناطق الشرقية للخلافة حتى دانت له أقاليم ماوراء النهر حتى حدود الصين، وقد كان عظيم المكانة مرهوب الجانب من قبل سكان الشرق ، لذلك كان مقتلة عام 96هـ/ 715م خسارة كبيرة للعرب ، وحركة الفتح الاسلامي على السواء لما له من ذكاء حاد فى الحرب والسلم، وقد رثاه كثير من الشعراء وتذكر البلاذري ، فتوح ، 490 وما بعدها وحول تفاصيل أعماله انظر، الطبري، التاريخ ،جـ 6، 425 — 426، 428، 429 436 — 439، 447 وما بعدها حتى ص522، و، ابن الأثير، الكامل ،جـ4، ص105 — 107 ، 114 — 116 ، 135 — 138، و دائرة المعارف الإسلامية، مادة قتيبة بن مسلم، و ، المرزباني (أبو عبد الله محمد) ، معجم الشعراء، تحقيق كرنكوا ، مكتبة القدسي ، القاهرة، 1354 هـ/ 1935م ص 331 ،

(1) الطبري، تاريخ ، جـ6 ، ص 423 — 425 ، ابن الأثير، الكامل ،جـ4 ص105 — 106.

ا ٔن ا ٔخبرت عبد الله بن مسلم بأنها حملت منه فى نفس الليلة التى تسراها (1)
ويبدو أن تركيب هذه القصة غير صحيح ولا سبيل الى تصديقة فالملاحظ أن هذه الروايات
نفسها تصرح فى نفس الا ٔحداث أن عبد الله بن مسلم كان مريضا ا ٔ يحتمل ا ٔن لا يكون قد
شارك فى هذه الحملة بالمرة وفضلا عن ذلك فا ٔن هذه الحادثة لا ترد جملة وتفصيلا
فى كتاب التاريخ المختصة بحركات الفتح فى الدولة الا ٔسلامية
وأرجح أن تكون هذه الرويات قد تمت بإيعاز من البرامكة ا ٔنفسهم لتعزيز مكانتهم فى الخلافة
العباسية وذلك بربط أنفسهم بالنسب العربى وهو رباط وهمي تكرر [illegible] اكثير من مرة
فى التاريخ الدولة الا سلامية مع بعض الشخصيات غير العربية ا ٔولا ٔت التقرب من البيوت
العربية الحاكمة الا ٔسباب مختلفة (3)

---

(1) تقول الروايتان ا ٔبناء عبد الله بن مسلم وفاء لوصية ا ٔبيهم حاولوا بعد ذلك الحاق
خالد البرامكى بنسبهم الا ا ٔنهم عدلوا عن ذلك الا سباب اجتماعية ا ٔنظر ، الطبرى ، تاريخ
ج 6 ص 425 • وابن الاثير الكامل ، ج 4 ، ص 106 ونقل عنها Bovat, Op. cit. p35
(2) البلاذرى ، فتوح ، ص 574 •
و (3) الطبرى تاريخ ، ج 7 ، ص 491 • ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 4 ،
ص 33 ، وعبد المنعم ماجد ، العصر العباسى ، ج 1 ،
ص 191 ••

ويبالغ المؤرخ " بارتولد *Bartold* في الرواية رغم عدم ارتياحه لها حين يزعم أن العملية لم يكن يقصد بها تشريف الدم الفارسي بالدم العربي وانما كان محاولة تقريب البيت العربي من البيت البرمكي أصحاب الحظوة الكبير لدى الخصوم الثقاء العباسيين (1)

ولسوء الحظ فانه ليس لدي لحد الآن ما يساعد على تمحيص مثل هذه الروايات التي تحاول تحديد علاقة أسرة البرامكة بالدولة الاسلامية ، فهي الى جانب قلتها تمر مرورا سطحيا على الموضوع دون اسناد أو توضيح وبالاستناد الى واقع الأحداث التاريخية يمكن القول أن البرامكة ظلوا على عدائهم الشديد للمسلمين وأنهم كانوا وراء كل انتفاضة في منطقة بلخ ضد سلطة الخلافة الأموية رغم الصلح الذي كان بينهم وبين قادة الفتح (2)

ومن المرجح أن يكون " برمك " قد ساهم مساهمة فعالية في تشكيل تحالف أمراء الممالك المحاذية لمنطقة بلخ على التمرد والعصيان ضد القائد

(1) Bartold, EIè, Art (Al Baramika), T.1, pp.1065-1067.

(2) يلاحظ المتتبع للأحداث السياسية في العهد الأموي (41 - 132 هـ / 661 م - 749 م) كثرة الانتفاضات وحركات التمرد ضد السلطة الأمويين في الشرق ، واتخاذها منطقة بلخ مركزا لانطلاقها ، والمعروف أن البرامكة كانوا يتمتعون بسلطة كبيرة على هذه المناطق كما أشرت سابقا ، ولذلك لا يستبعد أن يكون لهم الدور الاساسي في اثارتها وتزكيتها ،

الأموي " قتيبة بن مسلم " عام 90هـ/705م . (1)

ولعلّ انهزام هذا الحلف غير المتوقع ، والذي باركه " معبد النوبهار " كان سببا في اقتناع " برمك " بعدم جدّيه معاداته لسلطة الأمويين أو محاولة تقويضها في الشرق .

ولذلك توضح الروايات التاريخية أن " برمك " أصبح يتقرب من بعض الأمراء الأمويين بتقديمه الخدمات الطبية لهم ، وأنه قد ازداد اتصاله بهم حين تمكّن من معالجة أحدهم من داء كاد يفتك به (2) وأظن أن معرفة " برمك " الواسعة وخبرته الكبيرة بشؤون الطب كان سببا في اطمئنان الخلفاء الأمويين وارتياحهم لخدماته ، وقد ورد اسمه ضمن أسماء خدام بلاط الخليفة الأموي " سليمان بن

---

(1) تزعم هذه الثورة أجل أمراء الشرق المحليين ، يدعى ب " نيزك " وكان حليفا لـ " قتيبة " ، ومصاحبا له في بعض الحملات ، وقد أظهر ، نيزك ، رغبته في العودة الى بلده — طخرستان — فسمح له قتيبة بذلك وفي طريقه نزل ب " معبد النوبهار " للصلاة والتبرك ، ومنه كاتب ملوك وأمراء المناطقة ، ومن بينهم حاكم مدينة بلخ يحثهم على الثورة ضد المسلمين فأجابوه جميعا لذلك ، ودخلوا في معركة كبيرة ضدهم ، وكادت تكون لصالح المتمردين لولا دهاء القائد " قتيبة الذي عرف كيف يتخلص من هذا الحلف العسكري الكبير . أنظر التفاصيل ، عند الطبري ، تاريخ ، ج 6 ، ص 445 — 446 ، 454 ، — 461 . و ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 114 ، 116 — 118 .

(2) تقول الرواية أن برمك تمكن من انقاذ حياة " مسلمة بن عبد الملك " أخو الخليفة سليمان بن عبد الملك ، و الطبري تاريخ ، ج 6 ، ص 426 ، و ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 106 .
. و محمد أحمد برانق ، البرامكة ، ص 14 . و ، أحمد مختار العبادي ، في التاريخ ، ص 32 .

ابن عبد الملك (96هـ ـ 99هـ/715م ـ 717م) (1) ، وأنه قد غادر مقره بملخ ليقيم في بلاد الشام بعد أن حوّل ممتلكاته الى بيت مال المسلمين (2)

، ولا شك أن برمك لم يقدم على مثل هذا العمل الا بعد دخوله في الاسلام ، ومع أن المؤرخين القدماء لا يصرّحون بذلك الاّ أنهم يؤكدون أن أبناءه كانوا يحملون أسماء عربية لها صلة بالاسلام (3) .

وليس لدي مايثبت أن " برمك " هذا قد حاول أن يعدل اسمه بعد اسلامه كما جرت العادة وتعذ اك بل ظل يحمل اسمه حتى بعد توليته امارة مدينة بلخ (4) ، في عهد الخليفة الأموي

---

(1) سليمان بن عبد الملك يدرجه كثير من المؤرخين القدماء ، من ضمن خيار الخلفاء الأمويين ، لحسن سياسته وعدله طيلة فترة حكمه ، وقد وزر له ابن عمّه " عمر بن عبد العزيز " الذي اشتهر بالعدل والاخلاص للدولة الاسلاميّة قبل وبعد توليه الخلافة كما اعتمد " سليمان على أخيه " مسلمة في الاشراف على عمليات الفتح والغزو التي كثرت في عهده ، خاصة ضد الروم البيزنطيين على الحدود الشمالية للدولة الأمويّة . أنظر ، التفاصيل عند ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 79 ، 101 ، 115 وما بعدها . و ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 183 ــ 191 . و ، أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) ، المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت بدون تاريخ ، ج 1 ، ص 200 . و دائرة المعارف ، مادة سليمان بن عبد الملك .

(2) خواند امير (غياث الدين همام الدين) ، دستور الوزراء (بالفارسيّة) ، تصحيح وتقديم . حق . جاب محفوظ ، طهران ، طبعة حجريّة 1317هـ/1899م ، ص 35 .

(3) ابن الفقيه ، مختصر ، ص 224 ، ومن بينهم ، سليمان والحسن وخالد ، الذين سيكون لهم دور هام في تاريخ الخلافة العباسيّة ، أنظر الفصل الثالث في هذا البحث .

(4) *Quatremère, Op., cit., p.111.*

" هشام بن عبد الملك " (105هـ – 127هـ/724م – 743م) (1)

ويصعب تصديق ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن " برمك "، الى جانب اعادة بناء هذه المدينة عام 107هـ/726م، قد أقام مسجدا على أنقاض معبد " النوبهار " الذى كان يرعى شؤونه (2) الآن هؤلاء المؤرخين لم يضيفوا ماذا كانت المدينة قد تعرضت للخراب، كما أنه ليس من السهل تهديم معبد أحكم بنيانه لاقامة مسجد لان ذلك يتطلب تكاليفا باهظة، فضلا عن ذلك، فان هذه العملية نفسها قد نسبت الى شخصية أخرى من أسرة البرامكة بعد هذا التاريخ بزمن طويل (3)

---

(1) هشام بن عبد الملك، تولى عرش الخلافة الأموية بعد موت أخيه يزيد بن عبد الملك عام 105هـ/724م. ويوصف عادة بحسن السياسة ومباشرة الأعمال بنفسه، كما ينسب اليه خلال حكمه الطويل عدة اجراءات هامة فى تاريخ الخلافة الأموية. وللتفاصيل عن هذا الموضوع، راجع لابن الأثير الكامل، جـ 4، هنا وهناك. و المسعودى، مروج، جـ 3، ص 216 – 223. و خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء...، ط 5، دار العلم للملايين بيروت، 1400هـ/1980م، جـ 8، ص 86.
و .. 130 / 120.
– محمد أسين غالب تاريخ العلويين، ط 3 دار الأندلس، بيروت 1399هـ/1979م، ص 221. مورييس، الاسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، ط 1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص 55 – 56
(3) أنظر نشاط الفضل البرمكي، فى الفصل الرابع.

ولعلّ القصد من ذلك أن برمك كان قد كلّف بترميم سور المدينة لفصل احدى ضواحيها بسبب اختيارها كموقع لاسكان بعض المسلمين المجاهدين لحماية سكان المنطقة من الغزوات الخارجيّة التي كانوا يتعرضون لها باستمرار (1) ومهما يكن من أمر ذلك فان الروايات التاريخيّة لا تشير الى أن " برمك" قد عاد الى الشام بعد انتهائه المهمّة التي كلّف بها في بلخ أم واصل نشاطه هناك كما أنها لا توضح متى وكيف صارت أسرته من موالي قبيلة "الأزد"* العربية . وأرجح أن يكون لهذه القبيلة العربية الفضل كبير في تقويم لسان هذه الأسرة " الأعجمي " ، وترويضها لتبنيها لاستيعاب المقوّمات الأساسيّة للحضارة العربية الاسلامية ، والتي كانت ولا شك أهم

---

(1) أنظر الطبري تاريخ ، ج 7 ، ص 41- 42) و) الفردوسي الشاهنامة ، ص 327 ابن الأثير، الكامل ، ج 4 ، ص 19 .

*الأزد : من أهم القبائل العربيّة التي هاجرت الى خراسان بعد الفتح الاسلامي لها ، حيث استقرّت بها وامتزجت بعض عناصرها بالسكان المحليين . ويرجع تنظيمها كقبيلة محاربة في حركة الفتح في العهد الأموي الى القائد قتيبة بن مسلم الباهلي . وقد كان زعيمها "جديع بن علي الأزدي من أهم المنافسين لوالي الأمويين على خراسان - نصر بن سيار وقتذاك - حيث كان يطمح الى أخذ منصبه ، ولذلك " بذل " أبو مسلم الخراساني " جهودا كبيرا في استمالته لصالح الثورة العباسية . ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 226- 227 وما بعدها . فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، 93هـ - 132 /716-749 ، ط1 دار الارشاد ، بيروت ، 1399هـ/ 1970م ، ص 95 ، 275 . و سامية توفيق عبد الله الحياة السياسية في خراسان من بداية العصر العباسي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، رسالة جامعية قدمت . لجامعة القاهرة ، 1391هـ/1971م ، ص 82- 115 . و ثريا حافظ عرفه ، الخرسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ، ط 1 ، جدة 1402هـ/ 1982م ، ص 26 - 28 . و 132 ،

عون لـ خالد البرمكي* على المبادرة في القيام بالأدوار الهامة في تاريخ الخلافة العباسية .

والمعلومات عن حياة " خالد " وطفولته نادرة مما لا يسمح للباحث الخروج بصورة واضحة عن معالم شخصيته . (1)

وليس من السهل تحول فكرة نشأة هذا الرجل نشأة اسلامية لتضلعه في اللغة العربية وورود اسمه العربي في أغلب الروايات التاريخية كما هو الشائع (2) فهناك ما يبين أنه نشأ على الديانة المجوسية وتشبع بها ، وقد كان شرفا على الشؤون المالية لمعبد النوبهار الذي أشرت اليه سابقا (3)

ومن الصعوبة بمكان معرفة نشاط " خالد البرمكي " خارج عضويته البارزة في سلسلة المعارك التي خاضها ضمن جيوش الثورة العباسية ضد

---

* خالد البرمكي ، أول برمكي تردد الروايات التاريخية أخباره سبا لتفصيل ، ولذلك يعد " خالد " المؤسس الحقيقي لمجد الأسرة البرمكية في تاريخ الخلافة العباسية كما سنرى .

(×) قارن ، ابن خياط (خليفة بن خياط الليثي) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ، سهيل زكار ، ط 1 ، دمشق ، 1387هـ - 1388هـ/1967م - 1968م ، ج 2 ، ص 412 وما بعدها . ب ، ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن) التاريخ الكبير ، تحقيق عبد القادر أفندي بدران ، مطبعة روضة الشام ، دمشق ، بدون تاريخ ، ج 5 ، ص 28 . و ب ، ابن الوكيل ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ، ورقة 10 ، ب .

(1) تحدد بعض الروايات سنة 90هـ/708م ، تاريخا الميلاده ، بيد أنها لا تتحدث عن المكان الذي ولد فيه ولا عن طفولته أين قضاها .) انظر ابن عساكر ، تاريخه ، ج 5 ، ص 28 .

(2) أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي ، ص 82) و ، أميمه بيطار ، تاريخ العصر العباسي ، مطابع مؤسسة الوحدة ، دمشق ، 1400هـ-1401هـ/1980-1981م ، ص 145 .

الجيش الأموي في منطقة خراسان* فيما بين عامي (129هـ - 132هـ/
746م - 749م) .

ويلاحظ أن بعض المؤرخين القدماء كانوا يضخمون دور " خالد البرمكي
ويطنبون في ذكر خدمته للعباسيين ، مسجلين له تاريخا مديدا عبر روايات مختلفة
، ظاهرة التلفيق فيها واضحة . (1)

وذلك حين يرجعون نشاطه لصالح " الدعوة العباسية" ضد الأمويين ، منذ
مراحلها الأولى . ويؤكدون على أن " خالدا كان على اتصال

---

* خراسان .. من أهم الأقاليم الفارسية ، تمتد حدودها من بلاد العراق غربا حتى
حدود بلاد الهند شرقا ، وتشتمل على أكثر المدن الهامة وقتذاك مثل : نيسابور ومرو ،
بلخ ، وغيرها .) فتحت للمسلمين ابتداء من سنة 18هـ / 639م . وأغلب
المصادر التاريخية تؤكد أن الخراسانيين - الشيعة - كانوا أكثر الشعوب
الاسلامية حقدا على الخلافة الأموية لذلك كانوا مصدر معارضة ، وثورة ضدهم
. وقد فطن الدعاة العلويون ثم العباسيون الى هذا الحقد الكامن في نفوس
الخراسانيين فعملوا على تزكيته بمختلف الوسائل وقد كان ذلك سر نجاحهم
في القضاء على السلطة الأموية بالمشرق . انظر ، مؤلف مجهول (من القرن
الثالث هـ/ التاسع م) ، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده تحقيق
عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، بيروت ،
1391هـ/ 1971م ، ص 165 وما بعدها . ، ابن قتيبة ، عيون ، ص 136 - 141 .
وياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 35 - 354 ، .
التبريزي (محمد بن علي) ، المقفى ، مخطوط ، نسخة مصورة في مكتبة
الأستاذ سهيل زكار الخاصة ، ج 2 ، ورقة 3 أ - 13 أ . ، محمد توفيق خفاجة ،
تطور النظم الادارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي
الى نهاية القرن الرابع الهجري رسالة جامعية قدمت لجامعة القاهرة عام
1386هـ/ 1966م ، ص 42 - 65 ، عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم ، ص 3 1
188 و سامية توفيق ، الحياة ، ص 44 وما بعدها .

(1) انظر مثلا ابن الوكيل ، مخطوط ، ورقة 10 ب . و ، ابن كثير ،
البداية ، ج 10 ، ص 35 ، و ، أميمة بيطار ، تاريخ العصر العباسي
، ص 145 .

دائب بامام الدعوة العباسية "محمد بن علي" (1) ثم بخليفته "ابراهيم بن محمد" لما وقد كان هذان الامامان من أهم أئمة الدعوة وأكثرهم نشاطا لصالح قضية العباسيين في تحضير الثورة ضد الأمويين ساعد تعم ذلك حسن توجيهه الدعاة وسريعة الاتصال

---

(1) محمد بن علي بن عبد الله العباس بن عبد المطلب (62هـ ـ 125هـ / 681م ـ 743م) من رواد الدعوة العباسية في مرحلتها السرية [illegible] أن الامام محمد كان قد ارجع زعامة الدعوة وأبعدها في البيت العباسي بدل البيت العلوي واليه ينتسب معظم الخلفاء العباسيين وقد كان الخليفة العباسي الأول والثاني ومن أبنائه أنظر الطبري جـ 7 ص / 109 ، 141: 142، 199، 200 ابن الاثير ، جـ 2 ص 4 1، جـ 3 ؟ ص 0 1 3 ، جـ 4 155 ومابعدها وابن العماد (ابو الفلاح عبد الحي الجنبلي شذرات الذهب في أخبار من ذهب تحقيق لجنة التراث العربي في دار الافاق الجديدة منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت بدون تاريخ جـ 1 ص 166 ، الزركلي الاعلام جـ 6 ص 71 2 ،

(2) ابرهيم بن محمد بن علي ، (82هـ ، 131هـ / 1=70م) تولى الامامة بعد أبيه محمد وتكاد تتفق المصادر التاريخية أنه كان من أنشط أئمة الدعوة العباسية وعلى يده انتقلت من مرحلتها السرية الى المرحلة العلنية ، حيث كان قد وجه "أبا مسلم الخراساني" واليا على الدعاة بخرسان وأمره بإعلان الثورة ضد الامويين وقد قتل الامام ابرهيم بأمر من الخليفة "مروان بن محمد" آخر الخلفاء الامويين بالمشرق في الوقت الذي كانت فيه الثورة على وشك القضاء على النفوذ الاموي هناك. انظر الطبري، تاريخ جـ 7 ص 353 ـ 363 ابن الاثير الكامل ، جـ 4 ص 252 وبعدها ابن العماد ، شذرات جـ 1 ص 179 1 الزركلي ، الاعلام ، جـ 1 ، ص 59 : :

وليس لدي ما يساعد على فهم أسباب عداء "خالد" البرمكي "المبكر للأمويين" رغم ما يلاحظ من حسن نيتهم تجاه أسرة البرامكة ، حيث يشير بعض المؤرخين (1) الى أن "خالدا" كان من أنصار "الشيعة" (2) المعارضين للسلطة الأموية ومهما يكن من أمر ذلك فانه من الصعوبة بمكان الاطمئنان الى هذه الروايات التي تربط بداية نشاط خالد البرمكي بعدائه ضد الأمويين .

ولعل ذلك كان من صنع بعض الرواة كمحاولة منهم تفسير أسباب تطور أسرة البرامكة منذ نجاح الثورة العباسية .

---

(1) لمؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق عبد العزيز وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة بيروت ، 1391هـ / 1971م . ص 240 . و ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1391هـ / 1971م ، ج3 ، 223 . و عبد الرحمن العمري ، أثر الفرس ، ص 186 انتقلا عن العمري مسالك الأبصار (مخطوط) ج2 ، ورقة 156 .

(2) الشيعة . من أهم الفرق المذهبية في تاريخ الاسلامي ، اشتهرت بمناصرتها لفكرة أحقية أهل البيت في امامة المسلمين ، وتتحمس في الدفاع عن ذلك ، خاصة (علي بن علي طالب) في الخلافة وحق نسله من بعده ، ويرى أن أفكار هذه الفرقة قد تركزت في البداية أمرها في مدينة الكوفة . ومنها انتشرت في كامل العراق وما يليه من الأقاليم الشرقية ، خاصة منطقة خرسان . . أنظر ، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ، الملل والنحل ، ط 2 و ، يولهيوزن فلهاوزن ، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج الشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ط2 ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1398هـ / 1978م ، ص 112 — 183 ، و محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرن الأول والثاني بعد الهجرة ، ط4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1393هـ / 1973م ، ص 131 — 152 . و حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ط7 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1384هـ / 1964م ، ج1 ، ص 394 — 409 . و محمد عمارة الاسلام وفلسفة الحكم ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1399هـ / ، ص 157 — 168 .

وحسب ما تجمع مع السد من روايات تاريخية عن أحداث الثورة ، يلاحظ أن العباسيين فى مواجهتهم للظروف الصعبة التى كانت تحيط بهم ، قد اتبعوا أسلوبا جديدا فى نشاطهم ضد الأمويين ، يعتمد على جهاز فى غاية السرية ، يحتل "الامام" فيه رأس الهرم ، ويساعده مجموعة من الدعاة لا يشك فى اخلاصهم له فضلا عن تمتعهم بقدرات فائقة فى السياسة وحسن التدبير ميزتهم عن غيرهم وهم الوحيدون الذين كانوا يعرفون الامام وقليلا ما كانوا يجتمعون به خفا طنًا على سرية الدعوة (1)

والمصادر الأساسية المتعمد عليها تفتقر الى الروايات حول هذه الأعمال السرية فى جهاز الدعوة ونادرا ما تشير اليها (2)

لذلك فإن حظ "خالد البرمكي" فى الاتصال بأئمة الدعوة قليل جدا وقد يكون مرفوضا بالمرة (3)

---

(1) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة ، ص 165 ـ 260 المقدسى ، البدء ، جـ6 ، ص59 ـ 61 ابن قتيبة العيون ص 136 ، الطبرى تاريخ جـ7 ، ص109 ، 141 ـ 142 ، 199 ، 200 ، و، ابن الأثير ، نفس المصدر جـ4 ص 235 ، 277 ، والمقريزي مخطوط ورقة 17أ ـ 10 ب ومحمد محمود اسماعيل ، الحركات السرية فى الاسلام (رؤية عصرية) ، دار القلم بيروت 1393 هـ / 1973 م ، ص75 ، عمر فاروق ، طبيعة ص154 :

(2) يشكو دارسو التاريخ الاسلامي الوسيط من قلة وثائق الدعوة العباسية فى مرحلتها التحضيرية أنظر جوانيان سرس ، دراسات فى التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ترجمة وتعليق عطية القوصى ، ط1 ، الكويت ، 1400 هـ / 1980 م ، ص64 ، ومحمود اسماعيل ، الحركات ص74 ، وعمر فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ط1 دار الارشاد بيروت 1389 هـ 1970 م ، ص042 •

(3) لا يشير المؤرخون القدماء المعتمد عليهم الى اتصال خالد البرمكي بأئمة الدعوة الا روايات المؤرخين التي اشرت اليها ، وهي روايات ضعيفة بالقياس الى روايات مؤرخين غيرهم امثال "اليعقوبي" و"البلاذري" وغيرهم •

ولعل اهم عمل كلف به فى اطار تدعيم المعارضة ضد الامويين هو اشرافه على جمع التبرعات من أنصار الدعوة العباسية فى اقليم "جرجان"* ابتداء من عام 129هـ/746 م، الوقت الذي أشرفت عليه الثورة ضد الامويين على وشك الاندلاع (1)

وعلى العكس من ذلك حين اعلان الثورة فى نفس السنة يلاحظ دور "خالد البرمكي" كثير وضوحا مع شيء من المبالغة تجعل الباحث يشك فى صحة ذلك اذ لم يكن للرجل دراية اقدمية فى فنون الحرب ومكايدها وحسب علمنا أنه لاول مرة يشارك فى مثل هذه الاحداث والملاحظ أن "خالد" قد كان لا يفارق الجيش العباسي

---

*جرجان من اهم الاقاليم، يقع بين اقليمي طبرستان وخراسان، يتميز بموقع هام واغلب اراضيه خصبة انتاج زراعي وفير، انضم لاقليم للدولة الاسلامية منذ حركة الفتح الاولى فى بلاد فارس فى حدود عام 18هـ/658 م وقد نال اهتمام الدولة نظرا لحيوية هذا الاقليم خاصة من جانب الولاة الامويين ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ص119_122، وابن الاثير نفس المصدر ج1 ص140، 323، ج3 ص 10 وما بعدها، دائرة المعارف الاسلامية مادة "جرجان".

(1) حول احداث الثورة انظر الطبري تاريخ ج7 هنا وهناك والمؤلف مجهول، اخبار الدولة ص 220، 237، ابن الاثير نفس المصدر ج4 هنا وهناك وعبد الله مهدي الخطيب الحكم الاموي فى خراسان (دراسة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي رسالة جامعية قدمت لكلية الاداب جامعة عين شمس القاهرة عام 1391هـ/1971م مكتبة الجامعة قسم الرسائل، ص 188_193.

الذي كان تحت قيادة " قحطبة بن شبيب *" منذ تحركه في المشرق ضد فرق الجيش الأموي وقد كانت مهمة " خالد " فيه تجمع الى جانب نشاطه العسكري اشرافه على توزيع الغنائم بين الجند العباسي وراء كل انتصار على نظيره الأموي (1) .

وبغض النظر عن مبالغة بعض الرواة حجم هذه الغنائم (2) فان المهمة كانت شاقة بالنسبة لـ " خالد " وقتذاك ، حيث لم يكن هناك دواوين يعتمد عليها في تنظيم عملية التوزيع ولا سجلات يرجع اليها عند الحاجة . ويظهر أن قحطبة " قد أدرك بثاقب نظره ما يمكن أن يصلح له هذا الرجل ذو الخبرة الواسعة في الشؤون المالية .

---

* قحطبة : هو قحطبة بن شبيب الطائي ، من أشهر رجال الدعوة العباسية بدأ نشاطه فيها منذ عام 103هـ/721م ، اشتهر بسداد الرأي والقدرة الفائقة في الحرب ، حيث كان من أهم قادة الثورة ضد الأمويين منذ اندلاعها عام 129هـ/746م . وكان مظفرا في أغلب المعارك التي خاضها ويروى أنه مات غرقا بنهر الفرات أثناء قيادته للمعركة الفاصلة ضد الجيش الأموي عام 132هـ/749م . حول تفاصيل أخبار هذا القائد راجع ابن قتيبة الامامة ، جـ 1 ، ص 141 وما بعدها ، ابن خياط تاريخه ، جـ 2 ، ص 409 — 423 المقدسي البدأ ، جـ 6 ، ص 64 — 68) الدينوري ، الأخبار ، ص 363 — 364 لمؤلف مجهول تاريخ ، ص 527 — 560) ابن الأثير الكامل ، جـ 4 ، 159 ، 252 ، 261 ، الزركلي الأعلام ، جـ 5 ، ص 191) و . عبد الله مهدي الخطيب ، الحكم الأموي ، ص 194 — 196 .

(1) ابن خياط تاريخه ، جـ 2 ، ص 144 وما بعدها .) الطبري تاريخ ، جـ 7 ، ص ، 381 — 391) و ابن قتيبة ، الامامة (منسوب اليه) ، ق 1 ، ص 117 وابن الأثير الكامل ، جـ 4 ، ص 313) ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ، ص 35 . و ، الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله) العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، سلسلة التراث العربي ، الكويت 1380هـ/1960م ، جـ 4 ، ص 246 .

(2) الطبري تاريخ ، جـ 7 ، 405 ، 419 — ابن الأثير الكامل ، جـ 4 ، ص 313

ولم تكن مهام خالد البرامكي تقتصر على الميدان العسكري فحسب بل كلف ايضا قبل قائده "قحطبة" بمحاولة التوسط لدى ولاة الامارات المجاورة لاقليم خرسان لاقناعهم باهمية الثورة وضرورة موازرتها (1)

ولا تفصح المصادر التاريخية عن سر تعيين خالد في مثل هذه المصادر الحساسة دون غيره وعن انشغاله بقضايا الجند التي كانت تزداد تعقيدا يوما بعد يوم وعين دل ذلك على شيء فانما يدل على ان خالدا قد كان موضع ثقة كبيرة من جانب قادته من جهة ومن جهة الاخر تعكس هذه الظاهرة بذور الاصلاح الاجتماعي والاخذ في التطور التدريجي منذ بدايات الاولى لحركة العباسيين ضد خصومهم الامويين (2) .

---

(1) مؤلف مجهول من القرن الخامس) . هـ /الحادي عشر م) تاريخ الخلفاء نشر وتقديم بطرس غريازنيويخ سلسلة آثار الآداب الشرقية دار لنشر بموسكو 1387 هـ / 1967م ، ص553.

(2) من أهم الشعارات التي رفعها العباسيون اثناء ثورتها ضد الامويين شعار المساواة لاجتماعي بين الافراد وضرورة تغيير العلاقات الاجتماعية القائمة . ويبدو وانهم كانوا حريصين على تطبيقات سوءا كان ذلك اثناء الثورة او بعدها انظر الفصل الثالث من هذا البحث ...

ومهما يكن من أمر ذلك فان " خالدا البرمكي " قد صار يعتمد عليه فى أكثر المسائل ذات الأهمية الكبيرة ، لما أظهره من قدرة على استيعاب الظروف التى كان يمر بها جيش الثورة العباسية (1) ففى الوقت الذى تمكن فيه الثائرون من تصفية نفوذ الادارة الأموية على بعض الأقاليم ، ضمت مسؤولية الاشراف على ضرائب أراضيها الى " خالد البرمكي " ، وذلك من أجل توحيد الاعتمادات المالية للثورة (2) ولعل هذا التخصص الذى مارسه " خالد " هو الذى دفع بأحد المؤرخين الى القول بأن " خالدا " واخوته قد ارتموا فى الثورة العباسية واضعين ثروتهم تحت تصرفها (3) . والظاهر أن هذه المهام ذات الصبغة المالية ، قد أكسب الرجل خبرة هامة جلبت اليه الاحترام والشهرة

---

(1) قارن ، الجهشياري، الوزراء ، ص 88، ب) ابن خياط ، تاريخه، ج 2 ، ص 414 وما بعدها ،) و، ب ، الدينورى (أبو حنيفة أحمد بن داود) ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر، ط 1 ، القاهرة، 1380هـ/ 1960: ص 363 - 364 ، ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد) ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1402هـ/ 1982م، ج 4 ، ص 480 ، 482 ، و، اليافعي ، مرآة ، ج 1 / ص 425،) ابن قتيبة، عيون الأخبار ، ج 1، ص 117 ،

(2) الجهشياري، الوزراء ، ص 87،) و ، لمؤلف مجهول ، تاريخ ، ص 553،

(3) Bouvat, Op., cit., p. 37.

مع رفقائه من جنود الثورة فحسب بل من رجال الخلافة الناشئة أيضا .
وقبل أن يتمكن الثائرون ضد السلطة الأموية على ترشيح أول خليفة عباسي ، كان " أبوا سلمة الخلال (1) - وزير آل محمد — وغيره من قادة الثورة يشرفون على اقرار الوضع بالمنطقة ، لتهيئة الجو المناسب بعد موجة الاضطرابات التى أصابت السكان نتيجة الحرب المصيرية (2)
ويبدو وأن خالدا قد كان من أهم من يعتمد عليهم فى مثل هذه الظروف ، ولذلك فقد كلف من طرف الوزير " أبي سلمة بالاشراف على تسير شؤون " دير قني " (3) مباشرة بعد الاطمئنان على التصفية

(1) أبوا سلمة الخلال هو حفص بن سليمان الهمدانى ، الرئيس التنفيذى للدعوة العباسية ، والمنسق الأساسي لجهاز الدعوة كان يقيم بالكوفة ، وفيها كان يتصل به الدعاة ويقدمون له تقاريرا عن الوضع فى خراسان وعن نشاطهم هناك ، وكان هو بدوره يقدم ذلك للأئمة المستترين بالحميمة ، وتشيد المصادر التاريخية بذكر أعمال " أبى سلمة " لصالح الدعوة ، وتلقبه عادة بـ " وزير آل محمد " أنظر ، البلاذرى (أحمد بن يحى بن جابر) ، أنساب الأشراف ، مخطوط ، نسخة مصورة فى مكتبة الأستاذ سهيل زكار الخاصة ، دمشق ، ورقة 300 أ .
المقدسي (المطهر بن طاهر) ، البدء والتاريخ ، ط2 ، مكتبة الأسدى ، طهران ، 1386هـ / 1966م ، ص 65 — 71) سامية مصطفى عبد الله ، الحياة ، ص 79 — 83 . عبد الله مهدى الخطيب ، الحكم الأموى ، ص 188 — 193 .
(2) هناك اشارة الى أن بعض المدن الاسلامية فى العراق كانت تعيش فى ظروف صعبة نتيجة انتشار الاوبئة الفتاكة الى جانب الأوضاع السياسية المتردية بسبب الثورة ضد الأمويين .) أنظر ، ابن خياط ، التاريخ ، ج 2 ، ص 421 .
(3) ويقال له دير الأسكون أيضا ، وكان أشبه بالحصن المنيع ، قريب من المنطقة التى بنيت فيها بغداد — عاصمة العباسيين — فيما بعد ، ويشرف هذا الدير على الكثير من الضياع والبساتين ، ذات الغلة الوافرة بسبب مرور احدى روافد نهر دجلة فى وسطها .
أنظر ، الطبرى ، تاريخ ، ج 7 ، ص 419 .
و ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 332 ، وياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 523 .

شبه التامّة لسلطة الأمويين في العراق وما يليها من الحدود الشرقية . والمتتبع للأحداث السياسيّة وقتئذ قد يشك في تعيين خالد البرمكي " بعيدا عن الكوفة (1) مركز قيادة الثورة العباسيّة ، ويرجح أن يكون هذا التعيين مرتبطا بالترتيبات الأوّلية لمشروع خطير كان الوزير " أبو سلمة الخلال " ينوي القيام به (2)

وأظن أن ابعاد " أبو سلمة " خالدا البرمكي وغيره عن الصراع السياسي الخفي القائم بعد القضاء على الأمويين ، ينفي ولاء خالد " للشيعة كما تزعم بعض الروايات .

(1) الكوفة .. من أوائل المدن التي بناها المسلمون ، واحدى أهم مدن العراق اشتهر سكانها بعدائهم الشديد للسلطة الأموية حيث كانت مركزا للشيعة ، أخطر فرقة اسلاميّة منافية لحكم خلفاء بني أمية ، وذلك كان سكان هذه المدينة أهم عون للدعاة وأكثرهم تجاوبا مع مبادئ وشعارات الدّعوة .
أنظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 490 ـ 494 .) وابن الأثير ، الكامل ، ج 1 ، ص 40 ، 53 ، 167 ، ج 2 ، ص 46 وما بعدها .
و ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادّة (كوفة) .
(2) تكاد تجمع المصادر التاريخيّة أن الوزير " أبي سلمة الخلال " قد قام بتعطيل عمليّة البيعة لـ أبي العباس " عند نجاح الثورة العباسية وانتقال الدولة الى العباسيين ، ويروى أنّه راسل سرّا عدّة شخصيات علويّة وواعدهم بارجاع الامامة اليهم بدل العباسيين ، الاّ أنه لم ينجح في هذه المؤامرة بسبب فطنة بعض القادة من أنصار العباسيين ومن لميهم . أنظر ، أبو حنيفة الدينوري ، الأخبار ، ص 370 ـ 372 ، الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 423 ـ 424 .
و ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 26 . ابن الأثير الكامل ، ج 4 ، 323 ،
و ، ضيف الله بطاينة ، العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول (رسالة جامعية) ، جامعة الأزهر ، 1393هـ/1973 ، مكتبة كلية اللغة العربية ، رقم 1175 ، ص 298 ـ 314 .)

لأنه لو كان كذلك لكان أهم عون للوزير في تنفيذ خطته بحكم مكانة "خالد" بين جند الثورة العباسية التي أشرت إليها سابقاً ولذلك فليس لدي ما يساعد على فهم أهداف "أبي سلمة" من تكليف "خالد" تسيير شؤون ديرقني البعيد عن الكوفة ، فيرجح ما حاولة الوزير ضمان مورد غذائي للجند ، حيث كانت الأراضي الزراعية مهملة ، وكان الانتاج الزراعي منخفضاً بحكم تطور أحداث الحرب وما صاحبها من فقدان للأمن والاستقرار ، ويبدو أن "خالداً" قد عاد الى الكوفة بعد ذلك بقليل ، في الوقت الذي تمكن فيه بعض القادة المخلصين للبيت العباسي من التنبه على محاولة الوزير "أبي سلمة" في مهدها (2) ، وفرض رأيهم

---

(1) أنظره ابن خياط ، تاريخه ، ج 2 ، 424 ،

(2) تقول الرواية أن أبا سلمة الخلال قد شعر بخروج الأمر من يده لذلك اعترف بالأمر الواقع ، وبادر بالاعتراف بالخليفة العباسي فاستفزه أحد موالي العباسيين بعبارات بالغة التجريح ، أنظره الطبري ، تاريخ ج 7 ، ص 424 .

عليه في تنصيب الخليفة العباسي الاول" أبوا العباس السفاح"(1) عام 132هـ/749م
والملاحظ ان هذه الحادثة قد طرحت قضية هامة جدا منذ بداية تاريخ الخلافة العباسيّة ، وأبرزت بوضوح مدى تطوّر علاقة الخلفاء العباسيين بوزرائهم وأعوانهم (2)
ولذلك كان الخلفاء العباسيون حريصين على اختيار هؤلاء الأعوان من مواليهم ، وحذرين من تطاول هذه العناصر في غير صالحهم كما سنرى ولا أشك في أن " خالدا " لم يكن يجهل هذه الظروف التي كانت تمر بها الدّولة الاسلامية بحكم أقدميته في الاتصال بقادة الثورة وكبار رجالها ،

---

(1) أبوا العباس عبد الله بن محمد بن علي ، أوّل خليفة عباسي حكم من سنة 132هـ/ الى 136هـ/749م الى 753م ، كان قد انتقل الى الكوفة بعد مقتل أخيه " ابراهيم الامام " عام 132هـ/749م ، بعد أن أوصى له بالامامة . ولما تمت له البيعة التي خطب خطبة انتقد فيها سياسة الأمويين ، وأشاد باخلاص هؤلاء أهل الكوفة وأهل خرسان ووعدهم بالأعطيات ، وبالالتزام بما قامت على أساسه الدّعوة العباسيّة ، حول تفاصيل الموضوع راجع . الطبرى ، تاريخ ، جـ 7 ، ص 421 وما بعدها . و) المسعود مروج ، جـ 3 ، ص 270 . السيوطي (جلال الدين) تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون اشارة لمكان الطبعة ولا تاريخها ، ص 256 — 259 . و ، ابن كثير (أبوا الفداء) البداية والنهاية ط 1 ، مكتبة المعارف بيروت ، مكتبة النصر الرياض ، 1386هـ/1966م ، جـ 10 ، ص 40 — 41 . و ، حسن نفس المرجع ، ص 21 — 27 . وأحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية بيروت ، 1392هـ/1972م ، ص 41 — 45 .

(2) أنظر ، توفيق سلطان اليوزبكي الوزارة نشأتها وتطوّرها في الدّولة العباسية ، (132هـ/ — 447هـ) ط 2 ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر الموصل بغداد ، 1396هـ/1976م ، ص 75 وما بعدها وسأشير الى طبيعة هذه العلاقة والى الظروف التي تمت فيها خلال الفصول القادمة من هذا البحث .

لذلك تشير الروايات التاريخية أنه لم يتدخل فى شئ من أمور السياسة وشؤون التسيير الا بعد أن تتلقى الاوامر من الخليفة العباسى الجديد (1)

وأظن أن هذا الحذر الذى كان يسلكه خالد البرمكي لم يكن من تبجيل طباعة أو بمحض الصدفة ،بل كان ناتجا عن وعي كبير وادراك عميق للظروف الانتقالية التي كانت تمر بها الخلافة العباسية ، ولعل ذلك كان سببا في فوزة بالمناصب السامية في الدولية ونجاحه فى تكوين مجد كبير الأسرة البرامكة خلال المرحلة التالية من تاريخ الخلافة العباسية ،

---

(1) الجهشيارى ،الوزراء ،ص 89 ، المقدسي البدء ،ج 6 ،ص 77،و، ابن كثير البداية ،ج 10 ،ص 55، وتغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن) ،النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة التأليف ،،، بدون تاريخ ،ج 1، ص 323 .

(1) Bernard,Lewis, *Les Arabes dans l'histoire* , A La Baconière, Neuchatel Lddaes, 1958, pp.677

الفصل الثالث

دور أسرة البرامكة قبل خلافة هرون الرشيد

بغض النظر عن مخلفات الحرب المريرة (129هـ — 132هـ/ 747م — 749م) التي تركتها الثورة العباسية، فقد كان ينتظر من الخلفاء مهام جديدة لا تقل صعوبة عن مهام الحرب (1) .
ومما لا شك فيه أن أهم قضية تطرح في مثل هذه الظروف هي مشكلة الاطارات المسيرة والمستخدمين الاداريين لارساء قواعد النظام الجديد (2)

ولم يجد الخليفة العباسي الأول — " أبو العباس السفاح (132هـ — 136هـ/ 749م — 753م) . بدا من الاستعانة بالمخلصين للبيت العباسي من ذوي الخبرات في الشؤون الادارية المختلفة (3) .
وكان طبيعيا أن يحتل " خالد البرمكي " وقتئذ مرتبة هامة ضمن صفوف أعوان الخليفة الجديد .

الا أن ذلك لم يحصل لوجود شخصيات غيره كان لها الأثر

---

(1) *Lewis, B., EI è ,Art (Abbasside), T.1, p.18.*
(2) *Dozy, Essai sur l'histoire de l(Islamisme, trd, par Chauvin, Leyde-Paris, 1879, p.228.*

(3) أنظر، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله)، المعارف تحقيق ثروة عكاشة، ط 2، سلسلة ذخائر العرب رقم 44، دار المعارف بمصر . القاهرة، 1399هـ/ 1969م، 374 — 376. و، سامية توفيق عبد الله، تطور نظام الوزارة، ص 10 — 17 .)

ولنفس الكاتبة . ، الحياة السياسية في خراسان في بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،
(رسالة جامعية)، قدمت لجامعة القاهرة، 1399هـ/ 1979م، مكتبة كلية الاداب، ، رقم 2974 ، ص 148 .

البارز في سير الأحداث وتوجيهها .

فأبو" سلمة الخلال" الذي عد من أنشط رجال الدعوة وأهم رؤسائها في الكوفة، قد خول له ذلك أن يصير أكبر شخصية سياسية وادارية بعد القضاء على الأمويين، حيث مثل أدوارا خطيرة في ظروف انتقال الخلافة الى العباسيين بحكم مركزه، قبل أن تعطى البيعة للخليفة العباسي الجديد كما أشرت سابقا وتنطبق نفس الوضعية على القائد الذائع الصيت" أبي مسلم الخرساني (1) الذي غدا مطلق التصرف في الأقاليم الشرقية من الخلافة اذا صار سيد منطقة "خراسان" (2) بدون منازع كما أصبحت هيبته من قبل سكانها.

---

(1) هو عبد الرحمن بن مسلم، من أهم قادة الثورة العباسية لقب بـ" أمير آل محمد " للدور الذي قام به لصالح الدعوة في خراسان، وتفجير الثورة بها ضد الأمويين، ويروى أن (أبا مسلم قد كان من كبار الدعاة في السياسية والحرب، اذ تمكن في مدة وجيزة من ضرب كل تحالف حاول الأمراء الأمويون مواجهته به، وتؤكد المصادر على أن هذا القائد المرهوب قد اغتر بمكانته لدى الخرسانيين، واخذ في ممارسة عدة أعمال تجاوزت صلاحياته، مما أقلق العباسيين وأثار الشك في نفوسهم أنظر، الطبري، تاريخ، ج7، ص 469، و، المسعودي، مروج، ج 3، ص 303، و، ابن الأثير، ج 4، ص 350 - 352، و، المقريزي (أحمد بن علي، المقفى، مخطوط، نسخة مصورة منه في مكتبة الدكتور سهيل زكار الخاصة دمشق، ج2 ورقة 213 أ، ومابعدها، والدراسات حول أبي مسلم كثيرة ومتنوعة أنظر،

(2) أنظر، الطبري، تاريخ، ج8، ص 363، المسعودي، مروج، ج 3، ص254 وابن الأثير، الكامل، ج 4، 304،
Bartold, EIè, Art(Abou-muslem)
T.1, p. 464.

وطاعتهم اياه لا يشك فيها (1)
هذا فضلاً عن بقية الأمراء من العائلة العباسية أو غيرها
الطامحين الى المناصب العليا التي حرموا منها خلال
العهد الأموي، وقد بذلوا في سبيل ذلك الكثير
ومع ذلك فان أحداً منهم لم يتقدم للاشراف على الشؤون
المالية للدولة نظراً للاوضاع المتردية بعد موجة
الاضطرابات الشديدة التي خلفت وراءها العديد من المشاكل (2)
لذا فان تنصيب (خالد البرمكي) في الادارة العباسية
لم يكن مـ[illegible]ـل

---

(1) تجانب الروايات التاريخية في الحديث عن السلطة "أبي مسلم" في أقاليم خراسان ذاكرة منه بأنه كان حاكماً مطلقاً لا يتلقى أوامر من الخليفة العباسي ولا من أي جهة أخرى. أنظر، الطبري، تاريخ، ج7، ص 461؛ المسعودي، مروج، ج3، ص 242؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص 345، 350 - 351؛ أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج1، ص 24؛ ابن كثير، البداية، ج10، 63 - 72؛ ثريا حافظ عرفه، الخرسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول، ط1، جدة، المملكة العربية السعودية، 1402هـ / 1982م، ص91 - 105؛ Dozy, Op., cit., p.223

(2) كان الاقتصاد وقتذاك قائماً على النشاط الزراعي، وتبعاً للأحداث السياسية المضطربة فقد أهملت الأرض واتلفت سجلات دواوينها مما صعب على الخليفة ضبط دخلها أو مراقبة جباتها. أنظر،
Charles Pellat,
Ibn Al muquaffâ " Conséilleur du Calife" Maisonneuvre et L arose , Paris, 1976, p.159.

جـدال ، وقـد أصـابت الخـلافـة حيـن أقـرّتـه علـى ذلـك (1)
ولا يمكـن المـوافقـة علـى الـرأي القـائـل بـأن الخلـيفـة "
"أبـا الـعبـاس" قـد ولاه لاعجـابـه بفصـاحتـه وحسـن بيـانـه العربيـان(2)
، لأن لهـذا الفـن رجـالا غـيره وقتذاك .
وحـالـف الحـظ " خـالـدا " بعـد الاجـراء التطهيري الـذى اقتضتـه
مصلحـة الحكـم الجـديـد ، حيث أزيـح الـوزيـر المفـوّض " أبـو سلمـة
الخـلال " حيـن أخـذ يتجـاوز حـدود مهـامـه (2) وتكـاد تجمـع المصـادر
ـ المعـتمـد عليهـا . أن " خـالدا " صـار يمثـل الـرجـل الأوّل ضمـن صفوف
أعـوان الخلـيفـة أبي العبـاس" ومستشـاريـه الثقـاة (3).

---

(1) أوّل وظيفـة كلّـف بهـا " خالـد البرمكي " فى عـهد الخلـيفـة "
أبـى العباس " ـ بعـد أن أقـرّه علـى مـاكـان علـيـه فى تـوزيـع الغنـائـم
وتـركـات الأمـويـين ، ـ الاشراف على أقره علـى مـا كان عليه فى توزيع الغنائـم
شـؤون خـراج الأرض . انظـر :
الجهشياري ، الوزراء ، ص 89 . المقدسي (المطهر بن طاهر) ، البدأ والتاريخ ، ج 6
ط 2 مكتبة الأسدى طهران ، 1386 هـ / 1966م ، ج 6 ، ص 77 ، و ، ابن كثير
البداية ، ج 10 ص 55 . ، تغري بردي ، النجوم ، ج 1 ص 329 ، و ،

Nikitta, E., Op., cit., p. 123.

(2) الجهشياري ، الوزراء ، ص 89 و ، محمد أحمد برانق ، البرامكة ، ص 14 .
الزركلي الاعلام ، ج 2 ، ص 295

(3) أغتيل " أبوا سلمة الخلال وزير آل محمد كما كان يعرف ، وهو فى عـزّ
نفـوده .) ولـم يكـن عمـر الخـلافـة العباسيّة قد تجاوز سنـة بعـد .)
وذلـك لـدوران الشـك حـول مـواقفـه تجاه البيت العباسي . وتصرفاته المبالغ فيها
والتي كانت توحي الى تعارض بيّن مع سلطة الخليفة . انظر ، الدينوري ، (ابوحنيفـة
احمد بن داود) ، الاخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ط 1 ، القاهرة ، 1386
هـ / 1966م ، ص 370 ـ 372 . ابن الاثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 336 ، 339 .

ومن خلال ذلك تمكّن من أن يقوم بالدّور الأساسي في الخلافة (1)

وقد يكون هذا الاشراف أهم فترة من الوجهة الناحية والعملية الاطلاق لقب " الوزير على " خالد " ليستعمل ذلك كما هو الشائع (2)

ويدل على ذلك عدم اقتصار نشاطه على تسيير شؤون ضرائب الأراضي وتسجيل وارداتها في دفاتر خاصة فقط بل كان يشرف على ادارة الشؤون المالية للجيش العباسي الناشىء " (3)

وقد كان لهذا الاشراف على مثل هذه المناصب الحساسة في الادارة المركزية آثارا ملموسة على مستقبلها ، وذلك من خلال التنظيمات التى سنّها هذا الرجل الطموح . ويعتبر التغيير شبه الشامل لفنيات الادارة الــــــذي احــــــــــدثه

---

(1) أنظر ، السمعودي ، التنبيه والأشراف ، طبعة جديدة منقحة باشراف لجنة تحقيق التراث ، سلسلة في سبيل موسوعة تاريخية 11) دار مكتبة الهلال بيروت ، 1401هـ/1981م ، ص310 .
وابن الوكيل ، أحسن السالك (مخطوط) ورقة 10 أ .

(2) تذكر بعض الروايات أن " خالدا " قد تطير من هذا اللقب لما وقع ل" أبي سلمة " ، وأنه فضل أن لا يدعى بهذا اللقب (أنظر) ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1345هـ/1927م ، ص . 113 ، 129 .) أحمد محمود حسنين ، رسالة في تاريخ هرون الرشيد ، دراسة قدّمت لجامعة الازهر ، 1946هـ/ 1927م ، مكتبة كلية الآداب قسم الرسائل ، رقم 8099 ، ص42 .

(3) ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ورقة 11 أ .

خطيرة على مستقبل الخلافة العباسية (1)

ومن أعقد القضايا التي واجهتها الخلافة في بداية أمرها سلطة قادة جيش الثورة وعلى رأسهم "أبومسلم الخراساني" الذي صار القائد المطاع في كل أمر على مستوى شرق الخلافة الشيء الذي أثار حفيظة البيت العباسي فكان "لخالد البرمكي" الدور الهام في تهديدة هذه المخاوف نتيجة المحاولات الناجحة في فصل العديد من الجند عن قائدهم أبي مسلم دون أن يشعره بذلك (3)

---

(1) أنظر الجشياري الوزراء ص99، و محمود توفيق خفاجي، تطور النظم الادارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي الى نهاية القرن الربع الهجري رسالة جامعية القاهرة قدمت الجامعية القاهرة 1386هـ/1966، مكتبة كلية الاداب بجامعية القاهرة قسم الرسائل رقم 539، ص114

(1) هناك تقرير سري قدمة المنصور العباسي الى أخيه الخليفة وضح لهفيه تزايد مكانة أبي مسلم الدى سكان خراسان وتجاوزاته في ممارسة الصلاحيات المعطاة له وبين حطر ذلك على مستقبل البيت العباسي ويروي أن المنصور لم يتردد في الاشارة الى ضرورة تصفيته للارتياح منه أنظر الطبري تاريخ جـ 7 ص468 ، ابن الاثير الكامل جـ 4 ص346 و ، ابن كثير ، البداية جـ 10 ص58 . وضيف الله بطانية العلاقات ، ص 327 وما بعدها.

(3) الجهشياري الوزراء ، ص94.

وقد ساعد " خالدا " على النجاح في هذه المهمة معرفته الواسعة بظروف الجند نظرا لأشرافه على الديوان الخاص بهم (1)،

ويبدو أن هذا الأجراء الذي من طرف هذا البرمكي تجاه أهم رجل في الدولة قد شجعه على المضي في تنفيذ العديد من الأجراءات المتنوعة واحكام أمرها ، كما جلب له احترام الخليفة والجمهور معا ، ومن أهم العمليات التي نشطت على يد " خالد " سلسلة الأعانات التي قدمها للمعوزين وعائلاتهم (2) ،

وأغلب الظن أن جل هذه الأعطيات قد كانت مكافآت للذين ناصروا الثورة حيث كان العباسيون قد واعدوهم بها حالة القضاء على خصومهم الأمويين ، ولا يرجع ذلك الى كرم خالد البرمكي " وحسن

---

(1) لعل اقدام خالد البرمكي على مثل هذه الأعمال هي التي سمحت للمستشرق " نيكيتا " في القول بأن " خالدا قد صار مشرفا على جميع الدواوين وأنه يمثل سلطة رئيس الوزراء بالمفهوم المعاصر ،)
أنظر :
- Hikitta, Op., cit., p. 123.

(2) أنظر ، السمعودي ، مروج ، ج3، ص377، و ،
ابن عساكر ، التاريخ ، ج5، ص 28 ،

سياسته كما تروّج ذلك بعض الروايات التاريخيّة . (1)

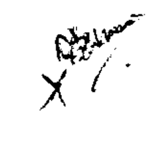
ومهما يكن فان " خالدا " كان رجل سياسة وقد استفاد مما جرى للوزير السابق " أبو سلمة الخلال فأخلص للدّولة وتفانى فى خدمة خلفائها ، فاستحق بذلك شرف الانتماء الى العائلة العباسيّة الهاشميّة حين أقدم الخليفة " أبو العباس" على ابتداع أمر جديد لم يكن مألوفا لدى الأسرة العربية الحاكمة ، حين عمل على ربط أسرته بمواليها - البرامكة - عن طريق رابطة الأخوّة من الرضاعة (2) ذلك أنّ خادمة القصر العباسي - وزوجة خالد البرمكي - قد شرّفت بارضاع الصبية " ريطة " بنت الخليفة ، في حين أرضعت زوجة هذا الأخير بنتا لخالد البرمكي " (3)

(1) أنظر ، ابن قتيبة ، الامامة السياسة (منسوب اليه) ، ط 3 ، مطبعة مصطفى البابي لحلبي) القاهرة ، 1382هـ / 1963م ، جـ 1 ، ص 117 ، 339 .) و ، ابن الفقيه (الهمذاني) ، بغداد مدينة السلام ، تحقيق أحمد صالح العلي ، سلسلة التراث (61) ، ط 1 ، دار الطليعة ، باريس ، 1397 / 1977م ، والمسعودى ، مروج ، جـ 3 ، ص 377 .)
وابن عساكر ، التاريخ ، جـ 5 ، ص 28 .

(2) من المؤكد أنّ هذه الرتبطة لها من الأهمية والقوّة ما للرابطة الدّم فى العراق العربي والتشريع الاسلامى .

(2) ريطة تزوجت فيما بعد ابن عمها ، المهدي الخليفة العباسي الثالث .) أنظر ، الفصل السابع من هذا البحث .

(3) تقول الرواية أنّ الخليفة أبى العباس " قد خاطب " خالد البرمكى " مداعبا بالقول التالي ؟ " لم ترضيا ابن برمك حتى استعبدتني .. ، فوجم من ذلك وقال .. أنا عبد أمير مؤمنين ، فقال .. كانت ريطة وأم يحي - يقصد زوجة خالد - فى فراش واحد فتكشفتا فرددت عليهما اللّحاف فقبل يده وشكره . " أنظر ، الجهشيارى الوزراء ، ص 69 .



ومن الواضح لدي الآن أنّ هذه الرابطة غير المتوقعة بين العائلتين هي التي ميزت علاقة البرامكة بالخلافة العباسيّة، وصبغتها بمميّزاتها الخاصة التي يندر وجود مثلها في تاريخ الدّولة الاسلامية، وسواء أكان الخليفة العباسي على صواب أم لا، فان مايهم أنّ هذا الشرف الذي تمتّع به أبوا البرامكة" ، خالد ، هو أهم ميزة خصّت هذه الأسرة وقد استغلت أحسن استغلال، لا لصالحهم فحسب بل في تطوير نظام الوزارة أيضا (1)

ومهما يكن من أمر ذلك فان "خالدا" ظل يمارس مهامه لفترة قصيرة لا تتجاوز سنة وبعضة شهور (2) من حكم الخليفة العباسي

---

(1) رغم مايلاحظ عن ممارسة وظيفة" الوزير في تاريخ العرب القديم وصدر الاسلام، الا أن أحدا منهم لم يحمل هذا اللّقب، قبل عهد الخلافة العباسيّة ، وتشير الروايات أنّ الخلفاء الأمويين أنكروا أن يخاطبوا كتابهم بالوزارة بدعوى أنهم أجل من أن يحتاجوا الى موازرة، وأن العباسيين سمحوا بذلك لكبار رجال اداراتهم، امتثالا لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة أنظر ، المسعودي ، التنبيه ، ص 310، و ، ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 7 ب - 8 أ،

(2) ابن الوكيل - أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 11 أ،) أحمد محمود حسنين ، رسالة، ص 42،

الثاني : أبي جعفر المنصور (136هـ ـ 158هـ / 753م ـ 775م) (1)

ولو أن مجال نشاطه أخذ يميل الى عدم الاستقرار والثبوت بشكل يكاد يكون بيناً ذلك أن هذا الخليفة كان يحمل الكثير من برامج الاصلاح وتنتظره العديد من العمليات لتقويم سلطته واحكام سيطرته على المملكة التي مازالت لم تستقر أوضاعها بعد (2)

وللتغلب على ذلك سمح للعديد من العناصر بالعمل في دواوين الخلافة دون مراقبة كفاءاتهم نتيجة استفحال الأوضاع المتردية الى خلفتها

(1) تعتبره أغلب المصادر التاريخية أنه هو المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية . وتنسب اليه الكثير من المشاريع الهامة الى كان لها الدور الكبير في تشكيل طبيعة تطور الخلافة العباسية ، وفي ارساء قواعد نظمها . أنظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 7 ، ص 471 .) المسعودي مروج جـ 3 ، ص 294 .) ابن الأثير ، الكامل جـ 4 ، ص 347 .) ابن الطقطقي ، الفخري ص 141 ـ 142 .) ابن كثير ، البداية جـ 10 ، ص 61 ، 121 . و ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ 1 ، ص 205 .) السيوطي ، تاريخ ، ص 259 .) و ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، جـ 2 ، ص 27 ـ 40 .

(2) 228 . 229 .

الحرب ،وقد كان لهذه المبادرة الأثر الكبير فى اتاحة فرص العمل الكثير من العناصر الطامحة فى ظل الخلافة الجديدة (1)

وعلى الرغم من احساس الخليفة بالفراغ الاداري وقلّة تجربة مساعديه . (2)

الآن حزمه وعدم الثقة فى مستشاريه اللذين صاحباه طيلة حكمه (3) ، صعّبت علي استخلاص الدّور الذى يكون قد مثله "خالد" فى هذه الفترة التأسيسيّة للخلافة العباسيّة . ،ذلك أنّه فى غياب القواعد النظرية للمستخدمين الاداريين لا يسهل تحديد مهامهم العملية التى يمارسون فى تسيير شؤون الخلافة . ولعلّ ذلك مايوحي بالبدايات الأولى لنظام الوزارة فى الخلافة

---

(1) تشير أغلب المصادر التاريخيّة الى ظاهرة تطوّر استعمال الموالي فى أغلب المؤسّسات الاداريّة فى عهد " أبي جعفر المنصور . أنظر ،ابن خياط ،تاريخه ،ج 2 ص466- 467 .
التنوخي (أبوا علي المحسن) نشوار الحاضرة وأخبار المذاكرة ،تحقيق عبد الشالجي ،1391هـ/1971م . و ،الطبرى ،تاريخ ،ج7 ص505 .) السيوطي ،تاريخ ، ص 269- 270 . ابن كثير . البداية ،ج 10 ،ص76- 77 ، الخضرى (محمد بك) ،محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية- الدّولة العباسية ، ط10 ،مطبعة الاستقامة ،القاهرة ،بدون تاريخ ،ص 82 .) جميل نخلة المدوّر ، حضارة ،ص59- 63 ، ،سامية توفيق عبد الله تطوّر ،ص38-43 .) و229 ،228-229 .
Dozy, Op., cit., pp.228-229.
Amar Dhina, Grands tournants de l'histoire de l'Islam..., 2éd.SNED, Alger,1982,p.62

(2) أنظر ،البلاذرى ،أنساب (مخطوط) ،ورقة 312

(3) الجهشياري ،الوزراء ،ص 136 ، و ، حسن البراهيم حسن ،التاريخ ،ص31- 35 و ،عبد اللطيف الطيباوى ،محاضرات فى تاريخ العرب والاسلام ، دار الأندلس ،بيروت ،1382هـ/1963م ،ص158 .

العباسية الآخذ في التطوّر التدريجي (1)

يجب أن لا اطمئناننا الى ماورد عن المذكر لقب الوزير في هذه الفترة المبكرة . ذلك أن اغلب الروايات التاريخية التي وردت عن الوزارة جاءت من مصادر كانت قد صنفت في وقت كان قد استقرّ فيه هذا النظام .

والملحوظ عن فكرة عن الادارة الخليفة المنصور وتحديد مهام "البرامكة فيها يتطلب مني الاشارة الى الذين تطلق عليهم بعض المصادر لقب الوزير ، ومنهم (يعقوب بن داود (2) الذي يحمل حسب الروايات الجيّدة لقب "كاتب" وليس "وزير" . اذ من خلال بعض اشارات المؤرخين

---

(1) ورد عن هذا الموضوع تقرير نقدي من طرف" ابن المقفع أحد أعلام الفكر والأدب المعاصرين لتلك الأحداث (106هـ - 242هـ/ 724م- 759م) سماه" رسالة الصحابة ،ويقصد بالصحابة هنا حاشية الخليفة وأعوانه ، حيث قال عنهم . " أما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول . مارأيا أعجوبة من هذه الصحابة ممن لا ينتهي الى أدب ذي نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط في الرأي مشهور بالفجور في أهل مصره ... فصار يؤذن له الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار ... وبيوتات العرب .)) أنظر ،

Charles Pellat, OP., cit., p.53.

(2) من موالي بني سليم عمل في دارة الأمويين اكتسب خلالها خبرة هامّة ، وكانت علاقة حسنة ب" المنصور " لذلك فقد قرّبه اليه عند ماتولى عرش الخلافة ، ويعد " يعقوب من كبار الكتّاب في تاريخ الخلافة العباسية ،وقد كانت له أورا هامّة في ادارتها . أنظر ،ابن الأثير ،الكامل . جـ 5 ،ص، 66 . ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد) ،العقد الفريد ،دار الكتاب العربي ،بيروت، 1402هـ/1982م . جـ 5 ،ص115 . ابن الطقطقي ،الفخري ،ص136 .) ابن كثير،البداية جـ 10 ،ص182 .) ابن تغري بردي ،النجوم ،جـ 2 ،ص37_38 .) ابن خلدون ، العبر ،جـ 3 ،ص 144_1 . الزركلي ،الأعلام ،جـ 8 ،ص197 .) محمد توفيق خفاجة ،تطور ، ص114 . و ، أ مينة بيطار ، تاريخ ، ص142 _ 143 .

العابرة عن وظيفة هذا الرجل يلاحظ أنه لم يعمل في المؤسسات التي يمكن اعتبارها وظيفة " وزير " حيث لا يعد وكونه مساعدا اداريا من غير أن يتمتع بأية صلاحيات تنفيذية . (1)

والشخص الثاني الذي تذكره المصادر على أنه من وزراء الخليفة " المنصور هو الربيع بن يونس" (2) الذي لا تتجاوز مهامه الاشراف على مطالب الخليفة الشخصية أو الوقوف على بابه " حاجبا" ويبدو أن " خالدا البرمكي كان أهم رجل في ادارة هذا الخليفة حيث أشرف على الشؤون المالية الدولة فضلا عن استشارته في أكثر المسائل

---

(1) قارن المصادر السابقة عن " يعقوب " ب) محمد عبد الحي شعبان الدولة العباسية الفاطميون ،الأهلية ،بيروت،1401هـ/1981م ،ص24 .)
و ب،جواتيمان دراسات في التاريخ الاسلامي والنظام الاسلامية ،ترجمة وتحقيق ،عطية القوصي ،وكالة المطبوعات،الكويت ،1400هـ/1980م ،ص88 .

(2) الربيع ،من الموالي .) رقاه الخليفة المنصور الى مرتبه " حاجب " وقد اشتهر في كتب التاريخ باسم ((الربيع الحاجب)) ، ويروى أنه كان من أهم الموالين للخلافة العباسية ومن كبار المخلصين لها . أنظر ،المسعودى ، مروج ،جـ3 ،ص313 . ،ابن الأثير ،الكامل ،جـ 4 ،ص366 .)
ابن خلدون ،العبر ،جـ 3 ،ص209 ، رجميل نخلة المدور ،حضارة ،ص42 .)
و،أمينة بيطار ،تاريخ ،ص143 . و،

Dominique, S., EIè Art (El Kabi), T.3, p.1065.
Rentz, G., et Mandaville, J., EIè Art (Hadjèb), T.2, p.47.
Moscati, Le Califat d'Alhadi, revue (Studia orientalia), N° 16, T.4 (1946) pp.17-18.

حيويّة . وبهذا يمكن الاطمئنان على الحاق اسمه بلقب " الوزير " ، غير أنّه لم يستقر في وظيفته لاسباب يصعب تفسيرها فيها لو استبعدت فكرة حذر الخلفاء من تداور وزرائهم واحكام قبضتهم على المؤسسات الحيويّة . ولعلّ هذا الحذر هو أهم مايساعد على فهم الاجراء الجديد الذى أقامه هذا الخليفة لصالح العباسيين ، وذلك حين أقدم على توليته" خالد البرمكي " مشرفا على تربية ابنه المهدي (1) ورغم بساطة هذه الوظيفة من الوجهة النظريّة إلا أن أبعادها كانت من العمق مما مكّنها من أن تطبع تاريخ الخلافة العباسيّة بطابع مميز ،

---

(1) الجهشياري ، الوزراء ، ص90 . والمهدي هو الأبن الاكبر للخليفة المنصور ، وقد اجتهد في اعداده اعدادا جيدا لتحمل مهام الدولة بعده . وقد تطوّرت علاقته بأسرة البرامكة تطورا ملحوظا . وترتبت عنها نتائج هامة جدا . ساهمت مساهمة كبيرة في تطوّر هذه الأسرة وعلاقتها بالبيت العباسي ، أنظر ما سيأتي .)

ذلك أن فكرة تعيين كاتب ذا خبرة بشؤون الادارة وغيرها مربيا لـ " ولي العهد)) التي ابتدعها المنصور " سيكون له أثر كبير في تطور نظام الخلافة والوزارة في الفترة التي أدرسها على الأقل . (1)

وليس من المنطق أن ينكر ما لهذه العملية من أثر في تدريب " ولي العهد " على الأساليب الادارية ومستلزمات الحكم . الا أن الملفت للانتباه أنها حددت فيما بعد مصير الخلافة والخلفاء بيد هؤلاء المربين على اعتبار أنهم كانوا أكثر الناس اتصالا بالخليفة الجديد وأشدهم تأثيرا على قراراته . ولا يستبعد مساهمة البرامكة وعلى رأسهم " خالد البرمكي " في وضع هذا القرار حيث كان أقدر من غيره على فهم أهميته . (2)

لذلك يلاحظ سعي البرامكة الى هذه المرتبة بطريقة أو بأخرى ، وقد كان ذلك سر نجاحهم كما سيأتي .

---

(1) يتضح ذلك جليا في عهد الخليفة " هرون الرشيد " كما سيلاحظ في الفصل التالي .

(2) من الصعب معرفة الأسباب التي دعت الخليفة " أبا جعفر المنصور " الى تولية " أبي عبيد الله " مربيا لابنه " المهدي بدل " خالد ، على أن الواضح أن خالدا قال لـ " عبيد الله عندما أبدى قلقا تجاه أحد المشاكل ... " أنت ترشح نفسك لتدبير الخلافة وقد حيرك هذا الأمر الصغير)) . الجهشياري ، الوزراء ، ص 127 .

ومع ذلك فان " خالدا البرمكي " لم يسلم من العزل والتعرض لتغيير وظائفه ، الأسباب أمنية على ما يظهر .

ويظهر أن عينه الخليفة المنصور على اقليم " فارس "* أحد أهم الامارات المعقدة المشاكل ، حيث مكث فيها مدة طويلة تجاوزت سبع سنوات حمل خلالها لقب " أمير " . (1)

ولم يكن مشرفا على شؤون الاقليم السياسية فحسب بل كلف كذلك بتسوية مشاكله الاقتصادية فيما يخص قضايا الضرائب وشؤون الأراضي الزراعية (2) وهي ظاهرة نادرة الحدوث في عهد هذا الخليفة العباسي .

• هذه المدة التي بقي فيها خالد البرمكي " بعيدا عن المراقبة مكنته من أن يلعب دورا هاما ، ويحقق مجدا كبيرا لعائلته ذلك أن بعده في منطقة فارس خول له أن يتصرف بحرية في شؤون ادارتها وقد اكتسب شعبية معتبرة (3) فضلا عن تعليم ابنه " يحي " فنون الادارة

Dominique, Op. cit, p.132
Nikitta, Op., cit., p.

(1) الجهشياري ، الوزراء ، ص 99 ، ص 136 . ونقل

(2) القلقشندي (أحمد بن علي) ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط 2 ، عالم الكتب ، بيروت ، هـ / 1980 م ، جـ 3 ، ص 347 .
ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 129 . ، محمد عبد الحي ، الدولة العباسية ، ص 24 .

* اقليم واسع وحيوي ، جنوب شرقي العراق ، ذا موقع استراتيجي هام ، وبه مدن مشهورة كشيراز وأرد شير ، وأصطخر ، يتزل بشمالها قبائل من الأكراد لاستغلال مراعيها الخصبة . أنظر ، الجهشياري ، نفس المصدر ، ص 136 ، و ياقوت الحموي ، معجم ، جـ 4 ، ص 226 ـ 228 .

(3) جميل نخلة المدور ، حضارة الاسلام في دار الاسلام ، ط 62 مطبعة المؤيد ، مصر ، 1323 هـ / 1905 م ، ص 61 . وعبد الله فياض ، تاريخ البرامكة ، مطبعة الرشيد ، بغداد 1367 هـ / 1948 م ، ص 60 ـ 62 .
الخضري ، تاريخ ، ص 111 . و 128 .

Nikitta, Op., cit., pp.128-129

و أساليب الحكم حتى صار ساعده الأيمن مع مرور الزمن (1) .

والظاهر أن هذا المجد النامي لهذه العائلة هو الذي أثار حسد بعض رجال الخليفة ، وتخوفهم من عواقبة على مصالحهم .

فأخذوا في تزوير الأخبار الواردة باستمرار الى الخليفة حتى استدعاه للمحاسبة(2) ويبدو أن للكاتب " يعقوب بن داود" الدور الاساسي في هذه الوشاية (3) ذلك أن الغرامة المالية التي ألزم " خالد" بدفعها بدعوى اختلاسها من أموال الدولة كانت مفتعلة من قبل هذا الكاتب (4) . ، وإلا كيف يفهم تعيينه مباشرة بعد هذه الحادثة على اقليم آخر أكثر أهمية من سابقة ، حين وكل اليه مهمة الاشراف على تنظيم شوءون منطقة " طبرستان " المضطربة .

(1) الجهشياري، الوزراء ، ص136 . و ، 133 Dominique ,Op.cit?T1,p.133

(2) الطبري ، تاريخ جـ 7 ، ص54 .) و ، ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 13 أ .

(3) تشير بعض الروايات أنه كان سببا في تعيينه على منطقة فارس" لابعاده عن الادارة المركزية حتى يخلو له مجال السيطرة والنفوذ على الخلافة ، أنظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص99 — 100 .) اليافعي ، مرآة ، جـ 1 ، ص407 .) وابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 1 ب ، يقول بسوفا ، ص 41 " .. أنه بعد نجاحه في هذه ... المهمة كان أعوانه ، ينحتون صورته . وصورة آلات الحرب المستعملة على دروعهم ، بيد أنني لم أجد لهذه الفكرة ذكر حتى في المصادر التي أشار اليها هذا المؤرخ . وهي ظاهرة غريبة في تاريخ جند الدولة الاسلامية ، اذ لم يرد لها ذكر في أي من المصادر المعتقد عليها . وأغلب الظن أن هذا المؤرخ كان متأثرا بما لدى الجيوش الأوربية فظن أن ذلك معمول به أيضا لدى المسلمين .

(4) أنظر ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي .) بدون اشارة المكان الطبع ، ولا تاريخه جـ 4 ، ص 166 .

لم يستغل "خالد البرمكي" هذا التعيين الاستثنائي في الضغط على الادارة المركزية في الاعتراف به كأمير على المنطقة فحسب بل افتك منها حق تنصيب ابنه "يحي" مساعدا له على احدى الامارات وقبل ان يسافر "خالد" ليتولى مهامه الجديد فكان ممن استشارهم الخليفة في التحديد لمشروع بناء بغداد * .

ومن غير المنطق أن يعتبر هذا الاجراء من محض رأي "خالد البرمكي" كما تدعي بعض الروايات[1] ذلك أن الاحداث المستجدة ومقتضيات تطور الخلافة قد فرضت مثل هذا المشروع وقد بذل الخليفة المنصور في ذلك مجهودا كبيرا سواء من حيث اختيار المواقع ودراسة . أو تحضير مواد البناء والمهندسين وغير ذلك مما يدخل في المتطلبات هذا الانجاز الضخم

---

(1) بدأ المنصور عملية بناء المدينة عام 146هـ/763م . ويعد بناؤها من أهم المشاريع العمرانية في التاريخ الخلافة العباسية . وقد ظلت بغداد عاصمة للعباسيين حتى سقوطهم عام 665هـ/ 1258 نتيجة اجتياح الغزو المغولي لمناطق الشرق الاسلامي أنظر الطبري ج 7 ص614-622 ابن الاثير الكامل ج 5 ، 14، 20 وياقوت الحموي معجم البلدان ج 1 ، ص 456 ، .
Hikitta, Op., cit. p128.

(2) الطبري تاريخ ، ج 7 ، 614 ، وابن الفقيه البلدان ص 30، 31 . ، الخطيب بغداد ج 1 ص66 ـ 67 .

(3) الطبري نفس المصادر ج 7 ص650 . و . تغري بردي النجوم ج 2 ، ص5 . و أحمد مختار العبادي في التاريخ ص82 وأبو الغداء المختصر ج 1 ص193 بن خلدون كتاب العبر ج 3 ، ص196 ، و الخطيب بغداد ، ج 1 ، ص 66 ـ 69 ، .

Duni, A., EIè Art (Baghdad), T.1, pp. 921-936.
René Grousset, Hes civilisations de l(Orient, Paris, T.1, p. 169.

وتكاد تقتصر استشارة الخليفة لـ "خالد البرمكي" على قضية واحدة تمثلت في طلب رأيه حول امكانية استغلال حجارة "ايـوان كسرى" (+) لبناء بعض جدران المدينة الجديدة وقد اشار "خالد" بحسن تركها كاثر من آثار الامم القديمة (1) ، وهذا الرأي الوحيد الذي ادلى به خالد بسؤال من المنصور وجدت فيه الروايات المغرضة سبيلا لتمجيـد آراء هذا البرمكي وبيان فضله في بناء بغداد ، زاعمين ان الخليفة فسر ذالك بميل مستشاره الى اجداده الفرس ومحاولته الابقاء على آثارهـم ، وان الخليفة امر بهدم "الايوان" الا انه اتضح له فيما بعد صعوبة العملية وغلاء تكاليفـها فعدل عن مواصلة الهدم ، لـكـن "خالـدا" نصحه بالاستمرار في العمل حفاظـا على سمعته وعدم اظـهار عجزه فـي هدم مـا بناه غيـره (2) .

ومن الواضح ان الرواية ظـاهرة التلفيق فيها واضحـة (3) ، اذ لدي من الشواهد ما يبيـين ان الخليفة "المنصـور" كان لا يقدم على عمـل مالم يدرسه من جميع أوجهـه ، وقد عمل كل الاحتياطات الممكنة في سبيل نجاح هذا المشروع الحيوي ، فضلا عن ادراكـه لمـعنى ابعاد المحافظـة على الآثار (4) .

ويبدو ان مثل هذه الروايات المغرضة كانت سندا لبعض المستشرقين في تدعيم تحيزهـم ضد العرب كمحاولة لانكار فضلـهم في عمارة وتخطيط مدنـهم (5) ، وقـد يحتمل ان لا يكون خالد البرمكي قد ساهم بالمرة في هذا المشروع بدليل ان اهم واقدم المصادر لدي عن مدينة بغداد وكيفية بنائها لا تشـير مطلقا الى دور هذا البرمكي (6) زيـادة علـى ذالـك انـه فـي الوقـت

(+) — بناء ضخـم واثر هام من آثار ملوك الفرس قريب من موقع بغداد ، حول تفاصيـل وهندسة بنائه ، انظـر ، المسعودي ، مروج ، ياقوت الحموي ، معجم ، جـ1 ، ص294 .

(1) — ابن الفقيه ، البلدان ، ص36 ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ5 ، ص20 + 21 ، ابن الوكيـل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 21ب ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص114 ، وابـو الفداء (عماد الدين اسماعيل) ، المختصر في اخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، ب ، ت ، مج 2 ، ص4 ، و جاسم آل كلكاوي ، البرامكـة ، ص15 .

(2) — ابن الوكيل ، احسن المسالك ، ورقة 13أ ، ابن خلدون ، العـبر ، ج3 ، ص197

(3) — انظر ، المسعودي ، مروج ، جـ1 ، ص255 ، ابن خلدون ، المقدمة ، جـ1 ، ص229 ،

(4) — الطبري ، تاريخ ، جـ8 ، ص75 ، ابن خلدون ، العبر ، جـ3 ، ص196 .

(5) — طاهر مظفر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، ص24—27 ، و

و (6) — اليعقوبي ، البلدان ، ص234 ،

A.DURI, EIe, ART(BAGHDAD), TI.PP.921-936.

كان فيه "المنصور" يخطط للمدينة كان "خالد البرمكي" بعيد عن الادارة المركزية منشغلا بتهدئة أوضح المناطق التى كلف بها. ومنها يكن فان ذلك لا يسقط من قيمة هذا الرجل وليس بمقدار الخلافة الاستغناء عن خدماته وتذلك خصوصا وان ابنه "يحي" صار اداريا ناجحا وقد اثبت مقدرته فى ذلك بدليل إعجاب الخليفة "المنصور" به حين أرسل ابنه المهدى* اليه للاقامة ليأخذ منه بعض التوجيهات فى أساليب الادارة وفنون الحكم (1)

وقد ابتسم الحظ لهذا البرمكي الجديد عام 148هـ/ 765م حين ارتبطت عائلته الصغيرة بعائلة المهدى عن طريق رابطة أخوة الرضاعة مرة ثانية وذلك حين اقدمت زوجة يحي على أرضاع ابن المهدى المسمى "هرون" مع ابنها الفضل (2) كما ارضع هذا الاخير من السيدة الخيزران زوجة "المهدي" التى اخذت مع مرور الزمن ترتاح لخدمات هذا العائلة السموالسيمقلط المتفانية فى خدمتها

---

* المهدى بن المنصور ولد فى الحمية عام 126هـ/ 743م وقد نشأ فى الكوفة ثم فى بغداد وبذل ابوه مجهودا كبيرا فى التربية وارجع ولاية العهد له وكان للبرامكة دورا مطوطنا فى ذلك مما سيترتب عنه اعراض هامة فى تاريخ خلافة المهدى انظر ابن الطقطقي، الفخري، ص 61 حسن ابراهيم حسن، التاريخ ج 2 ص 40 تقول الرواية ان المنصور كثيرا ما كان يردد القول التالى والد الناس ابنا ورائد يحي ابا. انظر ابن الوكيل، احسن المسالك (مخطوط) ورقة 115

(2) ابن الاثير، الكامل ج 5 ص 41 - 42 ابن الوكيل احسن المسالك (مخطوط) ورقة 120 وحاول المؤرخ براق نفي هذا الروايات ولكنه وصل فى الاخير الى التأكيد على صلة هرون بأسرة البرامكة وترتيبه بين أحضانها انظر محمد أحمد براق، البرامكة ص 67 - 68 وسمية توفيق عبد الله، تطور، ص 50 51 قامت بأدوار هامة الى جانب البرامكة فى الخلافة زوجتها وابنيها الهادي وهرون انظر الصفحات التالية من هذا الفصل.

(3) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت بيروت 1379هـ / 1960م ج2 ص406 الطبرى، تاريخ ج 8 ص 23 • أبو الفداء المختصر ج 2 ص 5 •••

ويبدو أن هذه العلاقة الجديدة قد زادت من اطمئنان الخليفة المنصور تجاه البرامكة، اذ ما لبث أن عيّن "يحيى" على اقليم أذربيجان (1) أحد الثغور الشرقية الهامّة في الدّولة وأمر أن يصحبه موكب ملكي بهيج تشريفاله. (3)

وفضلاً عن هذا فقد رقي "خالد البرمكي" الى ادارة اقليم "الموصل" ليحل المشاكل المستعصية هناك. (4)

بمساعدة أخوية (الحسن وسليمان) أبناء..

---

(1) أذربيجان: تقع الى الشمال الغربي من فارس، متاخمة لحدود بلاد الترك، وهي منطقة جبلية، لم تكن ذات أهمّية كبيرة من ناحية الاقتصاديّة وقتئذ. أما من ناحية السياسية فقد كانت مركزا لحركات المتمرد ضد السّلطة العباسين وقد صعب عليهم اخماده لاعتصام المتمردين بجبالها الوعرة.

أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص128 - 129. محمد التوفيق خفاجة، تطور النظام، ص42 - 45. وستريك دار المعارف الاسلامية مادة، أذربيجان، ج1، 562 - 565،

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص56 - 57.

ابن الأثير، الكامل ج5 ص42. ابن الركين، أحسن المسالك (مخطوط) ورقة 15أ. عبد الله فياض، البرامكة، ص60 - 62.

(3) الموصل: أحد أهم ولايات الخلافة العباسيّة. ومن أشهر مدنها، كان لها أهمّية كبيرة في تاريخ الدولة بسبب موقعها الممتاز، أنظر،

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص223 - 225. وللمزيد عن هذا الاقليم تاريخيا، راجع،

الأزدي، تاريخ الموصل، هنا وهنالك،

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص45 - 56.

ابن الأثير، الكامل، ج5 ص25 - 26، 39. أحمد محمود حسين، رسالة، ص42.

Homigmane, E., Elè art (Al Haousil), T.3, pp. 650-652.

برماء . قبل أن يستد عليها الخليفة "المنصور" لمصاحبة ابنه وولي عهده "المهدي" . (1)

هذه الوظائف التي تدرج فيها "خالد البرمكي" ومن تبعه من بقية أفراد الاسرة البرمكية فضلا عن علاقتهم الأخوية بالبيت العباسي قد مكنت "خالدا" من القيام بأدوار تجاوزت صلاحيته كمولى مهمته السهر على خدمة سيده . وذلك حين أدرك هذا البرمكي باللشعر والشعراء من دور في التأثير على الرأي العام (2) والذا ... رأن "خالدا" قد كان أول الوزراء العباسيين الذين نالوا شرف مدح الشعراء لهم في حضرة الخليفة وأعيان الدولة . (3)

---

(1) ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، 26، 39 . Bovat, Op., cit., p. 41.

(2) كان الشعراء يقتعد الـ يمثل دور الصحافة والاعلام في الدعاية في عصرنا .

(3) يدل على ذلك القصائد التي ... فيها اسمه مقرونا بالفضيلة الكرم ، كما هو الحال في قصيدة الشاعر – يزيد بن خالد الكوفي من بحر الطويل :

حَذَا خَالِد فِي جُودِه حَذْوَ بَرْمَكٍ فَمَجْدٌ لَهُ مُسْتَطْرَفٌ وَأَثِيلُ .

ابن الركيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 11 أ . ووردت القصيدة دون تحديد اسم قائلها عند ، الأربلي (عبد الله بن سنبط) ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك ، تصحيح مكي السيد جاسم . مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص88 .

وفي قصيدة أخرى يعلق أحد الشعراء غير المعروفين . فيها: آماله وطمعه على الهدايا التي قد يحصل عليها فمناسبة عيد الفرس السنوي بقوله ، في قصيدة من بحر الطويل :

لَيْتَ شِعْرِي آمَالَنَا مِنْكَ حَظٌّ . يَا هَدَايَا الوَزِيرِ فِي النَّيْرُوزِي .

ابن الطقطقي ، الفخري ، ص144 .

وجرت العادة فى المجتمع العباسى على زيارة السكان من أهل المدن والقرى بيوت العائلات الحاكمة والتردد عليهم تقربا أو قصد قضاء بعض الحاجات ، ويعرف هؤلاء عادة باسم "السؤال"، بغض النظر عن انتماءتهم الاجتماعية وعلى لغلة رأى فيها خالد "البرمكى" حرجا لهؤلاء الوافدين على بيته ، وفيهم من فيهم من الإشراف ورجال القوم ، فتقرب اليهم بتغيير اسمهم الى "الزوار" فى مناسبة خاصة جمعته ببعضهم ، موضحا أن ذلك أليق بشأنهم و ويبدو أن هؤلاء الزوار قد استحسنوا موقف "خالد البرمكى" منهم وشكروا تعاطفه معهم لذلك كانوا لايبخلون فى مدحه كلما حانت الفرصة لذلك (2)

هذه المكانة الإجتماعية التى ميزت البرامكة عن غيرهم من رجال ادارة العباسيين وفى عهد خليفة اشتهرة بالحزم ومحاسبة أعوانه فى كل شىء ،،

للسؤال ، مفردها ، سائل ،

(1) عبر عن ذلك الشاعر يزيد بن خالد الكوفى بقوله : (بحر الطويل)

يُسَمّونَ بِالسُّؤالِ فِي كُلِّ مَوطِنٍ :: وإنْ كانَ فِيهم نابِهٌ وجَلِيلُ
فَسَمّاهُمُ الزُّوّارَ سِتْراً عَلَيْهِمُ :: وَذَلِكَ مِن فِعْلِ الكِرامِ نَبِيلُ

انظر، ابن الوكيل ، حسن المسالك (مخطوط) ورقة 11ب، الأربلي خلاصة ص83، البغدادى تاريخ ج 12 ص 336 ،

(2) قال أحد هم بهذه المناسبة مخاطبا خالد البرمكى "والله لا ادرى ابن ايادى عندنا أجل أم التئام تسميتنا " ابن الوكيل ، حسن المسالك (مخطوط) ورقة 10ب ، وابن الطقطقى ، الفخرى ، ص 10 ،،

تبعث على الاستفسار حول مصدر هذه الثقة التي نالتها هذه الأسرة ويغلب الظن أن مرد ذلك راجع أساسا الى الدور الذي مثله خالد البرمكي في مشكلة "ولاية العهد" اذ لا يستبعد أن يكون قد عمل على اغراء الخرسانيين في التقرب الى الخليفة المنصور عن طريق اظهار رغبتهم في اعطاء ولاية العهد لابنه "المهدي" بدل (عيسى بن موسى) ابن أخ الخليفة وولي

وتشير الروايات أن الخليفة المنصور كان يرغب في ذلك وقد أعيته الحيلية في اقناع (عيسى) بالتنازل[1] لصالح ابنه فاستعان بخالد الذي جمع وفدا من أنصار رغبة المنصور وقصد بهم قصر "عيسى" كمحاولة أخيرة لاقناعه بالتنازل وحين رفض هذا الأخير رغم العروض المغرية أجبره "خالد البرمكي"

---

(1) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله (102هـ/ 167هـ/ 721م ـ 733م) . ولد ونشأ في الحميمة . وشارك في أحداث الثورة العباسية منذ بداية مراحلها الأولى وولاه عمله أبو العباس الكوفة عام 132هـ/749م وجعله ولي عهده (المنصور) ويروى أن عيسى قد كان من كبار أمراء البيت العباسي وذا شخصية معتبرة ولذلك كان يدعى بـ"شيخ الدولة" بيد أن الخليفة المنصور أراد أبقاء العرش في أبنائه فعزله عن ولاية العهد وجعلها لابنه "المهدى" بعد محاولات عديدة رضي فيها عيسى بالتنازل مكرها .

انظر الطبري تاريخ جـ8 ص9ـ25 ، ابن القططقي ، الفخرى ، 155 - 156 ابن الاثير الكامل جـ 5 ص 22 ، المرزباني معجم 258 ، ابن خلدون العبر جـ3 ص 197 ، و الزركي الأعلام جـ 5 ص 109 ، 110 ومحسن ابراهيم حسن تاريخ ، جـ 2 ص 29 ـ 30 .

على الامتثال عن طريق الشهادة عن قبوله بذلك زوراً بعد أن تمكن من اقناع الوفد المصاحب بطرق ملتوية (1)

ورغم ذلك فانّ البرامكة لم يحتلوا مكانة هامّة في وزارة الخليفة الجديد المهدي (158هـ - 169هـ/774م - 784م)، (2) المدين لهم باعتلائه العرش وذلك لاسباب اقتضتها الظروف التاريخيّة. ففي الوقت الذي كان فيه البرامكة منشغلين بتسيير الأقاليم الواقعة تحت ادارتهم بتكليف من الخليفة المنصور، تمكن كاتب المهدي " أبو عبيد الله " من احتلال المرتبة الأولى ضمن صفوف أعوانه ومستشاريه. (3)

---

(1) راجع تفاصيل ذلك عند، الطبري، تاريخ، ج 8. ص 9- 19- 20.)
و، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 25، وابن الطقطقي، الفخري، ص 155، 156
وينقل عنه حسن ابراهيم حسن، تاريخ، ج2. ص 29-30.) سامية توفيق عبد الله، تطوّر، ص 40- 50.) و، ابن خياط، تاريخه، ج2 ص 471. 473

(2) عن تفاصيل سياسة هذا الخليفة راجع، الطبري، تاريخ، ج 8، ص 110.
والمسعودي، مروج، ج3، ص 319.) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 50،
وابن كثير، البداية، ج10، ص 12962.) السيوطي، تاريخ، ص 271. وعبد الله فياض، البرامكة، ص 62-64.

(3) أبو عبيد الله هو معاوية بن يسار. (1010هـ - 170هـ/718م، 786م)
تمرّس في أساليب الادارة في أواخر العهد الأموي) وفي خلافة المنصور عيّن كاتبا للمهدي وحين ترقى هذا الأخير لمنصب الخلافة كان من الطبيعي أن يحتل كاتبه هذا أرقى الوظائف.) الا أنّه لوحظ بعد ذلك تخلي الخليفة عن خدماته نتيجة الوشايات التي روجت ضده، وقد يكون للبرامكة نصيب في ذلك.
أنظر، ابن الطقطقي، الفخري، ص 134.) ابن عبد ربه، العقد، ج5، ص 116.)
و، ابن خلدون، العبر، ج3، 209.، أميمه بيطار، تاريخ، ص 143. و،

Dominique, Op., cit., T? 1, pp. 94-103
Moscati, Ete , Art, (Abou Oubaid Ellah), T.1, p.162.

ويبدو أنّ البرامكة قد فطنوا لذلك فأخذوا السعي لتدارك مافاتهم ولما كان " أبوا عبيد الله " هو أهم رجل يمكن أن يحتاط منه على مستقبل العائلة البرمكيّة، عملوا على تصفية الحساب معه بمختلف الوسائل (1)

ولتحضير الظروف المناسبة لأخذ " البرامكة " مكانتهم في الوزارة لم يتجرأ " خالد " على الاقتراب من الإدارة المركزيّة لوجود " أبي عبيد الله "، بل ركّز اهتمامه على ربط عائلته بالبيت العباسي عن طريق اشراف زوجته وأبنائه على شؤون " هرون ابن المهدي " ورعاية مطالبه (2)

ولعلّ هذا المجهود المخصص " هرون " من قبل أسرة البرامكة هو الذي يفسّر به ضياع فرصة المساهمة في وزارة الخليفة المهدي وتركها

---

(1) من ضمن ما استعمله البرامكة من أجل هذا الغرض، اظهارهم العداوة المكشوفة لهذا الكاتب، رغم الصداقة التي كانت تربطه بهم، حتى اذا سوّلت له نفسه في يوم ما محاولة الدس عليهم، كانت هذه العداوة المفتعلة مؤشّراً قويا لاستعماله من أجل تبرير ساحة البرامكة.
أنظر، الجهشياري، الوزراء، ص 143.

(2) تشير الروايات التاريخيّة أن البرامكة قد اكتسبوا ثقة سيدة القصر الخيزران، من خلال اخلاصهم لها ولابنها هرون، لدرجة أنّها كانت مستعدّة للمساعدتهم وحمايتهم من أي مكروه يمكن أن يلحق بهم من أية جهة كانت. ، أنظر، الجهشياري، الوزراء، ص 151، 197، ابن الوكيل، أحسن المسالك (مخطوط)، ورقة 55 ب
و، تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ 2، ص 45.

للكاتب " ابـــي يعقوب بن داود " بعد ان اعفي عنـــه من السجن عــــام 161هـ/ 777م ،حيـــث تتحدث المـــصادر التاريخيـــة انـــه صار يمثـــل الرجـــل الاول بعـــد الخليفـــة المهـــدي ،بـل هناك مـــن الروايات مـــن تذهب الى أبعـــد مـــن ذلـــك حيـــث تشير الى ان يعقـــوب بن داود الكاتب قد احتجـــز الامور كلهـــا حتى علـــى الخليفـــة نفســـه (1) •

والظاهـــران احتكار " يعقوب بن داود " ،الوزارة لم يـــرضي البرامكـــة ،ولذلك لم يقفوا موقـــف المتفرج • ،واول تحرك اتخـــذوه كـان عام 161هـ/ 777م ، عندما كلف " يحى البرمكـــي " بالاشـــراف على شـــؤون " هـــرون الرشيد " ابن الخليفـــة المهـــدي (2)

---

(1)— بغض النـــظر عن مبالغت الروايات في ذكر سيطرة يعقوب بن داود علـــى الوزارة فـــان المرجح ان يكون سبب تفويضـــه من قبـــل الخليفـــة المهـــدي كان نتيجـــة خبرته الواسعة في شؤون العراق ، بيد ان الخليفة المهدي سرعان ما ازاحـــه عن منصبه بسبب اتهامـــه بالميل الى العلويين اعداء العباسيـــن ، انظر،
اليعقوبي ،تاريخه ، ج 2 ، ص 400 — 401،و ، الطبري ، تاريـــخ ج 8 ، ص 161،و، ابن الاثيـــر ،الكامل ،ج 5 ، ص 67— 68 ،و ، ابن الطقطقي ، الفخـــري في الاداب السلطانية ، ص136— 137 ،و ، المقـــريزي ، المقفى (مخطوط) ، ج 2 ، ورقة ، 115 و،الذهبـــي العبـــر ، ج 1 ، ص 86 ، و، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 3 ، ص 211و ضـــيف الله بطانية ،العلاقات ،ص316— 326•
(2)— تغـــري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 45 ،و ،ابو الفدء ، المختصـــر ج 2 ، ص 8 و، ، خاونـــد مير ، دستـــور (بالفارسية) ،ص 37و عبد الله فياض، البرامكة ، ص 63 ،و ، - NIKITTA,OP.CIT.P.128.

• ومن عجيب السياسة أن يتحول " البرامكة " دفعة واحدة ، من اداريين مدنيين الى رجال سيف وذلك باشرافهم على رزنامة سنوية لحركة الجهاد فى الثغور الشمالية على حدود بلاد الروم (1) •

ويلاحظ أن فكرة الجهاد ضد الروم صارت من أهم القضايا ذات الخطورة الكبيرة فى سياسة البرامكة (2) لذا يلاحظ مشاركتهم جميعا فى غزوة عام 163هـ/780م ، على غير عادتهم (3) •

رغم أن سن " خالد البرمكى " وقتئذ الى كانت لا تسمح له بالقيام بمثل هذه الأعمال • ولم تكن هذه الصائفة غزوة عادية بالقياس لضخامة العدة العسكرية المخصصة لها ، ومشاركة كبار قادة الدولة فيها ، حتى أن الخليفة المهدى نفسه ، ساهم فيها مساهمة رمزية بخروجه من العاصمة لتشييع هذا الجيش (4)

---

(1) Francesco Gabrieli , les arabes, buchat-chatel, paris, r ! 1963, p 119.

(2) بفضل دعاية البرامكة عمل الخليفة " المهدى " على تجهيز أكبر حملة فى عهده عام 163هـ/780م ، حيث فرض على أغلب المسلمين فى حدود خلافته المشاركة فيها • أنظر ، ابن الطقطقى ، الفخرى ، ص92 •

(3) ساهم فى هذه الغزوة أغلب كبار رجال العائلة البرمكية (خالد واخوته الحسن وسليمان ، وابنه يحى) • قارن ، الطبرى ، تاريخ ر ، ج 8 ، ص146 ، ابن الأثير ، الكامل ، ج6 ، ص63 •

(4) اليعقوبى ، البلدان ، ف396 ••) وابن خلدون ، العبر ، ج3 ، ص210 — 211 •

• ومن المنتظر أن يكون قائد هذه الغزوة الكبيرة أحد كبار الشخصيات الهاشمية العباسية كعادتهم ، الا أن ذلك لم يحصل هذه المرة ، اذا وقع الاختيار على "هرون" الفتى ، أميرا شرقيا لهذا الجيش ، ولا يستبعد أن يكون للبرامكة يد " في هذا الاختيار.(1)

وقد نال " يحى البرمكى " رسميا من طرف الخليفة " المهدى " بالاشراف على ادارة شؤون هذا الجيش الكبير (2)

والغريب أن هذا الحشد الهائل من الجند ، ومارافقه من دعاية فى أوساط سكان العاصمة بغداد • وغيرها ، لم تتجاوز مهمته فتح احدى الحصون الشمالية المتاخمة لحدود الخلافة من أرض الروم (3)

كان " خالد البرمكى " قد دفع حياته تحت أسواره نتيجة الارهاق أثناء الحصار مع تقدم سنه (4)

---

(1) أنظر ، الطبرى ، تاريخ ، أ ، ج 8 ، ص 146 •

(2) قارن الطبرى ، تاريخ ، ج 8 ، ص 146 ب الجهشيارى ، الوزراء ، ص 150 •

(3) يدعى هذا الحسن باسم " حصن سمالو " ، حول تفاصيل ذلك ، راجع ، الطبرى ، تاريخ ،) ، ج8 • ص 145 — 147 •

(4) كان " خالد البرمكى " فى هذه الأحداث قد تجاوز السبعين من عمر • أنظر • الجهشيارى ، الوزراء ، ص 151 •

• ولم يكن فقدان العائلة البرمكية " خالد " عقلها ومدبّر أمرها ، مفاجأة أحدثت فراغا من شأنه أن يؤثر على معنوياتها ، وطموحها بل كان الأمر مهيئا له ومدبّرا • ، فالفترة الطويلة التي قضاها " خالد البرمكي " في خدمة الخلفاء العباسيين كانت مواكبة لتطور هذه الأسرة(1) • ( ) ولم ينتقل منها الا وقد نالت حظورة كبيرة من الجاه والمكانة في نظر الخاصّة والعامّة • وبذلك ترك لها ارثا هامّا ساعدها فيما بعد على مواصلة بلوغ ذروة المجد في ظلّ خلافة فتحت ذراعيها لكل متعا ون طموح • والمؤكد أن أغلب ثمار مجهود ات " خالد البرمكي • " قد آلت الى ابنه " يحى " ، وليس لدي مايفسر نشاط " خالد " العسكري في أوا خر أيامه عباسم " هرون " غير محاولاته الأخيرة للترفع من قيمة الأسرة التي تكفلت برعايته • ذلك أن نتائج بشرى انتصار الجيش الاسلامي في الشمال سنة 165هـ/781م (2) التي حملها " سليمان البرمكي " للخليفة " المهدى "

---

(1) قاربت خدمة خالد البرمكي " للخلافة العباسيّة • أربعين سنة ، أي منذ قبيل عام 124هـ/ حتى عام 165هـ/781م • وهي سنة وفاته .

(2) توغل جيش " هرون " البالغ حوالي 10آلاف جندي عدا المتطوعين • في بلاد الروم حتى بلغ خليج القسطنطينية ، وفرض شروطه على ملكة الروم (ايرا ن Irène) باطلاق أسرى المسلمين ، وتعيين أدلاء لتسهيل مهمة انسحاب الجيش الاسلامي فضلا عن دفع جزية سنوية قدرها 70 الف دينار ، وقد دام هذا الصلح حتى انتقضه الروم عام 168هـ/784م •

أنظر التفاصيل ، الطبري ، تاريخ ، أ ، ج8 ، ص152 • ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، ص65 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص146 •

أبي الفداء ، المختصر ، ج 2 ، ص9 • و 119

اغتيال أمه (الخيزران) للتخلص منها كما هو الشائع (1)

والظاهر أن الأخوين أبناء المهدي " الهادي وهرون "لا يحملان الكراهية لبعضهما (2) فيما لو استبعدت الصراعات الحزبية للبلاط العباسي وقتذاك، فالمستفاد من التقارير التي كانت تصل الى الخليفة "الهادي " عن مواقف "هرون " منه كانت سليمة، وأن الذين يدفعونه لمعاداته هم البرامكة وعلى رأسهم "يحيى " وكان الذين يحملون هذه التقارير هم أعوان الخليفة "الهادي "، المتخوفون من نفوذ البرامكة وسطوتهم على "هرون" (3)

وفي سبيل ابعادهم عن اخيه لم يجد الخليفة "الهادي "حلاغير الدخول مع البرامكة في مناقشة قضية ولاية العهد هذه (4) لاستدراج "يحيى البرمكي " الى القبول بنزع مولكة (هرون)

---

(1) الطبري، تاريخ، ج8، ص208، المسعودي، مروج، ج3، 337، وابن الأثير، الكامل، ج5، ص79، وابن تغري بردي، النجوم، ج1، ص64، محمد أحمد براتق، البرامكة، ص32 - 33.

(2) المسعودي، مروج، ج3، ص344.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج2، 405 - 406، والطبري، تاريخ، ج8، ص208 الذي أورد عن الحادثة النص التالي بالنص الموجه للخليفة الهادي "..ليس عليك من أخيك خلاف انما يفسده يحيى بن خالد، فابعث الى يحيى وتهدده بالقتل وارمه بالكفر"، ورد النص مع شيء من الاختلاف عند، ابن الأثير، نفس مصدر، ج5، ص77، ابن الوكيل، أحسن المسالك (مخطوط)، ورقة 20أ

(4) قارن الوكيل أحسن المسالك (مخطوط)، ص20أ - 20ب، ابن كثير، البداية، ج10، ص158، السيد أحمد ابراهيم حمور، هرون، ص 17، و،

والتظاهر باعطاء ولاية العهد لابنه الصبي "جعفر" بن الهادي (1)
ومن ثم يسهل عليه التخلص منهم كشمن لخيانتهم .

وبغض النظر عن موقف "يحي البرمكي" السلبي (ربما لصالح هرون)
فان المشكلة لا تحتمل في نظري أكثر من هذا التفسير ، فيما لو لم
نعتبر بعض الروايات المبالغ فيها عن دور البرامكة واعلاء شأن
"هرون" كتبرير لنفوذهم عليه فيما بعد .
اذ من غير المنطقي أن يظن الخليفة "الهادي" جاهلا مكانة أخيه
"هرون" في نظر الخاصّة والعامّة .. فضلا عن صعوبة اقناعه
الرأي العام في اعطاء البيعة بولاية العهد لصبي لم يبلغ سن
الرشد . والشواهد تشير الى أنّ هذا الرأي كان مرفوضا بالمرّة (2)
فضلا عن حسن نية الخليفة تجاه البرامكة الذين كانوا يرون أعمال أخيه
"هرون" بناء على أمره . (4)

---

(1) الأزدري تاريخ الموصل ، ص262 .
(2) تشير بعض الروايات أن يحي البرمكي قد تمكن من اقناع الخليفة الهادي بقوله . اني أخشى أن تهون الايمان على الناس ولكن المصلحة أن تجعل جعفرا — ابنك — ولي العهد بعد هرون ..) ورد النص في كثير من مصادر التاريخ الاسلامي مع بعض الاختلافات البسيطة . . أنظر ، المسعودي ، مروج ، ج3 ، ص343 . ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص180 ، ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 21 أ . و ، ابن كثير ، البداية ، ج10 . ، ص158 ، اليزدي ، تاريخ ، (مخطوط) ، ورقة 15ب .
(3) اليعقوبي ، البلدان ص406 ، و ، خاون ميرد ستور (بالفارسية) ، ص37 . ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، ص77 — 79 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص147 .
(4) أنظر ، الطبري ، تاريخ ج ج8 ، ص188 . ، ابن الوكيل ، أحسن المسالك (مخطوط) ورقة 20بو و ، ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، ص74 .

حتى أنّه حين غضب على "يحي" البرمكي لعدم استجابته، ومبالغته الشديدة في التقرب من هرون قرّر سجنه (1). وكان بوسعه أن يتخلص منه بقتله تحت ستار طائلة من أسباب الملفقة. ومن الصعب ايجاد تفسير لتحامل بعض المؤرخين على الخليفة "الهادي" رغم أن مدّة خلافته لا تزيد عن سنة واحدة، اذ مالبث أن توفى في ظروف تبدو غامضة (2)

ومن الوجهه القاصرية لم يكن "الهادي" أقل شأناً ممن سبقه من الخلفاء خصوصا وأنّ الفترة التي حكم فيها كان شابا لم يتمرس بعد في أساليب الإدارة ومقتضيات السياسة. (3) زيادة على افتقاره.

---

(1) أنظر الطبري، تاريخ، ج8، ص207 وما بعدها.،

ابن الأثير، الكامل، ج5، ص77 ـ 78، وابن خلدون، العبر، ج3، ص216. وعبد اللّه فياض، البرامكة، ص 67 ـ 68 *dominique; op; cit, t1, p134.*

(2) هناك بعض الروايات تتهم أمه ـ الخيزران ـ بمساعدة البرامكة.، في قتل هذا الخليفة.، أنظر، المقريزي، المقفى (مخطوط)، ج2، ورقة 21، و القلقشندي (أحمد بن علي)، وآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق أحمد فراج، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1400هـ/ 1980م، ج1، ص190.، تغري بردي، النجوم، الجـ 2، ص64.

(4) من المؤكد أنّ الخليفة الهادي لم يكن قد بلغ حتى سن الثلاثين من عمر وقتئذ، بل انّه بالمقابلة مع أغلب الروايات التاريخيّة حول هذا الموضوع يرجّح أن يكون الهادي قد تجاوز الخمس والعشرين سنة من عمره وقت تسلّمه منصب الخلافة.

الى اداريـيـين محنّكين من أمثال "يحي البرمكـي (1)

ومن الوجهة العملية لا أرى الخليفة "الهادى "قد ارتكب أخطاء يمكن أيعاب عليها عدا موقـفه المعادي لتيار الشيعة • العلـويـين (2)

والذي قلّت حدّته بالقياس الـى عـهد أبـيه "المهـدي "وجـدّه "أبي جـعفر المنصور (3)

ولـهذا فانّ التحامـل المبالغ فـيه ضـدّ هـذا الخليفـة الـشاب لا يتعـدى أن يـكون سـببه مـن جـهة ثـمار مجـهودات الـبرامكـة •

---

(1) ظهر في خلافة الهادي قلّة من ذوي الخبرات الادارّية ،لعّل أشهرهم الفضل بـن الـربيع ـ سيأتي ذكـره ـ و، عـيسى بن علي بـن مـاهان • سيأتي ذكره أيـضا و،ابراهيم بن كوان الحراني ،ولسوء الحظ فانّ هؤلاء لم تعط لـهم الفرصة تـوظيف خبراتهم الاداريين بسبب موت الخليفة المفاجيء • ولعّل هذا هو السبب عدم تسميتهم بالوزراء من أكثر مصادر التاريخ الاسلامي • ،أنـظر ابن خياط • ، تاريخه ،ج2 ،ص480 ، و،ابن كـثير • الـبداية ،ج10 ، ص 151 •و و،

- Douminique , op. cit , t1, p 119, Moskati, op. cit ,p20

(2) انتهز العلويون الظروف الصعبة التى كانت تواجه الخليفه الهادي الشاب ،فعقـدوا العزم علي الثورة ضـدّ سلـطته ،والمنادات بارجاع الامامة الى نسل العلويين ،وكـان ذلك ابتداء من موسم الحج ،لسنة 169هـ / 735م ، الاّ أن الخليفة قد وجـه اليـهـم جيشا كـبيرا ، تمكن من القضاء علي حـركتهم في مهدها • ،بعد موقعة شـهيـرة ،تعرف في التاريخ الاسلامي ،بمـعركة (فخ) • ، قتل فيها العديـد من كبار الشيعـة وشتت مـن نجى منـهم ،من قتيـل أو أسر ،حول تفاصيل هذا الموضوع راجع ،الاصبهانـي في (أبو الفرج علي) ،مقاتل الاطالبـيين ،تحقيق السيد أحمد صقر ،دار احياء الكتـب الـعربيـة ، الـقاهرة ،1368هـ / 1949م / ،ص463 • و، الـطبري ، تاريخ ، ج8 ،ص 192 ـ 103 • ، اليعقوبي البلدان ،404ـ 405•

ابن الأثـيـر ،الكامل ،ج5 ،ص75 ـ 76•

(3) أنـظر ،الاصبهاني ،مقـاتل ، ص98 وما بعدها •

وضـيف اللّـه ،بطانـيـة ،العلاقات ،ص141 • 227•

الفصل الرابع

الدور السياسي لأسرة البرامكة
في
عهد الرشيد

من الخطأ ان يعتبر "هرون الرشيد" كان قادرا على تسيير شؤون الحكم قياسا للشهرة التي نالها في الحروب الثغرية ضد الروم البيزنطيين .. ذلك انه لم يكن له منها سوى الاسم الشرفي على عادة مصاحبة الملوك وكبار الامراء لجيوشهم ، وقد اشرت ان هدف هذه الحرب لا يتعدى كونه حركة دعائية قام بها البرامكة من اجل كسب تاييد الرأي العام لصالح " هرون الرشيد " (1) .

وبغض النظر عن رغبة هذا الاخير في الجهاد فيما بعد فان الوضع ا انه عجز كلية عندما جابهته اول مشكلة تطلبت منه اتخاذ القرار فيها بنفسه (2) .

ولعل هذا الشاب لم يالف بعد مرارة الدسائس والمناورات السياسية التي اخذ اخوه " الهادي " في مواجهته بها ، وذلك حين اعلن لمربيه "يحي البرمكي" انه مستعد للتنازل عن ولاية العهد فيما لو تركه اخوه " الهادي " يعيش في امان وحرية (3) .

---

(1) انظر ما سبق

(2) ـ ترجع اعراض ذلك الى سنة 169 هـ/785م عند موت الخليفة الهادي بعيدا عن العاصمة ، اذ اعترضت الرشيد مشكلة تسريح الجيش الذي كان بصحبته تجنبا لتمرده حين يسمع خبر وفاة الخليفة فلم يزد الرشيد عن قوله ، (... ادعوا لي ابي ـ يقصد بذلك يحي البرمكي ـ فاقدم على حل ذلك حيث اعطى للجند رواتبهم وامرهم بالانصراف الى اهلهم وذويهم ....) ، انظره
البلاذري ، انساب الاشراف (مخطوط) ، ورقة 1335 ..
الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص187 و ابن الاثير ، الكامل ج 5 ، ص74
ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ، ص214

(3) ـ انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 208 ، احمد ابراهيم حمرو ، هرون ، ص18 واحمد محمد برانق ، البرامكة ، ص29 ـ 33 .
وتبالغ بعض الروايات في الدور الذي مثله يحي البرمكي في هذا الموضوع حين تشير الى ان الخيزران ـ ام الرشيد ـ كانت تتوسل الى هذا البرمكي بان يقف عن تدعيمه لابنها خوفا على مصيره ولذلك طمأنها ونصح الرشيد بالخروج الى الصيد تظاهرا والبقاء هناك بعيدا عن العاصمة حتى يسوي هو المشكلة مع الخليفة انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 121

خصوصـــا وانه كان وقتـــذلك ينتظر مولودهُ الاول مـــن زوجته المحظيـــة زبيـــدة (1) •

ولم يكـــن بوســـع " يحى البرمكـــي " ان يسكـــت عن هذا التنازل وهو الذي كـــرس معظـــم وقته ليـــرى ابنـــه الرشيد يحتلي عرش الخلافة (2) ولذلـــك فقد غضب " يحى " منه بعد ان وضح لـــه مخاطـــر هذه الفكـــرة وآثارها على مستقبلـــه (3) •

والواقع ان الرشيد كان مدينا للبرامكة فـــي تولية عـــرش الخـــلافة بل كان مدينا لـــهم بحياتـــه ايضا (4) • ولذلك كان احساسهـــم منذ بداية حكمـــه

---

(1) ـ زبيدة ـ عربية هاشمية ، بنت عم الرشيد تزوجـــها عام 165هـ / 781م وانجبت له ابناء منهم الامين ـ الخليفة ـ • وهي من فضليات النساء وشهيراتهن في التاريخ العباسي ، ينسب اليها عدة اعمال خيرية ذات المصلحـــة العامة • انظر ،
البغدادي ، تاريخ ، ج ، 14 ، ص433 ، الاربلي خلاصة ، ص107
ابن خلكان وفيات ، ج 1 ، ص189 ، تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 213 •
عمر رضا كحالة ، اعلام ، ج2 ، ص17 ـ 29 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 3 ، ص42 •

(2) ـ انظر ، الازدي ، تاريخ ، ص261 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص82 •
- *Douminique , op . cit , T 1 , P 134.*

(3) ـ تقول الرواية ان يحى البرمكي قد تجاوز حدود اللياقة الادبية تجاه " ولي العهد " حين رفض منه مناقشة هذه القضايا بالطرق الاستسلاميـــة •
انظر ، الطبري تاريخ ، ج 8 ، ص208 ،
احمد ابراهيـــم حمور ، هـــرون ، ص20 •

(4) ـ الطبري تاريخ ج 8 ، ص230 ، الصولـــي ، (ابو بكر محمد بن يحى) ، الاوراق ، ط 1 ، مطبعة الصاوي ، مصر ، 1353هـ / 1934م ، ص154 •
الازدي ، تاريخ ، ص 261 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص141 ،
البغدادي تاريخ ج 14 ، ص128 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقـــة 21 ب •

انهم كانوا اجـدر الناس بتحمل مسؤوليات هذا الفتى الذي ربوه خلال عشرين سنة ، وعلى ذالك يكونون قد دخلوا السياسة وكلهم ثقة واعتزازا بانفسهم (1) .

وطبقا لهذا المنظور اخذ البرامكة في ممارسة نشاطهم في ادارة الحكم قبل الاعلان عن خلافة الرشيد واعطاء البيعة له من قبل جمهور المسلمين كما جرت العادة ، حيث يذكر المؤرخون القدماء " ان " البرامكة " قد استدعوا كتابا الى منزل احدهم بعيدا عن الادارة الحكومية وقاعات دار الخلافة ليطلوا عليهم صيغة البيان الاعلامي لمختلف ولايات الدولة ، يخبرونهم فيه تولي الرشيد العرش وتوصياته الاولية التي ينبغي مراعاتها (2)

بيد ان الملفت للانتباه ليست بلاغة الكتاب وصيغته البيانية بالقياس الى محتواه غير المألوف لدى الخلفاء العباسيين الذين سبقوا " الرشيد " ، حيث ركز البيان على قضيتين اساسيتين اولاهما التبشير بالاعطيات و وعود تعميم الخيرات على الرعية ، وثانيهما التشديد على ضرورة جمع الاموال وجباية الضرائب من كل

---

(1) ـ ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 186 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، 129 ـ و سامية توفيق عبد الله ، تطور ، ص 51 ـ 55 ، عبد الرحمن المصري ، اثر الفرس السياسي في العصر العباسي الاول ، (رسالة جامعية) ، قدمت لجامعة الازهر سنة 1397 هـ / 1977م ، مكتبة كلية الاداب ، قسم الرسائل رقم 1349/1247 ص 174 .

Gabrieli , op . cit , pp . 58 - 59 .

Dominique , op . cit , T1 , pp 134 - 135.

(2) ـ انظر الطبري تاريخ ، ج8 ، ص 212 ، 230 ـ 231 . و الصولي ، الاوراق ص 154 ـ 155 .

الاقاليم والنواحي لملء خزينة بيت المال (1) .

ويظهر ان هناك تناقضا بين البندين لا يوجد له تفسير موضوعي الا من خلال تتبع مجريات الاحداث ، حيث انه يجهز بصدق عن سياسة البرامكة طيلة فترة نفوذهم (2) .

ومن الواضح ان نسخ البيانات قد ارسلت على عجل في مطلع اليوم التالي في الوقت الذي بدأ " يحيى البرمكي " يعد للترتيبات الاولية في دار الخلافة لتحضير موعد استقبال الخليفة الجديد الوفود المبايعة والمهنئة .

وكانت العادة ان يقف الخليفة المنتخب خطيبا ، ثم يتلقى البيعة من المسلمين عن طريق المصافحة ، الا ان هذه المرة لم يحصل شيء من هذا التقليد المعروف (3) .

وهذه هي المرة الثانية التي يلاحظ فيها " الرشيد " عاجزا عن اداء مهامه ، التي لا تستوجب بالمنظور السياسي توكيلها لغيره .

---

(1) ـ انظر ، الصولي ، الاوراق ، ص 154 ـ 155 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 230 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 .
(2) ـ انظر ، ما سياتي ،
(3) ـ انظر ، الصولي ، الاوراق ، ص 155 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 230 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 .

واقتضت سياسة " يحى البرمكي " الا يواجه الوفود بدل سيه حفاظا على شعور الزوار وفيهم من فيهم من نبهاء القوم وسادة العرب من الهاشميين وغيرهم . فقدم " يحى " رجلا ذا مكانة مرموقة في البلاط العباسي لموالاته لأهل البيت واخلاصه الشديد لهم ، فضلا عن علاقته الطيبة باسرة البرامكة (1) ليقف خطيبا في مواجهة الجمهور بدل الخليفة " هرون الرشيد (2) .

وبهذه الطريقة جنب " يحى البرمكي " الخليفة الجديد امتحان القدرة على مواجهة القضايا بنفسه كما اعفاه من مخاطر قد تربكه امام فطاحل اللغة العربية وبيانها . وهو أمرا لا اجد له تفسيرا غير محاولة التشكيك في اشراف البرامكة على تعليم " هرون " حيث لم يكن سوى تغطية سياسية المتطلعا لطموحاتهم غير المحدودة نحو المناصب الادارية السامية .

ومهما يكن من امر ذلك فالشائع انه بعد هذه الحادثة اجتمع الخليفة ب " يحى البرمكي " واعلن له صراحة تفويضه الكامل على شؤون ادارة

---

(1)— هو يوسف بن القاسم بن صبيح ، من الموالي تميز بالخبرة الواسعة في ميدان الكتابة والادب اذ كان من كبار كتاب دواوين الخليفة المنصور . وكان من المقربين اليهما لا حرصا عليه من اخلاص للبيت العباسي . اما في عهد نفوذ البرامكة فقد قام بادوار هامة في الادارة المركزية خلال العشر سنوات الاولى من خلافة الرشيد (توفي عام 180هـ / 796م) . وقد قام ابناؤه من بعده باعمال ادارية هامة في الخلافة العباسية خاصة ابنه " احمد " الذي صار وزيرا للخليفة المأمون . انظر ،
الصولي ، الاوراق ، ص 156 — 158 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 131 ، 175 ، ابن خياط ، تاريخه ، جـ 2 ، ص 502 ، المرزباني ، معجم ، ص 509 ، محمد توفيق خفاجة ، تطور ، ص 117 ، الزركلي ، الاعلام ، جـ 8 ، ص 245

(2)— الصولي ، الاوراق ، ص 154 — 155 و ، ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ، ص 160 .

خلافته بطريقة يصعب الشك فيها لاعتماد اغلب المؤرخين القدماء على سرد نصها وقد جاء فيه على لسان الرشيد مخاطبا يحيى – قد قلدتك أمر الرعية واخرجته من عنقي اليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب واستعمل ما رأيت وامض الامور على ما ترى" (1) .

وبهذه المناسبة اقيم حفل بهيج حفظ الشعر مدلوله التاريخي حيث دعي يحيى بلقب الوزير (2) . وميّز عن بقية الاعوان والمستشارين بالدخول على الخليفة دون وساطة حاجب او موعد سابق ، فضلا عن وقوف الغلمان له اكبارا واجلالا مثلما يحيون الخلفاء من بني العباس (3) .

ويبدو ان يحيى البرمكي لم يضع امتيازاته حيز التطبيق قبل ثلاث سنوات خلت من خلافة هرون الرشيد (170 – 173هـ/ 786 – 789م) وذلك لوجود سيدة القصر وأم الخليفة "الخيزران" التي كانت على جانب كبير من الذكاء والفطنة سمحا لها بممارسة نوع من الوصاية على ابنها الشاب القليل التجربة في أساليب الحكم (4) .

---

(1) – الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 223 . ويرد النص في اغلب مصادر التاريخ الاسلامي مع بعض الاختلافات البسيطة في الشكل لا في المضمون . انظر لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 290 – 291 . البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، ص 128 و الجهشياري ، الوزراء ، ص 177 . ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 ، و تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 65

(2) – قال في هذه المناسبة الشاعر ابراهيم الموصلي – سياتي ذكره – قصيدة من بحر الطويل ، جاء في مطلعها ،

اَلَم تَرَ اَنَّ الشَّمسَ كَانَت سَقِيمَةً ... فَلَمّا وَلِي هَرُونَ اشرَقَ نورُهَا

بِيُمنِ اَمِين اللّهِ هَرُونَ ذِي النَّدَى ... فَهَارُونَ وَالِيهَا وَيَحْيَى وَزِيرُهَا

ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 .

(3) – انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 291 . ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 – 83 ، السيوطي ، تاريخ ، ص 294 ، ابن عساكر ، التاريخ ، ج 5 ، ص 28

(4) – ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 82 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 283 و الاربلي ، خلاصة ، ص 108 . عبد الله فيلبي ، البرامكة ، ص 71 – 72 .

Gabrieli , op . cit , pp 58 - 60.

ويبالغ بعض المؤرخين في الحديث عن سلطة " الخيزران " في الفترة الاولى من خلافة الرشيد ، ويزعمون ان السيدة كانت وراء كل القرارات الصادرة عن الوزير " يحيى البرمكي " (1) .

والملاحظ ان شيئا من هذا لم يكن فيما لو استحضر الوضع الذي كانت تعيشه هذه السيدة ، وعلاقتها بهذه الاسرة التي خدمتها ما يزيد عن عشرين سنة . وقد كانت احدى النساء البرمكيات - زوجة يحى - اما لإبنها الخليفة الحالي من الرضاعة كما كانت الخيزران نفسها أما من الرضاعة لأحد فتيان البرامكة . فأي اوامر يمكن ان تعطيها هذه السيدة واية مراقبة محتملة لترصد بها تنفيذ قراراتها من قبل هذه الاسرة - ان كانت هناك قرارات - حيث لم يكن لها اية فكرة عن سوء نيتهم ، او مجرد شك في ولائهم لها .

ولعل مصدر تلك المبالغة ناتج عن مظاهر الاحترام والثقة المتبادلة بين الاسرتين ، كما وانه لا يمكن استبعاد استشارة الوزير " يحى البرمكي " لها من حين لآخر فهي على كل حال زوجة لخليفة وام لخليفتين (2) .

---

(1) - الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 233 ، لمؤلف مجهول العيون ، ص 291 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج5 ، ص82

(2) - انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 291 ، ابن كثير ، البداية ، ج10 ، ص 160 - 161 ، و ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ج 3 ، ص 217 .
تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 65 ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، ج 2 ، ص50 .

ويظهر ان السيدة لم يكن لها مجال للتدخل في الشؤون السياسة غير القيام ببعض الاعمال الخيرية وقضايا البر والاحسان (2)، تحدونها في في ذلك مسؤوليتها تجاه رعايا ابنها الشاب وشعورها باهمية مساعدة المعوزين لضمان ولائهم للخليفة الجديد .

ومهما يكن من امر ذلك فالشائع ان زمام الحكم قد صار بيد الوزير البرمكي . وقبل ان يوظف بقية افراد اسرته من القادرين على تحمل المسؤوليات اخذ في ترتيب بعض الاجراءات المهمة لتصفية الادارة المركزية .، وقد عمل بدهاء على ازالة وظيفة اقدم اداري في تاريخ الخلافة العباسية ، واهم مخلص لها وهو " ابو العباس الطوسي " (2) بدعوى انه كان يماطل في ختم ويعطل سير الاعمال (3) وبذلك اصبحت المراسيم والقرارات الصادرة عن دار الخلافة

(1) — تقول الرواية ان دخل الخيزران السنوي كان يبلغ ما قيمته "ستة الاف وستين الف الف درهم" كانت تنفقها في الصدقات انظر، انظر، تغري بردي، النجوم، جـ 2 ، ص72 .

(2) — اشتهر " ابو العباس الطوسي " بمولاته للبيت العباسي قربه الخليفة العباسي الثاني " ابو العباس المنصور واعتمد عليه في عدة مهام حتى صار رئيسا لحرسه . وقد توفي بعد سنة من عزلته على يد البرامكة عام 171هـ/ 787م انظر الطبري التاريخ ، جـ 7 ص 507
ابن الاثير ، الكامل جـ 4 ، ص 663 ، جـ 5 ص 130 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 178 .

(3) — انظر اليزدي تاريخ ، (مخطوط) ورقة . = 110 — 11ب

وبذلك اصبحـــــت المراسيم والقرارات الصادرة عن دار الخلافة تطبـــــع بخاتم " يحى البرمكي " (1) • وبخاتم كاتبه في القضايا ذات الاهمية الاقل شانا "(2)

والملاحظ ان المؤرخين قد اعطوا اهمية كبيرة الى تحويل الختـــم الـــى البرامكة لانه يدل على الثقة التامـــة فضلا عـــن مدلولـــه السلطوي وقتئـــذ (3) والروايات حول هذا الموضوع كثيرة ومتضاربة مما يجعـــل الخروج بفكـــرة واضحة امرا عسيـــرا فهناك من يشير الى ان الخاتم

---

(1) ــ الخاتم يعود ا تاريخ استعماله في الدولة الاسلامية الى زمـــن الرسول (ص) ثم الخلفاء الراشدين مـــن بعده ولاهمية هذا الخاتم كانوا لا يسلمونه لاحـــد اما في العهد الاموي فقد صار بيد اهـــم من يثق فيه الخليفة اذ كانت مهمته مراقبة السجلات والتحقق في امور البيانات المرسلة بعد ان يقدمها للخليفة و ويختمها بحضوره ، اما تسليمـــه لكاتب ومنحه حريـــة التصرف فيه فلم يحـــدث قبل هذا التاريخ ، انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص178 و ،

Bouvat , op . cit , P 49.

Dominique , op. cit , T1 . p 137.

(2) ــ صار كاتبه المفضل ــ ابو القاسم بن يوسف ــ المولى الذي سبقت الاشارة اليه ويلاحظ بعد هذا الاجراء غير العادي المحاولات الاولى للازدياد اهميـــة الكتاب ودورهم في الادارة العباسية • انظر ، الصولي ، الاوراق ، ص154 ــ 156 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص178 ، محمد توفيق خفاجة ، تطور ، 117 ــ 118 •

(3) ــ يفسر هذا التحويل تفويض الخليفة الرشيد وزيره يحى البرمكي شؤون الولايات ومراسلة ولاتها دون الرجوع اليه •، وذلك بحجة سرعة تصريف الامور التـــي اشار اليها هذا الوزيـــر منذ السنة الاولى مـــن حكـــم الرشيد •، انظـــر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص178 و ، محمد توفيق خفاجة ، تطور ، ص117 •

وقد انتقـل الى " الفضل بن الربيع" (1) لاسباب تبـدو غامضـة (2) وحسب ما تجمع لدي من روايات الأ حظ ان هذا الرجل غيـر المرغوب فيـه في ادارة البرامكة لم يجرؤ على طلب الخاتم منهم ، بل هناك مايثبت ان الخاتم قد بقي متداولا بين ايـدي البرامكـة حتى سنوات متاخرة من وزارتهم (3) .

والملاحظ ان "يحى البرمكي" قد انضاف الى لقبه الرسمي - الوزيـر - لقبا شرفيا حيـن صار يدعى ب " الامير" ايضـا ، وهي ميزة لم ينلها احد من اعوان الخلفـاء قبلـه

---

(1) - هو احد الموالي المخلصين للبيت العباسي . وكان رجل ادب وادارة اكتسب ذلك من ابيه " يونس" الذي خدم العباسيين طيلة حياته ، وللفضل علاقة جيدة بالخلفاء ، وكان يطمح الى مناصب عليا في عهـد الرشيد ، . وقـد عانى كثيرا من مضايقة البرامكة له في عدة مناسبات ، فضلا عن احتجازهم المناصب العامة دونه . ويرون انـه كان يناصر الحـزب العربي في مواجهة الحزب الفارسي الذي كان يمثله البرامكة وبعض اعوانهم الفـرس . انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 216 ، 249 - 251 . و لمولف مجهول ، العيون ص 292 ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 87 ، الجمـرد ، هرون ، جـ 1 ص 156 - 157 ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، جـ 4 ، ص 163 ، محمـد بهجت الاثري ، الفضل بن الربيع ، مجلة (الحيل) ، عدد 10 (اوكتوبر 1984م / 1404هـ) ص 38 - 39 .

(2) - تسير بعض الروايات ان الخيزران كانت تبغض الفضل بن الربيع وتمنعه من الارتقاء في خلافة الرشيد ، لوقفه بجانب الهادي ايام خلافته ، غير ان هذه الفكرة تعوزها الدلائل المقنعة ، انظر ، لمولف مجهول ، العيون ، ص 292 ، ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ص 164 ، الخضري ، محاضرات ، ص 122 محمد محمد شمس الدين ، رسالة في تاريخ هرون الرشيد ، رسالة جامعية ، قدمت لجامعة الازهر مكتبة كلية الاداب ، قسم الرسائل رقم . 100 ، ص 132 - 134

(3) - ابن الوكيل ، حسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 50ب ، ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ 2 ، ص 103 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 153 ، اليافعي مراة ، جـ 1 ، ص 430 ، الخضري ، محاضرات ، ص 113 ، و ،

Bouvat , op . cit , pp 49 , 50
Dominique , op . cit , T1 , pp , 38 - 39.

والمعروف ان لقب " الامير " كان يطلق عادة على القادة العسكريين اما في هارون " يحيى البرمكي " فلا اجد لذلك مدلولا عمليا غير سيطرة هذا البرمكي على ادارة الجيش (1)

ولتجسيد هذه الالقاب الى واقع عملي وتثبيت جدارته اقدم على اتخاذ اجراءات ادارية جديدة في اساليب الادارة ونظام المراسلات التي تطورت في عهدهم تطورا بيّنا ما له صلة بالمشاريع السياسية التي كان البرامكة ينوون القيام بها (2) •

والملاحظ ان الكثير من هذه الاجراءات كان يقوم بها وحده دون استشارة الخليفة الرشيد وهي ظاهرة نادرة الحدوث في تاريخ الدولة الاسلامية وتاريخ الوزارة على حد سواء (3) •

---

(1) — تتحدث بعض المصادر التاريخية عن وظائف يحيى البرمكي ، وتحدد انه اجتمعت له " الوزارتان " اي وزارة السيف والقلم • ق قارن ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 235 ب الجهشياري ، الوزراء ، ص 177 و ، الخضري محاضرات ، ص 113 ، و ب ، ابراهيم احمد حمور هرون ، ص 20 ـ 21 •

(2) — الجهشياري ، الوزراء ، ص 177 ، توفيق محمد خفاجة ، تطور ، ص 117 ـ 118 •134

(3) — يعرف هذا النوع من الوزارة " التفويض " وتعني في عمومها حرية الوزير دون الرجوع — في اتخاذ القرار — الى الخليفة ، عكس وزارة " التنفيذ " التي لا تتعدى مجرد تطبيق اوامر الخليفة والسهر على تنفيذها ، انظر الماوردي ، (ابو الحسن علي) قوانين الوزارة وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، ط 1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1399 هـ / 1979 م ، ص 136 ـ 139 ولنفس الكاتب ، الاحكام السلطانية و الولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1398 هـ / 1978 م ص 24 ـ 29

وتجنبا للمنافسات السياسية والصراعات الداخلية المتوقعة تبعا لتطور سلطات البرامكة قام " يحيى البرمكي " بسلسلة من التعديلات ذات الابعاد الهامة (1) .

ويأتي في مقدمة ذلك سحب اغلب جنود المؤسسات العسكرية المرابطة على كامل الحدود الشمالية للدولة والتي كانت تقف في وجه التحركات البيزنطية الدائمة ، واخذ يركزها في الداخل (2) .

ومن الصعوبة بمكان معرفة نوايا البرامكة من وراء هذه الاجراءات العسكرية ، لما لوحظ عنهم من نشاط في هذا الميدان قبل تولية هرون عرش الخلافة (3) .

واستنتج من ذلك ان هناك حقيقتين جوهريتين في سياسة البرامكة في عهد الخلافة العباسية ، اولهما ان تشجيعهم الحرب الثغرية في الشمال لم يكن يقصد منها غير اعلاء شانهم امام امة تقدس الجهاد (4) وتعتبره من مقوماتها .

---

(1) - انظر ، ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ، ص 160

(2) - حول تفاصيل هذا الموضوع ، انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 83
الازدي ، تاريخ ، ص 262 ، لمؤلف مجهول ، مختصر (مخطوط) ، ورقة 45 ب ، 146 ، و عمر فاروق ، بحوث في التاريخ العباسي ، ط 1 دار القلم ، بيروت مكتبة النهضة ، بغداد ، 1397هـ / 1977م ص 187 ، و بليايف ، العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة انيس فريحة ، ط 1 ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، 1392هـ / 1972م ، ص 301 ، و الجومرد ، هرون ، جـ 2 ، ص 346

(3) - انظر ما سبق

(4) - الجهاد يعني محاربة المشركين لادخالهم في الدين الاسلامي وهدايتهم وهدايتهم الى طريقه القويم . انظر القرآن الكريم . سورة التوبة ، آية 111 وسورة الصف ، آية 9 .

وثانيهما ان محاولة تركيز الجيش العباسي وعدم تركه موزعا على الثغور تجنبا لاحتمال وقوعه في مغريات احد المعارضين لنفوذ البرامكة الآخذ في التزايد باستمرار .

وفضلا عن ذلك قام " يحى البرمكي " بافراغ دار الخلافة من اغلب الشخصيات الهاشمية والتي يتوقع طموحها الى المناصب العليا ، وذلك عن طريق تعيينهم في مناصب هامة الا ان جلها قد اختير خارج العاصمة " بغداد " 1) . بعد اكرامهم بعبات واعطيات مالية ضخمة (2) .

وانطلاقا من هذا الوضع شرف " يحى البرمكي " عائلته باستدعاء اهم افرادها للعمل في مختلف الوظائف السامية .

ويظهر انهم كانوا على جانب كبير من الاستعداد لذلك ، وتطنب المصادر التاريخية في الحديث عن شخصية " جعفر البرمكي " الجذابة لامتلاك رصيدا هائلا من الثقافة فضلا عن تحكمه البين في ناصية اللغة العربية وبيانها ولعل ذلك ما خول له ان يتخصص في " منادمة (3) الخليفة الرشيد الذي كان يشاطر الراي العام في الاعجاب بهذا الفتى البرمكي (4) .

---

(1) ـ انظر ، البلاذري ، انساب ، (مخطوط) ، ورقة 335ب ، وابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 83 .

(2) ـ بالغ البرامكة ـ في بداية نشاطهم ـ اكرام آل البيت رغبة منهم في استمالتهم اليهم واصطناعهم ، انظر ، ابن كثير ، البداية ، 20 ، ص 161 .
ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ 2 ، ص 65 .

(3) ـ جعفر اهم شاب من شباب اسرة البرامكة ، 150هـ ـ 187هـ / 767 ـ 803م نشأ في بغداد ، واولاه ابوه يحى عناية خاصة حيث تتلمذ على " ابي يوسف " سياتي ذكره ـ قاضي قضاة بغداد ، وتكاد تتفق المصادر في الاعجاب بشخصيته وفي الاشادة بالادوار التي مثلها في عهد هرون الرشيد ، انظر ، البغدادي ، تاريخ ، جـ 7 ، ص 152 ، ابن خلكان ، وفيات ، جـ 1 ، ص 105 ، اليافعي ، مراة ، جـ 1 ، ص 404 ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص 23 ، البيهقي ، (ابوالفضل) تاريخ البيهقي ، ترجمة الخشاب وصادق نشأة ، مكتبة الانجلو مصرية ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ب ت ، ص 722 .

(4) ـ وتعني المجالسة والمؤانسة ، وقد كانت هذه الوظيفة معروفة عند العرب القدماء وعند الفرس ، حيث كان الملوك يختارون الظرفاء اعونهم واقدرهم على ادخال السرور وتهيئة جو الفكاهة في مجالسهم . انظر ، جمال سرحان ، المسامرة والمنادمة عند العرب ، دار الوحدة ، بيروت ، 1401 هـ / 1981م ، ص 15 ، و ، الفصل السادس من هذا البحث .

والمنادمة في سياسة البرامكة تتجاوز الحدود المتعارف عليها حيث ان جعفر رقيبا على الخليفة ونادرا ما يفارقه ،ولذلك فانه من الصعب تحديد مهامه بدقة نظرا لتعددها ،ومحاولة " جعفر" التدخل في الكثير من القضايا المختلفة مما يعكس للباحث صورة مشوشة عن مهام الوزراء حتى ذلك الوقت.

وعلى العكس من ذلك فيما يخص اخاه " الفضل البرمكي " الذي كانت مهامه مهامه اكثر وضوحا بسبب تولية اعمالا خارج العاصمة بغداد (1) .

ولم يقف نفوذ اسرة البرامكة الى هذا الحد ما دام فيهم من يستطيع احتجاز وظيفة في عهد هذا الخليفة المسامح . فحتى " محمد بن خالد البرمكي " الذي لا يعرف عنه الا القليل كان قد تمكن من احتكار حجابة قصر الرشيد زهاء سبع سنوات (172 ـ 179هـ / 788 ـ 795م) رغم كبر سنه وضعف شخصيته على ما يبدو (2)

ويتحدث بعض المؤرخين عن وجود اثنين من ابناء " يحي البرمكي " هما " موسى " و محمد " قد كانا يحملان لقب " امير " ولهما دور هام في التاثير على الساحة السياسية ببغداد (3) . والظاهر ان هذه المناصب التي نالها البرامكة وتلك الالقاب التي كانوا يدعون بها في فترة واحدة تشير الى فكرة سابقة لاوانها

(1) ـ تركز نشاطه في الاقاليم الخرسانية المضطربة باستمرار ،اكسبت الرجل شهرة عسكرية لم تحصل لاحد غيره من افراد اسرته كما سنرى

(2) ـ محمد بن خالد اخو "يحى البرمكي" يندر ذكره في الروايات التاريخية ولا يعرف له نشاط في الخلافة العباسية غير وظيفة الحجابة ،و ورود اسمه عرضا ضمن قائمة ولاة " اليمن " في فترة قصيرة من خلافة الرشيد . انظر ابن خياط ،تاريخه ،ج 2 ،ص 487 ،الطبري ،تاريخ ،ج 8 ،ص 261 . ابن الاثير ،الكامل ،ج 5 ،ص 115 ، الجهشياري ،الوزراء ، 187 ـ 233 الاربلي ،خلاصة ،ص 113 .

(3) ـ محمد خاوند شاه،تاريخ روضة الصفا (بالفارسية) ،طبعة حجرية ،دون الاشارة الى الاشارة الى مكان الطبع 1271هـ / 1954م ،ص 133 ،135 ، محمد شمس الدين ، هرون ، ص 99

عـــن تكوين وزارة فريدة من نوعها في تاريخ نظام الوزارة في الدولة الاســـلامية ، قوامها الوزير الاول الممثلة في شخصية " يحيى البرمكي " مجـــموعة من الوزراء والامراء الممثلين في بقية اعضاء الاســـرة (1)

هذا الاحتكار الاداري المميز الذي مارسه البرامكة والثقة التامة التـــي تمتعوا بـــها في بداية خلافة الرشيد تبين بوضوح سمـــات التطور الحضاري و الاجتماعي للشعوب الاسلامية وقتذاك .. وهي ميزة شاع ظهورها منذ اعتلاء العباسيين عـــرش الخـــلافة .

ولا شـــك ان وضعية البرامكة ــ بغض النظر عن الظروف الاستثنائية التـــي اوصلتهم الى الحكم ــ (2) خـــير دليل علـــى هذا الرقي والاصلاح الاجتماعي

وتكـــاد تجمع المصادر التاريخية والادبية ــ المعتمد عليها ــ ان الخليفة الرشيد قـــد انصـــرف في بداية عهـــده الى قضايا بعيدة عن ميدان الادارة وتسيير الحكم حيث كان يقضي معظم وقته خارج العاصمة لمتابعة حركة الجهاد وتنظيم عمليات الغزو في شمال بلاد الشام ضد البيزنطيين تاركا الادارة المركزية وشؤون الولايات بيد وزرائه البرامكة واعوانهم من العناصر الفارسية (3) .

---

(1) ــ يتضح في كثير من الروايات ان جعفر البرمكي " قد حمل لقب " الوزير " في نفس الوقت الذي كان يحمله " ابوه يحيى ، واخوه " الفضل " ، ولعل هذه الظاهرة هي التي كان يقصد بها المؤرخون القدماء عندما يصفون وزارة البرامكة بـ دولة البرامكة " . انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 153 ، 173 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 110 ، 150 ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، ج 2 ، 53 ــ 54 ، و احمد محمود حسنين ، هرون ، ص 2 .

(2) ــ راجع علاقتهم بالخلفاء العباسيين فيما سبقت الاشارة اليـــه .

(3) ــ حسب روايات المصادر الجيدة الاحظ ان الرشيد قد ركز نشاطه طيلة فترة حكمه على الميدان العسكري باشرافه على سلسلة من عمليات الحرب الثغرية ضـــد البيزنطيين ، وما صاحب ذلك من بناء الحصون والثغور وترتيب مستلزماتها كما امضى وقتا غير يسير في قمع حركات التمرد التي كانت تقوم في عهده من حين لآخر . انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص 24 ــ 224 . الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 268 ، اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ورت ، ط 2 ، دار الكتاب الجديدة بيروت ، 1400 هـ / 1980 م ، ص 24 ــ 25 ، القزويني ، آثار ، ص 146 ، 330 ابن قتيبة ، الامامة ، ص 188 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 199 ، الذهبي ، ج 4 ، ص 274 . اليافعي ، مرآة ، ج 1 ، ص 378 ، عمر فاروق ، بحوث ، ص 187 ، سهيل زكار ، التاريخ ، ص 72 ، عبد الكريم البليغ ، الرقة مدينة الرشيد ، مجلة (الدوحة) ، عدد 16 ، 1404 هـ / 1983 م ، ص 104 ــ 109

عـــن تكوين وزارة فريدة من نوعها في تاريخ نظام الوزارة في الدولة الاســـلامية ، قوامها الوزير الاول الممثلة في شخصية « يحيى البرمكي » ومجـــموعة من الوزراء والامراء الممثلين في بقية اعضاء الاســـرة (1)

هذا الاحتكار الاداري المميز الذي مارسه البرامكة والثقة التامة التـــي تمتعوا بـــها في بداية خلافة الرشيد تبين بوضوح سمـــات التطور الحضاري و الاجتماعي للشعوب الاسلامية وقتذاك .. وهي ميزة شاع ظهورها منذ اعتلاء العباسيين عـــرش الخـــلافة .

ولا شـــك ان وضعية البرامكة — بغض النظر عن الظروف الاستثنائية التـي اوصلتهم الى الحكم — (2) خـــير دليل علـــى هذا الرقي والاصلاح الاجتماعي

وتكـــاد تجمع المصادر التاريخية والادبية — المعتمد عليها — ان الخليفة الرشيد قـــد انصـــرف في بداية عهـــده الى قضايا بعيدة عن ميدان الادارة وتسيير الحكم حيث كان يقضي معظم وقته خارج العاصمة لمتابعة حركة الجهاد وتنظيم عمليات الغزو في شمال بلاد الشام ضد البيزنطيين تاركا الادارة المركزية وشؤون الولايات بيد وزرائه البرامكة واعوانهم من العناصر الفارسية (3) .

---

(1) — يتضح في كثير من الروايات ان جعفر البرمكي " قد حمل لقب " الوزير " في نفس الوقت الذي كان يحمله " ابوه يحي ، واخوه " الفضل " ، ولعل هذه الظاهرة هي التي كان يقصد بها المؤرخون القدماء عندما يصفون وزارة البرامكة بـ دولة البرامكة " . انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 153 ، 173 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 10 ، 150 ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، ج 2 ، 53 — 54 . و ، احمد محمود حسنين ، هرون ، ص 2 .

(2) — راجع علاقتهم بالخلفاء العباسيين فيما سبقت الاشارة اليـــه . .

(3) — حسب روايات المصادر الجيدة الاخبار ان الرشيد قد ركز نشاطه طيلة فترة حكمه على الميدان العسكري باشرافه على سلسلة من عمليات الحرب الثغرية ضـــد البيزنطيين ، وما صاحب ذلك من بناء الحصون والثغور وترتيب مستلزماتها كما امضى وقت غير يسير في قمع حركات التمرد التي كانت تقوم في عهده من حين لآخر . ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص 24 — 224 . الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 268 ، اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ورت ، ط 2 ، دار الكتاب الجديدة بيروت ، 1400 هـ / 1980 م . ، 24 — 25 ، القزويني ، آثار ، ص 146 ، 380 ابن قتيبة ، الامامة ، ص 188 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 99 ، الذهبي ، ج 4 ، ص 274 . ، اليافعي ، مراة ، ج 1 ، ص 378 ، عمر فاروق ، بحوث ، ص 187 ، سهيل زكار ، التاريخ ، ص 72 . عبد الكريم البليغ ، الرقة مدينة الرشيد ، مجلة الدوحة ، عدد 16 ، 1404 هـ / 1983 م ، ص 104 — 109

وتبعا لذلك يمكن القول الى ان البرامكة كانوا مسوءولين بطريقة اوباخرى عن ادارة البلاد سلبا وايجابا على الاقل في الفترة الاولى من خلافة الرشيد ويظهر ان البرامكة قد انصرفوا منذ استلامهم المناصب الحساسة الى توجيه الحكم توجيها بذلوا فيه اقصى طاقاتهم واستعملوا فيه كل مواهبهم يحدوهم في ذلك اخلاصهم المتفاني للدولة وثقة الخليفة فيهم دون استبعاد آمالهم وطموحهم في المجد ومحاولة فرض وجودهم (1).

وبعد ان تخلصوا من اغلب العناصر التي كانت تقف في وجههم ايام الخليفة الهادي (2)

واغلب الظن ان "يحى البرمكي" وابنه جعفرا" قد بقيا ملازمين للادارة المركزية ببغداد لتسيير مختلف شوءون الخلافة في حين تولى بقية الاسرة شوءون الولايات (3).

وياتي في مقدمتهم "الفضل البرمكي" الذى يدين له شرف الخلافة بالكثير من الاعمال لدرجة انه لا يعرف عنه شيء آخر غير ارتباطه باحداث اقاليم خراسان حتى الى حدود ماوراء النهر المميزة عن غيرها بشدة الاضطراب تود يومئذ (4).

---

(1) - يروى انه كان هناك آراء تطالب باغتيال هوءلاء تقترب للخليفة الرشيد ووزيره "يحى" على ان عفو هذا الاخير عنهم - رغم مافي ذلك من مبالغة - يدل دلالة صراحة على رجاحة عقل هذا البرمكي وحسن تدبيره اذ لا يعقل ان يفتتح خليفة عهده بسلسلة من الاعتقال واراقة الدماء قد تجر الخلافة الى العديد من المشاكل هي في غنى عنها وتتفاداه، انظره

الجهشياري، الوزراء، ص178، ابن الوكيل، احسن المسالك (مخطوط)، ورقة 21ب محمد احمد برانق، البرامكة، ص39.

(2) - انظر، الجهشياري، الوزراء، ص 177. الصولي، الاوراق، ص 156

Dominique , op ,cit , t1 pp 140 , 149 - 150
Sfyan, op . cit , t2 . p 210.

(3) - يستثنى من ذلك "محمد بن خالد" الذي احتفظ بالحجابة قصر الخليفة كما اشرت سابقا

(4) - انظر، البلاذري، فتوح، ص 295 ومابعدها، الطبري، تاريخ، ج 8 ص 242

وتعـــد عملية حـل مشكلة " يحى العلوي " (1) الذي اخذ يدعو للتمرد على سلطة العباسيين واقامة خلافة جديدة يحكمها العلويون احدى النقاط البارزة فـــي نشاط " الفضل البرمكي " .

وبغض النظر عـــن تفاصيل استعداد الجيش العباسي الى القضاء عـــلى هـــذه الفتنة (2) ، فان الرائج انها قـــد طفئت دون قتال ، بفضل الضمانات التـــي قدمها هذا البرمكي للثائـــر العلوي (3)

ويبدو ان هذه النتيـــجة غير المتوقعة التي توصل اليـــها الفضل البرمكي " قـــد كانت سببـــا في كسبـــه الشهـــرة الهامة ونيـــل المكانة

---

(1) — يحى العلوي — هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب مـــن كبار العلويين الثائرين ضد العباسيين ، وقد كان ضمن قادة معركة " فخ " ال الشهيرة — التي اشرت اليها سابقا — وقد تمكن يحى من الفرار من المعركة بعد ام ان كاد يقضى عليه . ، وسار الى اقليم الديلم بخراسان ، وهناك اخذ يدعو الى نفسه بامامة المؤمنين ، ويدعو الناس الى انتقال الخلافة العباسية للمزيد عن هذا الموضوع راجع ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص463 — 486 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص189 — 190 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ج 3 ، ص292 — 293 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص242 — 243 ، خواندا مير ، دستور ، ص46 — 47 ميرخواند ، تاريخ ، 135 ، سامية محمود نصار ، الحركات المناهضة للخلافة العباسية في الشرق ، رسالة جامعية قدمت لجامعة القاهرة 1403هـ/1983م مكتبة كلية الاداب قسم الرسائل ، رقم 3782 ، ص 50 — 81

(2) — تقول الروايات ان " الرشيد " قد خصص لهذه المهمة جيشا قوامه " خمسون الف جندي " انظر ، البيهقي ، تاريخه ، ص440 — 441 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ص243 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ص176 ، اليزدي ، تاريخ ، (مخطوط) ، ورقة 27ب

(3) — اشاع بعض المؤرخون ان الفضل راود " العلوي يحى " بالترغيب والترهيب حتى استدرجه للصلح مقابل امان موقع فيه من قبل الخليفة الرشيد بشهادة والفقهاء وعلية القوم يضمن فيه عدم التعرض لـ " يحى " واصحابه عند حلولهم ببغداد . انظر ، اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2 ، ص 243/ 408 ، الاصفهاني ، مقاتل ، ص481 — 482 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 243 ، ابو الفداء ، المختصر ، ج 2 ، ص 13 .

المكانـــــة المميزة ليس لدى الرشيد فحسب بل لدى اعيان بغداد ايضا حيث استقبلـــوه استقبال البطل الفاتـــح (1) .

ولعل هذه المكانة التي فاز بها هذا البرمكي دون استحقاق تـــــد وضعته في رذيلة الغرور التي تنتاب بعض الشباب في مثـل سنـه حيث انشغل بعد ذلك عن مسؤولياته كأمير على اهم مناطق خراسان وذلك بتنظيمه لرحلات الصيد هنالـك وبصاحبها مـــن اسراف في المظاهر وفق ماحملته تقارير رجال البريـد الى قصــر الخليفة .. والملفت للانتباه في هذا الموضوع هـــو موقف الرشيد اللامبالي ازاء مثل هذه التجاوزات في حـــق مصالح رعيته ، حيث لم يكلف نفســه عناء البحث في الموضوع ولم يزد عن اعطاء التقرير بعد ان قراه — الى وزيره " يحى " ليتخذ الاجراء المناسب (2)

والغريب ان " يحى " لم يظهر عليه اي انزعاج تجاه تهاون ابنه وهو في بداية حياته العلمية بل لاطفه بنصائح لينة كتبها على ظهر التقرير نفسه واردف ذلـــك بقصيدة يفهم منها دعوة ابنه الى اتباع سياسة نفاق توامها التظاهر بالجد والاخلاص ثم اتيان الملذات بعيدا عـــن اعين الرقابة وملاحظات العامة (3) .

---

(1) — انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 293 ، وقد خلد هذا الانتصار البرمكي شاعرهم شاعرهم المجيـــد — مروان بن ابي حفصة سياتي ذكره — حين قال في الفضل قصيد قصيدة من بـــحر " الكامل " جاء في مطلعها —

ظفرت فلا شلت يد برمكية ... رتقت بها الفتق الذي بين هاشم

انظر ، القصيدة كاملة عند الطبري ، تاريـــخ ، ج 8 ، ص 243 .

(2) — ايراد الرواية التي وردت على لسان الرشيد حتى يعرف مبلغ قيمة البرامكة لديه ، ومدى ثقته بهم ، قال الرشيد مخاطبا يحى " يا أبت اقرأ هذا الكتاب و واكتب اليه كتابا يردعـــه عن مثل هذا "

انظر ، المسعودي ، مـــروج ، ج 3 ، ص 377 ، اليافعي ، مراة ، ج 1 ص 431 ،

(3) — وردت القصيدة دون ذكـــر صاحبها ، جاء في مطلعها من بحـــر السريـــع

انصبْ نهاراً في طِلابِ العُلاَ ... واصْبِرْ في مطلعها على فَقْدانِ الحبيب

حتّى إذا الليل بَدَا مُقْبِـــلاً ... واستترتْ فيه وُجُوه العُـــيُوب

فَبادِرْ الليلَ بمـا تشتهـــي ... فانما الليلُ نهارُ الأريـــب

انظـــر ، المسعودي ، مــــروج ، ج 3 ، ص 377 — 378 ، وينقل عنــه ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 125 ، وابن عبد ربه ، العقـــد ، ج 6 ، ص 382 ، والصديقي محمد عبد الرحيم ، النبراس ، ط 1 ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، 1384 هـ / 1964 م ص 165 — 166

والظاهر ان هذه النتائج قد عملت مفعولها في نفسيـــــة " الفضل البرمكي " فاستقامت سيرته وحسنت سياسته وساعده في ذلك اخـــوه " محمد البرمكي " الذي كلف من قبل "يحيى" على مايبدو (1) .

ويرى ان الفضل بعد ذلك صار سيد خراسان بلامنازع ، وآلت اليـــه اغلب شؤونه كما انه لم يعد يتلقى الاوامر من الادارة المركزية في المشاريع المختلفة التي كان يقوم بهـــا (2) .

وتتحدد فـــترة تفويضه هذه بسنة 178هـ/794م على ارجح الروايات وهي السنة التي تبين تجاوز اشراف " الفضل " على عمليات اخماد الفتن الى المشاريع ذات الابعاد الاقتصادية والاجتماعية في الدولة (3) .

والظن ان اجراءات هذا البرمكي قد لاقت ارتياحا كبيرا لدى الســـكان لذا كانوا مستعدين لمناصرته والدخول في جيشه عند اللزوم ، ويكاد يتفق الرواة ان الفضل قد كون منهم جيشا ضخما ادخل جزءا منـــه الى العاصمة بغداد (4) .

---

(1) محمد محمد شمس الدين هرون ، ص 102 . وينذر ان نجد لهذا البرمكي محمد بن يحيى — نشاطا سياسيا غير امارته على ارمينية احدى اهم الاقاليم في الخلافة العباسية العباسية . انظر الملحق رقم ( )

(2) انظر الطبري تاريخ ، جـ 8 ، 257 ، اليعقوبي ، تاريخه ، جـ 2 ، 407 — 408 ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ، ص 173 ، شمس الدين ، هرون ، ص 56 . ، فاروق عمر فوزي (سقوط البرامكة 187هـ / 803م نموذج من الدس الشعوبي في التاريخ العربي) ، ص 41

Dominique, op , cit , T1 . P 146
Nikitta , op , cit . p 136.

(3) — البغدادي ، تاريخ ، جـ 21 ، ص 336 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 296 الاربلي ، خلاصة ، ص 167 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ورقة 22ب ، لمؤلف مجهول ، مختصر ورقة 125 .

واغلب الظن ان عملية مثل هذه تعتبر الاولى من نوعها في تاريخ الخلافة العباسية وتاريخ الوزراء والامراء على حد سواء .

وسواء اكان الخليفة الرشيد قد اعجب بهذا المشروع بدافع الروح الجهادية العالية التي كان يتحلى بها هذا الخليفة ام لا ، فان التفسير المنطقي لهذا الحدث لا يحتمل غير محاولة البرامكة تدعيم سلطتهم بوجود قوة عسكرية تدين لهم بالولاء في جيش الخلافة الرسمي اللآخذ في الخروج من دائرة نفوذهم باستمرار (1) .

ورغم اهتمام "الفضل البرمكي" بشؤون الجيش الا انه لم يوفق في ايجاد حلول للمناطق الشرقية التي كانت تقع ضمن مسؤولياته حيث كثرت في عهد حركات التمرد والانتفاضات الداخلية في كامل اقاليم خراسان . ولا يشك في ان اهتمامات الدولة قد كانت منصبة لوضع حد لهذه الوضعية المتردية مما جعلها تستنزف امكانياتها استنزافا دائما (2) .

---

(1) — اغلب قادة جيش الخلافة في عهد هرون الرشيد كانوا ممن لا تربطهم علاقة حميمة بالبرامكة ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص 296 ، .
الاصفهاني ، الاغاني ، ج 19 ، ص 286 ، .
ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 106
فاروق عمر ، طبيعة ، ص 284 .

(2) — تميز شرقي الخلافة العباسية في عهد الرشيد بديمومة الانتفاضات يقودها زعماء محليون وبغض النظر عن دوافعها فانها تكشف بوضوح سوء ادارة البرامكة وفشلهم في ضمان ولاء سكان الشرق عكس ما تدعيه بعض الروايات الشعوبية انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 262 وما بعدها . ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 353 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص 90 وما بعدها ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ، ص 218 ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ ، ج 2 ص 51 — 53 . ، نبيه عاقل ، بعض احداث ، ص 74 — 75

والحقيقة ان البرامكة فيما لو استبعد " الفضل البرمكي " لم يكونوا رجال حرب فقد استهوتهم المناصب الادارية وعزت عليهم ملذات العاصمة حيث لا يعرف عن " يحى البرمكي " غير الاشراف على الدواوين الخلافة المركزية واحكام قبضته عليها في حين كسب ابنه " جعفر " ود " الخليفة الذي كان لايناديه الا ب " اخي جعفر " (1) •

ويظهر ان الخليفة قد ارتاح له اكثر من غيره لذلك طلب من ابيه نقل الخاتم الى " جعفر " بدل " الفضل " (2) كما اصبح في فترة لا تتجاوز سنة 180هـ/ 796م رئيسا لحرسه ومستشاره الخاص • وبذلك يكون جعفر قد اشترك في كل شيء تقريبا وصار له حجابا يمنعون الناس من الدخول اليه دون اذن (3) •

وهذه الظاهرة لم تعرف في تاريخ الدولة الاسلامية قبل نفوذ البرامكة • ومع مرور الزمن تمكن " جعفر " من الحصول على العديد من الوظائف الهامة ياتي في طليعة ذلك اشرافه على ديوان الرسائل ، التي ابدع فيها ونال من خلالها شهرة ادبية في الترسل لم ينلها احد من الوزراء والاعوان (4) •

---

(1) ــ تتحدث المصادر بالتفصيل عن علاقة جعفر البرمكي بالخليفة الرشيد ، واعجاب كل منها بالآخر ، بشكل يكاد او يكون غير عادي ، انظر ، بدرون ، قصيدة ابن عبدون ، تحقيق رينحارت دوزي ، مطبعة الاخوين لختمنس ليدن ، 1263هـ/ 1946م • ، ص 227 • ، اليافعي ، مراة ، ج 1 ، ص 408 ، وقد وصف احد الشعراء ــ ابن مناذر ــ علاقة جعفر بالرشيد فقال قصيدة من بحر الكامل ــ جاء في مطلعها

قَدْ تَقْطَعُ الرَّحِمُ القَرِيبُ وَتُكْفَرُ النُّعْمَى وَلَا تَتَقَارَبُ القَلْبَيْنِ
يُدْنِي الهَوَى هَذَا وَيُدْنِي ذَا الهَوَى فَاذَا هُمَا نَفْسٌ تَرَى نَفْسَيْنِ

الاصفهاني ، الاغاني ، ج 18 ، ص 208 •

(2) ــ الجهشياري ، الوزراء ، ص 207 • *Dominique, op , cit, T1 - pp , 149- 150.*

(3) ــ الجهشياري ، الوزراء ، ص 212

(4) ــ ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 65ب ، 66آ

ولا شك ان هذه الوظائف قد قربت "جعفرا" اكثر من غيره من دار الخلافة واطلعته على كل ما يدور بحياتها •

ويرى انه كان ينوب عن الخليفة الرشيد في النظر في شكاوى المتظلمين (1) • التي لا يستوجب من الناحية التشريعية توكيلها لأحد دون الخليفة (2) •

ويتضح مما سبق ان اغلب نشاط دواوين الخلافة في العاصمة صار موزعا بين يدى " يحى البرمكي " وابنه " جعفر" • بيد ان ذلك لا يعني عدم اهتمامهم بشؤون الولايات ـ فالشواهد تدل ان الفضل البرمكي كان مسؤولا عن الناحية الشرقية من الخلافة في حين كان اخوه " جعفر" مشرفا على غربها (3) •

ولئن اشارت الروايات التاريخية الى نشاط " الفضل " والادوار التي مثلها في الشرق (4) •

---

(1)ـ تبالغ بعض الروايات في الحديث عن نشاط جعفر البرمكي في الجلسات التي كان يعقدها الخليفة الرشيد للنظر في شكاوي رعاياه ، وتروي ان " جعفرا " كان احيانا يطلع على ما يزيد عن الف شكوى ويجيب عن كل واحدة بمنتهى العدل • انظر ، البيهقي ، تاريخ ، ص 722
اليافعي ، مراة ، ج 1 ، ص 404
ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 65
2) dominique, op, cit, T1. p 140.
- C, fyan , histoire de l'organisation juriciaire, t2,p210.

(3)ـ انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ، 30ب ، 181
(4)ـ راجع دور الفضل في اقاليم خراسان في الصفحات السابقة من هذا الفصل

فانه على العكس بالنسبة لأخيه "جعفر" حيث لم يخرج من العاصمة لمعاينـــــة مشاكل سكان غرب الخلافة غير مـــرة واحدة ، خرج فيها الى بلاد الشام حين وصلت الاضطرابات الداخلية بها حـــدا لا يطاق (1) .

وبغض النظر عن استئصاله لجذور الفتنة بالدعوة الى الوئام وتجريد السكان من السلاح فان المشكلة تجعل الباحث يصل الى حقيقة ادارة البرامكة وسياستـــهم التي لم تكن مثالية في كل الاحوال كما هو الشائع (2) .

والملاحظ ان "جعفرا" على الرغم من نجاحه الكبير في هذه المهمـــة الا انه لم يكن مطمئنا لذلك ، حيث يفهم من تقريره الشفوي الذي قدمه للخليفة الرشيد عن تفاصيل العملية ، وعدم وجود نية له في الخروج مـــرة اخـــرى (3) مما يكشف عن تدبير خفي كان يحضره البرامكة في الخلافة العباسية خصوصا وان

---

(1) ـ كانت بلاد الشام ـ طيلة نفوذ البرامكة ـ مسرحا لنزاع عصبي مقيت بين القبائـــل العربية لا يستبعد ان يكون للبرامكة دور في تزكية . انظر ، اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2 ، ص409 + 410 ، الطبري ، تاريخه ، ج8 ، ص262 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج5 ، ص191 ، ابن عساكر ، تاريخه ، ج 5 ، ص176 ـ 193 لمؤلف مجهول ، العيون ، ورقة 247ب ، وابو الفداء ، المختصر ، ج 2 ، ص15 ، فليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة ، كمال اليازجي ط 2 ، دار الثقافة ، بيروت 1392هـ / 1972م ، ج 2 ص165 . ، وامينة البيطار ، الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية وحتى الفتح الفاطمي ، رسالة جامعية ، قدمت لجامعة دمشق ، 1395هـ / 1975 ص 106 وما بعدهـــا

(2) كان "موسى بن يحيى" البرمكي" قد كلف من قبل الرشيد لتهدئة الفتنة في بلاد الشام قبل اخيه "جعفر" وقد تمكن موسى من القبض على زعمائها ، وقدمهم للخليفة الرشيد الذي رد "الحكم فيهم الى يحيى وزيره فعفا عنهم واخلـــى سبيلهم ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 1 ، ص62 . ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص115 . ، والخضري ، محاضرات ، ص 117 .

وان هـــــناك عناصر غير البرامكة اخــذت تعـد نفسها لتمثل ادوارها على مسرح الاحـــداث(1) • ولم يكن هذا الامر بعيدا عن اهتمام الشيخ "يحى البرمكي" ، وهو يلاحظ ان الاوضاع آخـذة في الافلات من يده بـعد ان تقدمت بـه السـن ، ولذلك نجده يعتذر للخليفة الرشيد اعفاء ابنه " جعفرا " من بعض الاعمال واقتصاره على الاهم منها تجنبا لما قد يقع فيه هذا الشاب نتيجة تعدد اختصاصاتـه وتـداخل بعضها (2) •

ومـع ذلك فلم يكن يلاحظ على الخليفة استيائه لما وصلت اليه طمـوح وزرائه البرامكة ، وبالعكس فان الشواهد تدل على انه كان في غاية الارتياح في الوقت الذي كان فيه البرامكة يستقبلون الوفود وينظرون في مظالمهم (3) ، وهو امر كان يعتبر مـن الناحية التشريعية تخليا من جانب الخليفة على اهم حقوقه المقدسة (4) •

---

(1) _ فرضت طبيعة تطور ادارة الخليفة الرشيد دخول عناصر اداريةجديدة ممن لا يرتاحون الى الدور الذي يقوم به البرامكة في الدولة الاسلامية • انظر ، اليعقوبي ، تاريخه جـ 2 ، ص 429 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 249 • ، الجومرد ، هرون ، جـ 1 ، ص 156 _ 159 ، المقدسي ، البدا ، جـ 6 ، ص 101 المسعودي ، التنبيه ، ص 316 •

(2) _ توجه " يحى " البرمكي " الى ابنه " جعفرا " ايضا ، وحاول اثناءه عن الظهور عن الاستمرار في التدخل في كل الامور • ، ويروى انه راسله بالخطاب التالي ، (ان من خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم) ، انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 25 ب

(3) _ قارن ، الاربلي ، خلاصة ، ص 149 ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 109 ، ب ، ابن الطقطقي ، الفخري ص 156 ، ويروى ان الرشيد قد تحدث لاحد اعوانه حين راى الوفود تتردد على مجالس " يحى البرمكي " بالحديث التالي (••• رحم الله يحى •••قد خفف عني وحمل الثقل دوني وناب منابي •••) ، وهذا ما يبين حسن نية هذا الخليفة تجاه وزرائه ورعيته ، انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 225

(4) _ الماوردي ، الاحكام ، ص 81 ، الذهبي ، تاريخ الاسلام جـ 2 ، ص 224 • عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة ، ص 53 ،

الجـــومرد ، هـــــرون ، جـ2 ، ص 355

وفي الوقت الذي كان فيه البرامكة في عز نفوذهم لم يفتهم ان يستغلوا كل ما من شانه ان يجدد قبضتهم على السلطة ويضمن لهم استمرار نفوذهم في الدولة تحسبا لما قد يطرأ من احداث قد تادي الى الحد من سيطرتهم او زحزحتهم عن مناصبهم الحساسة في الدولة ٠

والمؤكد انهم استفادوا اكثر من غيرهم من المبدأ الذي ابتدعه الخليفة " المنصور" المتعلق بتعيين احد كبار الاداريين مشرفا على ولي العهد (1) وقد لوحظ من الوجهة النظرية ان المبدأ كان يهدف الى ضمان امن الدولة واستقرار نظامها عكس ما هو الحال بالنسبة للواقع العملي حين يلاحظ ان مصير الخلافة والخلفاء يتحدد على يد هؤلاء المشرفين (2) وذلك قبل ان يتفطن الخلفاء لعواقب ذلك ٠

والبرامكة رغم نفوذهم الكبير في خلافة الرشيد لم يهملوا عملية الاشراف على تربية ابنائه لادراكهم اهمية ذلك ،وقد لبى الخليفة طلبهم بوضع ابنه " المامون " تحت " جعفر البرمكي " في حين كلف اخاه (الفضل) بابنه

---

(1)ـ انظر،الفصل الثالث من هذا البحث ٠

(2)ـ ابتدأ ذلك في الفترة الاولى من حكم الخليفة " المهدى " للعلاقة التي كانت تربطه بمربيه " ابا عبيد الله " ،اما بالنسبة للخليفة الرشيد فقد ظهرت المشكلة بوضوح كما اشرت خلال هذا الفصل ٠

الثاني

التالي وهو " الامين " (1) . وتحسبا للظروف الطارئة درج الخلفاء على تعيين " ولاة عهد " لهم من ابنائهم في معظم الاحيان .

بيد ان الحاجة لم تكن مطروحة وقتذلك حتى تثير مثل هذه القضايا (2) ، فالخليفة الرشيد لا يزال شابا لم يألف هو نفسه تسيير دفة الحكم كما ابنائه لا يزالون صبية لم يتجاوزوا سن الخامسة من عمرهم ، ويندر ان يوافق المسلمون على بيعة صبي لم يبلغ الحلم بعد (3) .

ومع ذلك فقد طرح موضوع ولاية العهد بعد الرشيد وحمل على محمل الجد ، ومن الصعوبة بمكان الاقتناع بتفسيرات بعض المؤرخين القدماء لهذا الحدث الذي اوعزوه الى قضايا امنية اقتضتها ظروف البيت الحاكم فبزعمهم ان انعدام وجود

---

(1) - انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 211 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 310 ، ابن العبري ، (غريغوريوس) ، تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ، (ب ، ت) ، ص 127 ، و ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 177 ، الاربلي ، خلاصة ، ص 127 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 12 ، ص 338- 339 ، و ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 166 .

(2) - حسب ما تجمع لدي من روايات الاحظ ان البرامكة قد طرحوا فكرة ولاية العهد في عهد الرشيد ، سنة 175هـ / 791م ، ، وهي السنه التي لا يزال الخليفة الرشيد لم يتعود بعد اساليب الحكم فضلا على انه لم يكن قد تجاوز سن الثلاثين من عمره انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 240 .

(3) - من المعروف ان الملايين " الامين " لم يكن في هذه السنة قد وصل الى سن الخامسة من عمره ويرى ان المسلمين قد امتنعوا عن اعطائه البيعة بولاية العهد لهذا السبب ، وذلك قبل تحايل البرامكة وسعيهم الى مخادعة المسلمين . ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، 240 - 241 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 292 ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 88 ، و ، ابن كثير ، ج . = 10 ، ص 165

احـــد هم حث " الفضل البرمكي " على العمل لصالح " الامين " الصبي ومناه بالسلطة بالسلطة والجاه حالة نجاحه (1) •

والظاهر ان هذه التفسيرات تعوزها الادلة التاريخية امام طموح البرامكـة وحنكتهم السياسية حيث كانوا قادرين على تدارك الامور قبل وقوعها خاصة عندما يتعلـق الموضوع بقضايا سياسية ذات ابعاد كهذه • ولذلك فلا يستبعد ان يكونوا وحدهم المسؤولين عن هذا المشروع خصوصا وان " يحيى البرمكي " قد اخذ يحس بتقدم سنه وقد لا يسمح له ذلك بمواصلة تمثيل الادوار الهامة لصالح السياسة البرمكية في الدولة •

ولا شك انه كان يشعر بالخطر الذي تهدد اسرته عند مـــا تفتقده ، بمقتضى الوضع الذي لم يكن في صالحهم (2) • وهناك من الشواهد مايبين ان " الفضل البرمكي " قد اخذ يحث اعيان المنطقة الشرقية من الخرسانيين بتقديم الهدايا ومنـح الاعطيات ليتبنـوا المشروع ويسلعده على اتمامه • ، ويظهر انـــه

---

(1)ــ هو الامير عيسى بن جعفر اخو زبيدة زوجة الخليفة الرشيد وخال الامين ، ويروى انه قال للفضل البرمكي بشأن موضوع ولاية العهد للامين ، (••• انه ولدك وخلافته لك ، وان يحيى اختي زبيدة تسالك في ذلك •••) ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 240 ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 88 ، ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ 2 ، ص 96 • ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ 2 ص 218 •

(2)ــ اشرت سابقا الى تخوف البرامكة من دخول عناصر لا يطمأن الى ولائهم لهم ومنهم بعض الامراء العباسيين وبعض قادة الجيش العباسي •

المشروع ويسلعده على اتمامه .. ويظهر انه نجح في ذلك حيث ارسل وفدا هاما الى بغداد كمحاولة اولى لاقناع الخليفة الرشيد بالموضوع والتعبير له عن ارتياحهم لابنه الامين وليا للعهد (1)

وقيل ان يعطي الخليفة الرشيد رأيه في الاقتراح استدعى " يحى البرمكي " وعقد معه مناظرة على انفراد استغرقت وقتا طويلا (2) .

حيث لم تعد العملية مجرد اعطاء ولاية العهد للابن الاكبر كما هو مالوف اذا كان للخليفة ابنا في سن جد متقاربة وفي مستوى واحد من الثقافة (3) .

والمهم ان الموقف قد حسم مبدئيا لصالح الامين لبعض الاعتبارات من الصعب الاقتناع فيما لو استبعد احتمال فشل سياسة البرامكة

---

(1) – انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 240 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 193 مؤلف مجهول ، العيون ، ص 292 ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 18 ، ص 312

(2) – حول تفاصيل هذه المناظرة ، راجع ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 352 – 354 .

(3) – انظر ، اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2 ص 408 ، 415 . المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 360 ، 362 السيوطي ، تاريخ ، ص 294 .

في مثل هذه القضية الحيوية (1) . ويظهر ان البرامكة قد طرحوا قضية ولاية العهد كمحاولة منهم لتعزيز مكانتهم واستمرار علاقتهم بالبيت العباسي الحاكم دون النظر الى الملابسات التي قد تنجم عنها (2) .

وفي انتظار ذلك كان " الفضل بن يحى " الذي ربح الجولة الاولى لصالح موكله " الامين " ونال مكانة هامة في نظر سيدة القصر — زبيدة — زوجة الخليفة وبموجب ذلك تأكد اشرافه على غرب الخلافة العباسية لحيازتها الى ابن الخليفة "الامين" بمقتضى نيله ولاية العهد (3) .

واظن ان هذا الامتيازات التي انضافت الى "الفضل البرمكي " قد اثارت حفيظة اخيه " جعفر " فاخذ يعطف على موكله " المأمون "

---

(1) — ورد على لسان الرشيد الرواية التالية (... وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من ارضى سيرته واحمد طريقته وهو عبد الله — المامون — وبنو هاشم مائلون الى محمد — الامين — باهوائهم وفيه مافيه من الانقياد لهواه ومشاركة النساء والاماء في رأيه ...) ، المسعودي ، مروج ، جـ 3 ص 363 ، السيوطي تاريخ ، ص 307 ، . ويبدو ان الرواية ملفقة ولا مجال لتصديقها فليس من الحقيقة ان يعرف الرشيد شخصية ابنيه في السياسة وتسيير الحكم وهما لا يزالا فتية لم يمارسا الحياة العملية بعد ، كما وانه ليس من المنطق ان يكون الامين " على تلك المساوئ ويفضله عن " المامون " الذي اطنب في ذكر مميزاته . واظن ان مصدر ذلك يرجع الى تقييم بعض المؤرخين للادوار كل من الامين والمامون في الخلافة فيما بعد فراحوا ينسجون الروايات التي تمجد المامون على حساب اخيه الامين ، كما لا يستبعد ان يكون هناك بعض بعض من الدس الشعوبي ضد الامين الذي كان يقف الى جانبه بعض العناصر العربية في حين كان الفرس يناصرون المامون لاعتبارات عنصرية .

(2) — من متناقضات سياسة " يحى البرمكي " موقفه المعادي للخليفة " الهادي " حين يروى انه حاول اعطاء ولاية العهد لابنه " الصبي " ، وهو في خلافة الرشيد يشير على ابنه " الفضل " بالسعي الى تثبيت البيعة للامين ولم يكن قد تجاوز سن الخامسة من عمره . حول موقف يحى هذا ، راجع ، الفصل السابق .

(3) — الجهشياري ، الوزراء ، ص 211 .

فاخــــذ يحـاف على موكله " المامون " اكثــر من اي وقت مضـــــــــى (1) ويسعى بكل ما في جـــهده الى الوصول به الى ما وصل اليه اخــوه " الامين " حتى تمكن من اقناع الرشيد بضرورة اعادة النـظر في مشكلة ولاية العهد وذلك سنة 183هـ / 799م ، حين اقر الخليفة علنا اعطاء ولاية العهد لابنه " المأمون " بعد اخيه " الامين " واخذ له البيعة من المسلمين (2) •

والملاحظ ان مثل هذه الحلول التوفقية المتوارثة في اهم جهاز في الدولة قد اوقع الخلفاء في مشاكل لا حصر لها مما سمحت في الكثير من الاحيان بتأزم الجهاز الحاكم و ظهور الصراعات الحزبية بدسائسها ومناوراتها المقيتة التى كادت تعطل المشاريع الحضارية او تشلها عن التطور (3) •

وحسب المصادر القديمة يكون " الرشيد " اهم مـــن لاحظ اعراضها عندمـا كان وليا للعهد بعد اخيه الهادي ، ومن المنطق ان يكون اوعى من غيره في مثل هـــذه المشكلة • ، ومـــنذ ذلك فقد اقر بتعيين اكثر من واحد على ولاية العهد • وحاول عبثا تعديل ذلك عن طريق تنظيم موكب خلافي غير عادي بعد ثلاث سنوات من قبوله بفكرة واعطاء ولاية العهد للمأمون بعد الامين (4) مما يوضح اهمية هذه المشكلة وحدتها وقتئذ •

---

(1) ـ انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص166 ، البغدادي تاريخ ، ج12 ص339 السيوطي ، تاريخ ، ص314 •

(2) ـ اليعقوبي ، تاريخه ج 2 ، ص 415 ، لمؤلف مجهول ، العيون ج ص310 الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص269 ، ابن الاثير ، ج 5 ص 107 •

(3) ـ يكفي الاستدلال هنا بما وقع لـ " عيسى بن موسى " ولي العهد الخليفـــة المنصور • ، وما وقع لـ " هرون " عندما كان وليا للعهد بعد اخيه الهادي • ، التي اشرت اليه في الفصل السابق •

(4) ـ كان ذلك سنة 186هـ / 801م • ، حين زار الخليفة البقاع المقدسة في موســم الحج ليحاول ترقيع المشكلة التي بدت صعوبتها تطرح نفسها على مسرح الاحداث انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 269 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 187 •

واظن ان اصحاب الرشيد وزراءه وامراءه فضلا عن عامة القوم في موسم الحج هذه السنة لا يتحمل اكثر من تفسير واحد ، وهو ان الرشيد قد شعر بما سيترتب عن مشكلة ولاية العهد على مستقبل الدولة . ، فاراد بذلك توزيع المسؤوليات احتياطا في انتظار ما قد تسفر عنه الاحداث من جديد (1) .

ومن المستبعد الشك في صحة الموضوع لورود تفاصيله التاريخ الاسلامي ومع ذلك فان كل ما قام به الرشيد من احتياطات لم يتمكن من اقناع الحاضرين حيث علق بعضهم على ذلك بشيء كبير من عدم الاطمئنان وتكهنوا بعدم صلاحيته (2) . وذلك لاحتواء نصي العهدين على مكامن متناقضة يصعب من الوجهة العملية تطبيقها . (3)

---

(1) – يروى ان الرشيد قد اعلن للحاضرين تفاصيل الموضوع . ، واشهد عليه الحاضرين ثم كتب بهذه المناسبة بيانين وقع عليهما وليا العهد ، يخصان تعهد كل منهما على احترام حدود اخيه ، ومن اجل اعلام الري العام بذلك قدمت بيت المال هبات نقدية ضخمة لاغلب الحاضرين ، انظر ، تفاصيل الموضوع عند اليعقوبي ، تاريخه ، ج 2 ، ص 415 – 425 ، الطبري ، تاريخ ، ج 2 ، ص 475 . ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص 112 – 113 .

(2) – عبر عن ذلك احد الشعراء – لا تذكر المصادر المعتمد عليها اسمه – في قصيدة طويلة من بحر الوافر ، جاء في بعض ابياتها :

رَأَى المَلِكُ المُهَذَّبُ شَرَّ رَايٍ ... بِقِسْمَتِهِ الخِلَافَةَ وَالبِـلَادَ
رَأَى مَنْ لَوْ تَعَقَّبَهُ بِعِلْمٍ ... لَبَيَّنَ مِنْ مَفَارِقِهِ السَّوَادَ
أَرَادَ بِهِ لِيَقْطَعَ عَنْ بَنِيهِ ... خِلَافَهُمُ وَيَبْتَذِلُوا الوِدَادَ

الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 277 .

وفكرة عدم ارتياح الري العام لهذه المشروع ترد في العديد من المصادر التاريخية بصيغ مختلفة ، انظر ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 364 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، 275 – 278 ، ابن الاثير ، الكامل ، ص 112 ، ج 5 .

(3) – انظر نص العهدين عند اليعقوبي تاريخه ، ج 2 ، ص 416 – 421 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 281 – 286

فلم يعد التزام " الامين " ـ اثناء توليه عرش الخلافة في المستقبل ـ قاصرا على الاعتراف باخيه " المأمون " وليا للعهد بعده فحسب بل تجاوز الى حد الاقرار باستقلاله التام عن اغلب المناطق الواقعة شرق الخلافة العباسية (1) • ولو حدث مساس بذلك ـ كما نص البيان ـ من جانب الامين فانه يفقد كل شيء ولاية العهد والخلافة على سـواء (2) •

والظاهر ان هذه الالتزامات الخطيرة التي جراليها الامين لا يستبعد ان يكون ورائها ايدي خفية تحرك القضايا تجاه ابعاد ذات اهمية بالغة على مستقبل الدولة •

وعلى الرغم من شعور الخليفة الرشيد بخطورة الموقف كما اشرت سابقا الا انه من من الصعب ايجاد تفسيرات منطقية لاستمراره في ذلك (3) •

ويبدو ان المتحزبين للـ" المأمون " وعلى راسهم " جعفر البرمكي " هم الذين كسبوا القضية بتقليصهم لحرية " الامين " في احكام قبضته على تسيير الخلافة ، في حين منحت الفرصة لاخيه " المأمون " بالانفراد بالحكم لاهم مناطق الخلافة العباسية (4) •

---

(1) ـ يحدد بعض المؤرخين تحديدا عاما فيقولون بانها تمتد من همدان الى آخر الشرق • وبعضهم يحصرها في اغلب ممالك خراسان • ، انظر ، ابن الاثير ، الكامل ج 5 ، ص112 ، السيوطي ، تاريخ ، ص290 •

(2) ـ انظر العهد الخاص بالاموين ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 281 ـ 282

(3) ـ يمكن ارجاع مصدر هذا الضغط الى العناصر غير المرتاحة لنشاط " جعفر البرمكي " وعلى راسهم الفضل بن الربيع وزبيدة زوجة الخليفة وغيرهما من الشخصيات العباسية الساخطة من سياسة البرامكة وتطورها كما سنرى •

(4) ـ من ضمن ماورد في بيان عهد المأمون العبارة التالية (••• ان امير المؤمنين هرون ولاني العهد والخلافة وجميع امور المسلمين في سلطانه بعد اخي محمد بن هرون وولاني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع اعمالها وشرط على محمد الوفاء بما عقد لي من الخلافة •••) ، ••• ولا يعرض لي شيء مما اقطعني امير المؤمنين •••) ، الطبري تاريخ ، ج 8 ص281 ـ 282 •

هذه النتائج المتضاربة التي توصل اليها البلاط العباسي بعد مناقشات طويلة تبين بوضوح مدى مابلغته التكتلات الحزبية والمناقشات السياسية من قوة ونفوذ على قرارات الخليفة الرشيد (1 ولعل مرد ذلك يرجع الى محاولة هذا الخليفة ارضاء الاطراف المتنازعة ريثما تكشف له الاحداث عما يساعد على اعادة الامر الى نصابه) .

ومن الصعوبة بمكان معرفة الاسباب الموضوعية التي جعلت " يحى البرمكي " لا يساهم مساهمة فعّالة في حل هذه المشكلة ، وهو اقدر عليها من غيره لماله من حنكة وتجربة في مثل هذه القضايا (2) .

واظن ان "يحى البرمكي" قد كان عاجزا عن كبح طموح ابنائه " الفضل وجعفر وقد بدأ طموحهم يتحقق لمجرد مناورة لم تكلف عناءا كبيرا ، ولعل هذا مايفسر محاولة تهربه من المسؤوليات لاول مرة في تاريخ نشاطه السياسي (3)

ومن جهة اخرى اظهار اللوم لأبنائه ودعوتهم الى تحمل مسؤولياتهم في القضايا التي حشروا انفسهم فيها بدون الرجوع اليه (4) .

---

(1) ـ ورد على لسان الرشيد بعض الابيات الشعرية ، يشكو فيها صعوبة الظروف التي كانت تواجهه وتتحكم في توجيه سياسته . فقال من " بحر البسيط " ـ

تَلِكَ أمورٌ عِبادِ اللهِ ذائقةٍ ... مُوحّدَ الرّأيِ لاَنكسْرَ ولاَ بَرَمُ

وتركُ مقالةَ اقْوامٍ ذَوي خَطَلٍ ... لايَفْهَمُونَ إذا ماَمعْشَرٌ فَهِمُوا

وفي اخرى " بحر الطويل "

لقدْ بانَ وَجْهُ الرّأيِ لِي غَيْرَ انّنِي ... غُلِبْتُ عَلَى الأمْرِ الذِي كَانَ احْزَمَا

وَكيفَ يَرُدُّ الدَرَّ فِي الضَرْعِ بَعْدَمَا ... تَوزّعَ حَتّى صارَ نَهْباً مُقَسّمَا

انظر ، المسعودي ، مروج ـ ج3 ، ص362 ، محمد برانق ، البرامكة ، ص41 .

(2) ـ اشرت سابقا الى ارتياح اغلب المؤرخين القدماء واعجابهم بموقف " يحى البرمكي " تجاه مشكلة " ولاية العهد " زمن الخليفة الهادي ، وبداية خلافة الرشيد ، . انظر ، الفصل الثالث من هذا البحث ، .

(3) ـ تشير بعض الروايات لاول مرة الى محاولة "يحى البرمكي" في التخلي عن مناصبه تحت طائلة من التعليلات ، انظر ، الطبري ، تاريخ ج 8 ص268 ، 273 ، 274 ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص [illegible] ص 177 ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص103 ، 118 .

(4) ـ يروى ان آخر مراسلة كانت بين " يحى البرمكي " وابنه " جعفر " الخطاب التالي (... اني انما اهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها امرك وان كنت اخشى ان تكون التي لاشوى لها ...) ، قارن ، الطبري ، تاريخ ، ج2 ص 293 ، ب الجهشياري ، الوزراء ، ص224

وبغض النظر عن اسباب فشل سياسة البرامكة في هذه القضية وفي غيرها (1) فان هناك قضية جوهرية لا يمكن اهمالها وهي ان سياسة البرامكة لم تكن مثالية كما هو الشائع •

اما سر اعجاب المؤرخين والادباء بهم فلا يمكن تفسيره الا من خلال تقييم الدور الذي مثلوه في حياة المجتمع العباسي وفي التطور الحضاري والفكري وذلك ما ساحاول الحديث عنه في الفصل التالي •

---

(1) — اشرت في هذا الفصل الى فشل سياسة البرامكة في تحقيق الامن وضمان موالاة السكان الخراسانيين وغيرهم من العناصر ، والى اهمالهم البين لشؤون بلاد الشام وسيضاف الى هذا الفشل اخطاء اخرى في ميادين مختلفة — ساحاول توضيحها توضيحها في الفصول القادمة — ادت في الاخير الى نكبتهم

الفصل الخامس

الدور الاقتصادي

ان سيطرة البرامكة ونفوذهم الواسع على السلطة في خلافة الرشيد قد مكنهم من الاشراف على اغلب المراكز الحيوية في جهاز الدولة ٠ وتعد الموسسات الاقتصادية اهم ركيزة اعتمد عليها البرامكة في تدعيم الدور الذي مثلوه في الخلافة العباسية (1)

ومن المؤكد انهم كانوا في خلافة الرشيد المرجع الوحيد للدواوين المالية ودفاتر الوارد والصادر منها ، ويصعب وجود رواية صريحة تجعلني اشك في هذة الفكرة ٠ فضلا عن انني لم احد في المصادر المعتمد عليها مايفيد أن الخليفة "هرون الرشيد" قد حاول مرةً محاسبتهم اوشك في سوء تصرفهم باموال الدولة حتى السنوات الاخيرة من وزارتهم (2) ٠

واقمية البرامكة في الشؤون المالية وتفرسهم في المحاسبة لم تكن محل جدال وقتئذ (3) كما انهم كانوا غير عاجزين عن اختيار امهر المحاسبين ، واكثرهم اخلاصا وولاءً لسياستهم (4)

وتبعا للظروف التي مرّت بها الدولة في العهد الاخير من خلافة "المهدي" وسوء الاستقرار السياسي في عهد الخليفة الهادي قد نتج عنه تسرّب مالي اثر على ميزانية الدولة (5) ٠

والملاحظ ان سياسة البرامكة المالية في بداية خلافة الرشيد قد قامت على مبدأ جوهري قوامه اقرار الوضع على ما كان عليه ، في انتظار الخروج بتنظيمات جديدة من شأنها

---

(1) — انظر ، الازدي ، تاريخ ، ص 276 ، وابن عبد ربه ، العقد ، جـ 1 ص 31

(2) — انظر ماسياتي

(3) — راجع ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 89 ، ابن كثير ، البداية ، جـ 1 ص 55 وتغري بردي ، النجوم ، جـ 1 ص 329

(4) — انظر الطبري ، تاريخ ، جـ 3 ص 296 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 177

(5) — انظر ، جرجي زيداني ، تاريخ التمدن ، جـ 3 ص 103 ونقل عنه الحمري جـ 1 ، ص 152 ،

ان تغير الحياة الاقتصادية تغييرا يتلاءم وسياستهم (1) • ولعل اهم محاولة قاموا بها لصالح بيت المال في بداية امرهم ، هي ارجاع بعض الضياع والاراضي الخصبة التي كانت بحوزة بعض الامراء العباسيين والتي كانت قد تركت مهملة لسبب من الاسباب ، ثم تسليمها فيما بعد للمستغلين مقابل دفع مقادير مالية محددة (2) •

وهذا الاجراء — ان صح شأنه يدل دلالة واضحة على حسن تصرف البرامكة اذ لا يعقل ان تبقى الاراضي الخصبة محتكرة بيد ملاك لا علاقة لهم بالنشاط الزراعي

ويرى انه في سبيل تطبيق هذا النظام الهام بودر اولا في عملية احصاء الاراضي والضياع تحضيرا لمحاولة ضمها تحت اشرافهم ، وليعود مردودها الى خزينة الدولة عكس ما كانت عليه فيما لو بقيت بيد ملاكها القدماء • (3)

ولضبط هذه الاجراءات انشأ البرامكة ديوانا خاصا يسمى

[illegible] الضياع التابعة [illegible]

(1) — انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 230 — 231
ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 82 •

(2) — انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 237 •

(3) — لم يكن هؤلاء الملاك يدفعون خراجا عن ارضهم او عن انتاجهم غير ضريبة العشر المفروضة شرعا — بالنسبة للمسلمين — حيث كانوا يملكون ريع هذه الاراضي ملكية خاصة • ولذلك كان البرامكة قد اسرفوا في اغرائهم بالاعطايات والمنح مقابل تخليهم عن الاراضي ، وكان ذلك ابتداء من سنة 170 هـ / 786 م ، وهي السنة التي اخذ البرامكة يباشرون فيها الاعمال في مختلف المجالات ، انظر ، ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ 2 ، ص 65 •

بديوان "الصوافي"* يختص بالدرجة الأولى في الضياع التابعة للدولة ، وقد انشئ لهذا الغرض دفاتر خاصة لمراجعة المداخيل والمصاريف يندر السماح بها قبل هذا التاريخ(١).

ولم تبق "اراضي الصوافي" هذه والتي عادت ملكيتها الى الدولة قاصرة على النشاط الزراعي فحسب ، بل فتح بعضها للتعمير ، وذلك حين عمد البرامكة بناء المراكز التجارية ومحلات البيع تعود اجرة كرائها الى

(*)- "الصوافي" يرجع تاريخ هذا المصطلح الى زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب حين منع المسلمين الفاتحين من امتلاك الاراضي المفتوحة ، وعدها اراضي وقف تعود حرية التصرف فيها الى الخليفة نفسه ، يقطع منها ويمنحها لمن يراه اهلا لاستصلاحها واستثمارها ، او تؤجر للفاتحين مقابل ضريبة محددة تدفع لبيت المال - وفي وقت يصعب تحديده بالضبط - تحدد في السنوات الاخيرة من حكم الخليفة عثمان (٢٣هـ/٦٥٥م) - وقع تغيير لهذه الاراضي حيث صارت اغلبها ملكا للحكام واقاربهم او لكبار اعوانهم ومواليهم وكان مردود هذه الاراضي قد تحول الى خزائن هؤلاء الملاك بدلا من ذهابه الى بيت المال ، وهو تطور خطير لم يؤثر على ميزانية الدولة فحسب بل على الخدمات الاجتماعية التي كانت ينتظر تمويلها من بيت المال انذاك ،

- ابو يوسف (ابو يعقوب بن ابراهيم) ، كتاب الخراج ، ط ٢ المطبعة السلفية القاهرة ، ١٣٨٢هـ/١٦٦٢م ص٥٨ ، ٦٢ ، المقريزي المواعظ ج٢ ، ص١٧٢ ، و الماوردي ، الاحكام ، ص١٦٢-١٦٣ ، سليمان محمد الطماوي ، عمر بن الخطاب واصول السياسة والادارة الجديدة ، دار الفكر ، مصر ، بدون تاريخ ص٢٠٩ ، بدوي عبد اللطيف ، الميزانية الاولى في الاسلام ، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص١٨ ، دانييل دنيت ، الجزية والاسلام ، (ت) فوزي فهيم جاد الله ، منشورات دار مكتبة الحياة ، مؤسسة فرانكلين ، بيروت ، بدون تاريخ ص٦٢ .

(١) ادوارد بروي ، تاريخ الحضارات ، ط ٥ ، باريس ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٢-١٠٣ ، والجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٦٦-٢٦٧ ، المدور ، حضارة ص ١٣٢ .

الـــى الخزينـــة العامـــة(١)

ومن المنتظر ان يتضرر اولئك الذين حول ماكان بايديهم من اراضـــي الى ديوان الصوافي • بيد ان البرامكة كانوا قد احتالوا على هؤلاء باغرائهم بمنح اعتبارا لصلتهم القريبة بالبيت الحاكم (٢)•

ويبدو ان الممنحين قد رحبوا بهذا التجني الذي حجه البرامكة باسم الرشيد وازدادوا اطمئنانا لسياستهم المالية فرفعوا ايديهم عما كان بحوزتـــهم من ضياع ومزارع عامة لتسجيل معمة هؤلاء الوزراء الطموحين(٢)•

ولم تتف اصلاحات البرامكة في نظام الاراضي عند هذا الحد بل تجاوزت الـــى محاولة ايجاد صيغة اخرى لتنظيم ضرائبها عن طريق الخلط بين انواع الاراضي نفســـها•

---

(١)- محمد توفيق خفاجي، تطور النظام، ص ١٤١، صبحي الصالح، النظـــم الاسلامية نشأتها وتطورها، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨، ص ٢١٦•

(١)- قارن، البلاذري، فتوح، ص ٢٧٢، البغدادي، تاريخ ج ١ ، ص ٨١

(٢)- ابن تغري بردي، النجوم مج ٢، ص ٦٥ •

(٣)- المقدسي، البدء، ج ٥، ص ١٠١، المسعودي، مروج ج ١ ص ١٥٢ •

والمعروف ان هناك نوعين اساسيين من الاراضي في الدولة الاسلامية اراضي" خراجية"(١) واراضي "عشور "(٢) ترجع تسميتها الى التعريف فيها الى بداية عهد الدولة الاسلامية.

فالاراضي الخراجية ملك للدولة ، المستفيدون فيها الفاتحين المسلمين يدفعون ضرائب نقدية اوعينية تختلف قيمتها تبعا لاختلاف المحصول ومدى

---

(١)- طرحت مشكلة الارض في الدولة الاسلامية في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) ، حين اتسعت حركة الفتح وشملت اراضي خصبة في اقليمي العراق وبلاد الشام ومصر ، وتمثلت المشكلة على قادة الفتح حين طالبهم بعض المسلمين الفاتحين بتقسيم الاراضي التي فتحوها بينهم على اعتبار انها غنيمة كغيرها من الغنائم التي تقسم بعد كل انتصار ، بيد ان هؤلاء القادة لم يقدموا على تنفيذها هذا الاجراء قبل استشارة الخليفة الذي امر بعد ان عقد مجلسا استشاريا- ان تبقى مستغلة بيد اصحابها ويدفعون عنها "خراجا" اي "ضريبة" تحددها الدولة بمقتضى قوانين ثابتة تراعي فيها المصلحة العامة ومصلحة المنتج على سواء، وهذا النوع من الاراضي هو الذي يعرف بـ"اراضي الخراج".
انظـر، البلاذري ،فتوح ص٢٧٤ ، ابو يوسف ، الخراج ، ص٢٤-٢٥، يحي بن ادم القرشي ، كتاب الخراج ، تحقيق احمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية المصورة باكستان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص٢٦-٢٧ ، ٨٥، محمد علي نصر ، تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام ، ط ١ ، دار الحداثة ، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص٨٥، ١١٤-١١٥

G.RENTS? EI,ART(KHARADJ),T.IV,PP. 1062-1066.
(٢)- اراضي العشور، سميت بهذا الاسم لان مستغليها لايدفعون عنها سوى عشر انتاجهم او نصف العشر حسب نوعية الارض ومدى استفادتها من مياه الري الطبيعية ، اوالالة . انظـر، يحي بن ادم ، الخراج ، ص ٢٦ ، ابو يوسف، الخراج ، ص١١ ، ٥١ ، ٦٥ ، الماوردي ، الاحكام ، ص ١١٢.

درجة استفادتها من المياه والخدمات التي توفرها لهم الدولة
اما اراضي "العشور" فهي ملك للمسلمين ليس عليهم ضرائب سوى عشر انتاجهم
يدفعونه لبيت المال او يتصدقون به زكاة (١).

ويظهر من هذا ان الدولة الاسلامية قد حلت المشكلة ولا يوجد
اي التباس بين النوعين من الاراضي ، وان محاولة المس باحدهما او الخلط
بينهما لا يعتبر اعتداء على الفاتحين من ملاك الاراضي فحسب بل يعتبر قدحا في
الشريعة نفسها (٢).

ومع ذلك فانه نوحظ ان البرامكة قد بدأوا فعلا بتحويل الاراضي "العشرية"
الى اراضي "خراجية" لزيادة دخل الخزينة العامة ، واخذوا في تعميمه
على اغلب اقاليم الخلافة العباسية في عهد هرون الرشيد ، وحاروا المرجع

---

(١) راجع هامش ١ ، ٢ من الصفحة السابقة

(٢) ـ يظهر انه في فترة ـ يصعب تحديدها ـ من تاريخ الخلافة الاموية في المشرق اعتاد بعض الخلفاء الامويين وولاتهم فرض ضرائب محددة عن الاراضي دون تمييز نوعها ، او مدى جودتها ، وانه اول من حاول ارجاع ضرائب الاراضي الى اصولها الاولى كما وضعها عمر بن الخطاب ـ في خلافة العباسيين هو الكاتب ابو عبيد الله بايعاز من الخليفة المهدي .
قارن ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٠٤ ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج ٢ ، ص ٢١-٢٢ وبعدها ؛ محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط ٤ ، دار الانصار القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ص ١٧٠-٢٦٠ .

الاول لهذه القضايا وذلك لضمان الحد الادنى لجباية موارد اراضي الدولة كلها (١) .

ويبدو ان سياسة البرامكة المالية هذه لم تجد من يرحب بها ، وهنالك مايدل على ان بعضهم قد حاولوا ايصال شكاواهم الى الخليفة الرشيد متوسلين اليه ليوقف هذه السياسة (٢)ـ

وفي انتظار تعميم البرامكة اجراءاتهم على كامل انحاء الدولة حاولوا كسب ثقة الفلاحين وبعض الاقاليم الحيوية ، وذلك حين اعلنوا اسقاطهم عشر

---

(١)ـ [illegible] هارون ابي يوسف ، الخراج ، ٤٥ ابن خرداذبة (عبيد الله بن عبدالله) ، المسالك والممالك ، تحقيق دي جويه ، ليدن ١٣٠٦هـ /١٨٨٩م ص ١٢

(٢) ـ ابلغ سكان منطقة البصرة احتجاجهم الى الخليفة الرشيد ، حين قدموا له عريضة من ضمن ما جاء فيها قصيدة أحد الشعراء الذي لم يعرف ، من مجزوء السريع ، اخترت الابيات التالية منها ـ

وانه يخبر يا إمام + ++ وإن يحيى له وزير
ابا علي إليك نشكو +++ ظلم عراقنا به كثير
تؤخذ اموالنا خراجا +++ وبعدها لم تزل تدور

انظر ، الصولي ، الاوراق ، ص ٢٨ ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ١ ص ٢١

عشر ما كان يؤخذ من فائض منطقة " السواد"+ بعد انخفاض انتاجهم(١) •وهناك اشارات قليلة الى هذه المرونة المتبعة من قبل هذه الاسرة في بداية نشاطها الاقتصادي • مثلما حدث في بلاد الشام حين قرر البرامكة اعفاء فلاحي قرى فلسطين من جميع انواع الضرائب بسبب الصعوبات التي اصابتهم(٢)• ومع مرور الزمن تحولت هذه التسهيلات والمساعدات الى يد من حديد مسلطة على كاهل الفلاحين ، من قبل اعوان البرامكة ووكلائهم في مختلف الولايات عندما اخذوا التجبر على السلطة وصارت لهم اطماع كثيرة خارج دائرة اهتمامات الدولة ومصلحة مجتمعها •

(+)ـ السواد تحدد الروايات التاريخية بمعاني " السواد" المنطقة الهامة من اراضي العراق وهي السهل الرسوبي المنبسط فيما بين النهرين وتقدر مساحته بحوالي ٩٢ الف كلم • اي نصف مساحة العراق بحدوده السياسية الحالية ، ويحيط اقاليم واسعة تتمثل في شمال السواد وهي المنطقة المحيطة بالسامراء" وتمتد حتى حدود منطقة "الجزيرة" شمالا ، ووسط السواد وهو محيط مدينة بغداد ، ويتمثل الاقليم الغربي من السواد مدينة الكوفة وضواحيها ، في حين يظل الاقليم الشرقي منه منطقة "الحلوان" اما الجزء الجنوبي من السواد فيحيط كل من "واسط" و"البطائح" و"البصرة" ؟ انظر البلاذري، فتوح ، ص ٢٩٧ ، والماوردي ، الاحكام ، ص ١٧٢ ، يحي بن آدم، الخراج ، ص٥١ ـ ٥٥ ، محمد ع. نصر ، تاور تاريخ ، ص ٦٣ـ٧١ و

SCHAEDER H.H, Eie,ART(SAWAD9,T4? P.192.

(١)ـ كان ذلك في حدود سنة ١٧٢هـ حسب رواية ... ، الطبري تاريخ، ج ٨ ، ص٢٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل، مج ٥ ، ص ٤٦•

(٢) ـ انظر ، بيليا يف (ا ، ا) BELYAEB?E.A، العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة انيس فريحة ، ط١ ، الدار المتحدة ، بيروت ،١٩٧٣، ص ، ٢٠٧ •

وهناك من الروايات ما يشير الى ان البرامكة بعد هذا النشاط المكثف لعائل بيت المال ، اخذوا في احتجاز الاراضي العامة لاستغلالها في مصلحتهم الشخصية بدل تمليكها للفلاحين الذين اخذت احوالهم تسوء باستمرار نتيجة الضرائب المتنوعة والمرتفعة في آن واحد(١).

واكتناز البرامكة للأموال واحتجازها تحية اكثرت المصادر في المبالغة فيها ، وتعلل بعضها ان الخليفة الرشيد نفسه كان يعاني في بعض الاحيان من احتكار وزرائه البرامكة ، بيت المال المسلمين(٢).

وفضلا عن ذلك فهناك ما يؤكد على ان هذه الاسرة قد وسعت دائرة المعاملات التجارية التي كانت تتم باسم افرادها وذلك عن طريق الاعتماد على عملاء مخلصين لهم وموزعين في اغلب مناطق الدولة ومدنها (٣).

---

(١) ـ انظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٠ ، و ابراهيم علي طرخان ، نظام الاقطاع الاسلامي في العصور الوسطى الى نهاية العصر الايوبي ،(رسالة جامعية) ، قدمت لكلية الآداب ، قسم التاريخ بجامعة فؤاد الاول ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ، ص٤٥ و محمد ضياء الدين ، الخراج ، ص ٤٢٩ .

(٢) ـ الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٤٠ـ ٢٥٠ ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص ١١٠ ، (وتنقل عنه زينة قدورة ، الشعوبية ص ٢٧٠ هـ

(٣)ـ انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥١ـ ١٥٢

وحسبما تجمع لدي من روايات، اظن ان البرامكة في سياستهم الاقتصادية لم يركزوا على جوانب معينة عملوا على تطويرها قدر اهتمامهم بمصلحة الضرائب واختيار وتنقية جباتها اعتبارا من ان ذلك موقوام السلطة ومصدر تطورها (١).

ومن الواضح ان هذا المفهوم يتعارض مع مصالح المجتمع العباسي الذي كان ينتظر من هؤلاء الوزراء - الذين ابدوا نشاطا كبيرا في السياسة كما اشرت - مشاريع اقتصادية من شانها ان تعمل على تنمية الزراعة وتشجيع الصناعة وغير ذلك مما يساهم في تطور الدولة ويعزز مكانتها.

ولذلك فان هذه السياسة لم تجد من يرحب بها في المجتمع العباسي ، ولم تصل اموالهم لبيت المال كما كان يظن البرامكة وعمالهم - وفي مصادر التاريخ الاسلامي اشارات كثيرة الى سوء ادارة البرامكة المالية (٢).

ولعل وصول شكاوي المتضررين الى الخليفة الرشيد التي كانت ترد على دار الخلافة خير دليل على ذلك • مما دعا هذا الخليفة الى التدخل بنفسه [illegible]

---

(١)- انظر الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ١ ، ص ٤١١ و محمد ضياء الدين الريس ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ •

(٢)- اعتمد سكان بعض المناطق في مصر على رشوة عمال الخراج لمماطلة دفع ما عليهم من التزامات خراجية ، ثم اسقاطها بعد ذلك ، كما كان بعض الفلاحين في مختلف اقاليم الدولة يتهربون من الدفع تحت طائلة من التعليلات ،
انظر ، الازدي ، تاريخ ص 277 ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ٨٠-٨١
وبن الأثير ، البداية ، ج ١٠ ، ص ١٨٥ ، و احمد ابراهيم حمور ، دسرون ، ص ، ٤٠ - ٤١

لاقرار الوضع حسبما يقتضيه العدل وتمليه السياسة (١).

ورغم ذلك فان هولاء المتظلمين من الفلاحين وغيرهم لم تحل مشاكلهم بل ازدادت تعقيدا حين اضطر "جعفر البرمكي" امام كثرة الشكاوي الى تسليم امر البت فيها الى كتابه الذين لم يكن يعنيهم - في اكثر الاحيان - غير قضاياهم الخاصة مما ادى الى اعراض خطيرة في المجتمع العباسي كان البرامكة سببا فيها (٢).

ولاستمرار هذا الغضب الاجتماعي حاول البرامكة القيام بمشاريع قليلة لا اهمية لها تملي نفقاتها خزينة بيت المال تركزت اغلبها على ما يظهر - في منطقة العراق لقربها من المراكز العمرانية الاستهلاكية كالعاصمة بغداد وماجاورها من مدن وقرى (٣).

ولعل الدور الهامشي لاهالي البرامكة الزراعي الذي مثلوه في تطور الانتاج وتحسينه ، هو سر عزوف كثير من المورخين القدماء عن ذكره.

ولم تكن الصناعة احسن حالا من الزراعة في اهتمامات البرامكة طوال فترة نفوذهم اذ لم فيها لدي من مصادر مايشير الى ذلك عدا اهتمامهم بصناعة "الورق" - [illegible] .

---

(١)- انظر ، البلاذري ، فتوح ص ٤٩٢ ٤٩١ .
(٢)- الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٧٧ ، محمد توفيق خفاجي ، تطور ، ص ١١٩
(٣)- انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٧ الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٢٧ ، محمد توفيق خفاجي ، تطور ، ص ١١٨-١١٩
(٣)- من ذلك ان يحى البرمكي قد امر بحفر نهر يدعى "نهر القاطول" وآخر يدعى "نهر ابي الجند" ، ويظهر ان هذين النهرين لايقصد بهما سوى مجرد بعض القنوات البسيطة ، بدليل ان بعض الروايات التي اوردت الخبر تقول ان يحى كان قد انفق على مشروع النهر الاخير مقدار " عشرون الف درهم " فلا يعقل ان يكون هذا المقدار الزهيد قد غطى نفقات حفر نهر انظر ،

الصولي ، الاوراق ، ص ٨٦ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢١ ، ومحمد [illegible]

التي يكاد يتفق عليها المؤرخون ، في ان نواتها قد تأسست في عهدهم (١)

وقبل ان تكون رغبة البرامكة في هذا المشروع اقتصادية ، فانه من الواضح ان ذلك مرتبط ارتباطا وثيقا بالدور السياسي الذي كان تقوم به هذه الاسرة . ففي عهد اشرافهم على ادارة الخلافة قرروا استبدال "الرقوق" الجلدية المتداولة في المكاتبات الرسمية وتعويضها بالورق ، لأنّ الاولى تقبل المحو ومن السهل تزويرها على خلاف ما هو الحال بالنسبة للورق هذا فضلا عن قلة تكاليفها فيما لو قورنت بالرقوق الجلديـــــة (٢).

---

(١)- يروى ان الفضل البرمكي ، قد اشار الى صناعة "الكاغد" اثناء اقامته في الاقاليم الشرقية في حدودها ما وراء النهر . وقد لقيت هذه الفكرة ترحيبا كبيرا واهتماما متزايدا لدى المسؤولين المهتمين بشؤون الادارة المركزية وعلى راسهم "يحي البرمكي" وابـــــنه "جعفر" اللذين امر في الحال استعمال هذه المادة في الشؤون الادارية ، وانشاء اول ورشة لمعالجتها ، انظر ، القلقشندي (ابو العباس احمد) ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ج ٢ ، ص٤٨٦ ، ابــــن خلدون ، المقدمة ، ص٤٢١ ، هملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس واخرون ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، ص٢٩٦ ، وســــوريس ، الاسلام ، ص٢٩٦ .

(٢) ـ الرقوق مفردها "رق" ويعني من الجلد ليكتب عليه ، ويروى ان هـــذه الوسيلة قد كانت مستعملة منذ عصور متوغلة في القدم ، اما استعمـــال الورق في الدولة الاسلامية ، وبصفة ملحوظة فيرجح ان تكون قد بدأت في عهد الرشيد وعلى يد وزرائه البرامكة وكتابهم ، انظر ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ ص٤٨٦ ، ابن خلدون ، المقدمة ص٤٢١-٤٢٢ عبد اللطيف الطيباوي ، محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ، دار الاندلس بيروت ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، و محمد ماهر حمادة ، المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة (مجلة كلية الآداب) واللغة العربية ، عدد٩ عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ ، ص ٤٧٢-٥٠١

وقد كان لهذا الديوان وانه اثر كبير على مستوى تطور المراسلات الادارية فحسب ، بل ساهم مساهمة فعالة في حركة الترجمة والتأليف(١).

فضلا عن استعمال هذه المادة فيما بعد في المبادلات التجارية ، وقد جنى منها المسلمون ارباحا معتبرة شكلت ثروة طائلة(٢).

ومن الانشطة الصناعية التي طورها البرامكة ، صناعة النسيج الفاخر حيث كان الطراز البرمكي معروفا على غرار دور الطرز التابعة لدار الخلافة(٣) ولهذه المؤسسة اهمية كبيرة لما من صلة باقتصاد الدولة ، فهي تتكفل بتغطية احتياجات الخليفة وحاشيته من الالبسة الرسمية ، كما انها تعد رمزا هاما من رموز السلطة ، ودليلا على ابهة الملك(٤).

---

(١)ـ ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٠٦

(٢)ـ جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص٢٠١ ، محمد ماهر حمادة ، المورد ، (مجلة) ، ص٥٦٧ـ ٥٨٨

(٣)ـ الطراز ، يعد من رموز الخلافة وشاراتها ، وهو تقليد كان معروفا عند الناس الفرس والروم ، وعادة ما كان يختار من افخر انواع النسيج واغلاها ، كالحرير او الديباج ، وبخيوط ذهبية يطرز فوق الثوب شارات الخلافة ، تختلف اشكال الزخرفة بها باختلاف منصب من يرتدي الثوب المطروز ، انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٦٦ـ ٢٦٧ وينقل عنه (دون اشارة) ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج١ ، ص١٤٠ـ ١٤٦ . وحول هذا الموضوع راجع دراسة ، فريال داود المختار ، دور الطراز في مدينة السلام (مجلة) المورد عدد ٣ ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ص؟ ١٢٢

(٤) ـ ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٦٦

وبالنظـــر الى حجم الروايات التي تصف رغبة البرامكـــة وحبهم في التأليف والتظاهر به فضلا عن محاولة اشاعته في المجتمع العباسي ، فانه لايمكن في انهم قد بذلوا مجهودات كبيرة في تطوير انواع الألبسة والتفنـــن في طرزها (١).
ومن المحتمل ان تكون هذه العملية قد تأثرت تأثرا كبيرا على ميزانيـــــة الدولة ، فالظاهر ان البرامكة كانوا لايترددون في دفع اية قيمة ثمنا لألبستــــــهم (٢).

وفيما عدا ذلك فان دور البرامكة في تنشيط اقتصاد الدولة لايكاد يشار اليه فيما توفر لدي من مصادر لحـــد الآن.

واظن ان سبب اهتمام المؤرخين القدماء بنفي هذه الأسرة يعود الى سيطرتهم على دور ضرب السكة في فترة نفوذهم ، التي كان يشرف عليها "جعفر البرمكي" برضا الخليفة ، وتداحكم "جعفر" رقابته على هذه الدور لدرجة انـه كان يتجول احيانا في اسواق العاصمة متنكرا لتمييز المغشوش منها (٣).

---

(١)ـ DOMINIQUE, OP. CIT, T1. P. 150.
وفرياد داود المختار ، دور الطراز (مجلة) ، ص ١٢٢ـ ١٢٧

(٢)ـ يروى ان "جعفر البرمكي" قد دفع مبلغا قيمته اربعمئة الف دينار ثمنا لجبة فاخرة زرتله خصيصا للتباهي بها في مجالسه وانظار هيبته اما الخاصة والعامة ، ورغم ما في هذه القيمة من مبالغة ، فانها ولاشك تدل على ما بلغه البرامكة من اسراف في اقتناء كماليات الرفاهية ونفيس ، انظـــر : ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥٧ ، الجهشياري ، الوزراء ص ١٨٩

(٣)ـ جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص ٢٨ ، احمد ابراهيم حمور ، هرون ص ٤٥ـ ٤٦

ولعل اشراف جعفر البرمكي على دور الضرب في كافة انحاء الخلافة حدث لأول مرة في التاريخ الاسلامي ، لان هذه الوظيفة الحساسة تندرج ضمن وظائف الخليفة الاساسية ويندر اشراف غيره عليها لاهميتها (١).

ويفهم من الاكتشافات الاثرية للعملات المضروبة وتنقذ ان الخلفاء العباسيين خاصة — كانوا يرخصون في بعض الاحيان لاهم امرائهم الذين يشرفون على الولايات بفتح دور للضرب كما هو الحال بالنسبة لامراء "مصر" او "البصرة" ، ومن الواضح لحد الآن ان ضرب الولاة اسمهم على العملة كانت تقتصر على العملة التي تضرب في دار ولايته ومن جهة اخرى لاتتجاوز فترة حكمه لهذه الولاية (٢). واغلب الظن ان هذا الوضع يختلف تماما بالنسبة لجعفر البرمكي " ، حيث تؤكد الاكتشافات الاثرية وحيلتها انه كان يذكر اسمه على الدينار (١).

---

(١)ـ انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٦

(٢)ـ انظر ، ناصر السيد محمود النقشبندي ، الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ١٠٨

(٢)ـ الدينار ، هو العملة ، الذهبية ، وعلى انواع العملات المضروبة وتقدمت حيث يزيد وزن الدينار الواحد عن اربعة غرامات من الذهب . وهكذا الدينار في عهد نفوذ البرامكة ، تدور كتابة على الوجه والظهر ففي داخل الوجه تضرب العبارة التالية ، "بسم الله ضرب هذا الدينار سنة (كذا) وفي الوسط يأتي على التوالي : محمد ، رسول ، الله ، جعفر ، (متوازية) اما في داخل الظهر تضرب العبارة ، "محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله" ، وفي الوسط العبارات التالية ، لااله ، الا الله وحده ، لاشريك له (متوازية) ، انظر ، حيلة المكتشفات من العملات المضروبة باسم البرامكة في الملحق رقم

ـــن سنـة ١٧٦هـ الى سنة ١٨٦هـ/٧٩٢ الى سنة ٨٠٢م ، دون انـقطـاع (١) .

ولاشك ان هذه الظاهرة تعد ميزة لم يسبق ان تميز بها احد من اعوان الخلفاء

او الوزراء ، بل لم ينلها الخليفة هرون الرشيد نفســه (٢).

والملاحظ ان هذا الامتياز لم يقتصر على دار واحدة للضرب من دور الخلافــة ،

بدليل المسكوكات التي عثر عليها في اماكن متفرقة وبعيدة عن بعضها تحمل

اسم " جعفر البرمكي "(٣).

ونظرا لسيطرة "جعفر البرمكي" على دور الضرب ، وشيوع ضرب اسمه على كــل

انواع العملة ، فقد اعتاد المزورون ان ايضا ضرب اسمه على ما يزورونــه

من عملات فـــي عهد الرشيد(٤).

---

(١)ـ انظر ،

و ، القلقشندي ، الدينار ص ١٠٠ـ ١٠٢ ، ١٠٨

والملحق في آخر هذا البحث رقـــم ١

(٢)ـ تبين الاكتشافات الاثرية للمسكوكات المضروبة في عهده ، ان اسمــه
لم يضرب على الدينار في عهد نفوذ البرامكة الا مرتين ، احدهما كان
سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م ، وهذا حسب راي القلقشندي ، ص ١٠٨ نقلا عن ،
6-R.A.S.(Journal of the Royal Asiatic SOCIETY) ,New Series, Vol, VII, London,1875.
وثانيهما كان سنة ١٨٧هـ /٨٠٢م ، وتوجد عينة منه في المتحف بجامعــة
فيلادلفيا بالولايات المتحدة الامريكية ، انظر ، القلقشندي ، الدينـار
ص ١٠٠ .

(٣) ـ مثل مدينة الرافقة ، و المحمدية بـ" الري " و بغداد ، و مصر ،
الضرب ، انظـــر ، جواتيان ، دراسات ، ص ٩٩ ، نقلا عـــن ،
-Katalog Orientalischen,Muzen, Berlin,T1,Nº 1020-1164.
والملحق رقم

مـــــن الدراهم المزيفة التي تحمل اسم " جعفر البرمكي " درهم ضرب في مدينة السلام - بغداد - سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م ، وهو محفوظ المتحف البريطاني واخـــــر في المتحف العــــراقي(١).

وبلغ الحد بسيادة "جعفر البرمكي" على دور الضرب ان سك دينارا لم يتداول في السوق ، يوضح مكتشفوه ان وزنه كان يبلغ وزن (١٠١ دينــــارا عــــاديا) (٢)، وان هذا الدينار كان يخالف ما هو متداول ومعروف من تقنية الضرب في دور الدولة (٣) .

---

(١)- انظر ، النقشبندي ، الدينار ، ص ٤١ ، و وفاء التزاز ، الـــدرهم الاسلامي في عصر هرون الرشيد ، مجلة (سومر) ، مجلد ٢١، سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٢٠٢ . واللوحة رقم ١ ،

(٢)- انظـــر ، الاربلي ، خلاصة ، ص ١٥٠ . النقشبندي ، الدينار ، ص ٣٥ .

(٣)-يرون ان هذا الدينار كان لا يحمل تاريخ الضرب ولا مكانه ، كما لايوجد اسم من ضربه ، وانما نقش على الوجه ، البيت التالي -

وَأَصْفَرَ مِنْ ضَرْبِ دَارِ المُلُـــوكِ
يَلُوحُ عَـــلَى وَجْهِهِ جَــــعْفَرُ

وعلى الظهـــــر -

يَزِيــــدُ عَلَى مِئَةٍ وَاحِــــدًا
إِذَا نَالَهُ مُعْسِـــرٌ يَيْسَـــرُ

(البيتان من بحـــر " المتقارب" ويروى انهما للشاعر " ابو العتاهية) انظـــر ، البغدادي ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ١٥٦، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٤١. الاربلي ، خلاصة ، ص ١٥٠ . ابن كثير ، البداية ، ج ١٠ ، ص ص ١٩٢ .

وليس لدي ما يدعم صحة هذه الرواية اوينفيها ، ولكنه بالقياس الى ما بلغه البرامكة من نفوذ يمكن اعتبار هذه العملة اولى محالة في تاريخ الدولة الاسلامية لايجاد فكرة نظام صنع السبائك الذهبية لتكديس الذهب وتسهيل مهمة اكتنازه (١).

ولعل قصد الروايات من هذا الخبر الحديث عن عملة تذكارية ، كما انه من المحتمل ان تكون هذه العملة مخصصة لانجاب الشعراء واجتذابهم مدحا لاسرة البرامكة كما هو الشائع (٢).

ومهما يكن فان قبول مثل هذه الروايات امر صعب في انتظار ما ستكشف عنه الحفريات الاثرية في هذا الميدان .

ولكن الملاحظ تاريخيا ان ابا اسرة البرامكة وباني مجدها "خالدا" لم يكن له من المال ما يكفيه لتسديد غرامة بسيطة كان الخليفة "المنصور" قد

---

(١) ـ تشير بعض الروايات ـ وظاهرة المبالغة فيها واضحة ـ انه عثر في متاع جعفر البرمكي بعد مقتله على جرة تحوي على ما يزيد عن الف دينار من هذا النوع ؟. انظر ، الاربلي ، خلاصة ، ص ١٥٠.
عبد الرحمان الصمري ، اثر الفرس ، ص٢٤٢ (نقلا عن مخطوطة المظفري ، ورقة ١٠٠ أ).
(٢) ـ انظر ، ماسياتي .
(٣) ـ ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ١٥ ب ، اليافعي ، مرآة ، ج ١ ، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ . جواتيان ، دراسات ، ص ١٢٢ .
جاسم آل كلكاوي ، البرامكة ، ص ٦٥ .

اجبره على دفعها (١)، ولا اعرف ان كان احد افراد هذه الاسرة قد اشتغل بنشاط تجاري او غيره يمكن ان يحصل منه على ثروة باستثناء محاولة "يحى البرمكي" في شبابه الاشتغال بالتجارة عندما كانت عائلته تمر في ضائقة شديدة (٢).

لذا فان مظاهر الابهة وحياة الترف التي كانوا يعيشونها في عهد هرون الرشيد لا اجد لها تفسيرا غير استغلالهم للسلطة والنفوذ.

وحسبما تجمع لدي من روايات ألاحظ ان البرامكة كانوا قادرين على تدبير الاموال بشتى الطرق بحكم مركزهم السياسي ، حيث كانوا مطلقي التصرف في اموال الدولة . وتدل على ذلك سياسة " الفضل البرمكي " الذي يكاد يتمتع بشبه استقلال ذاتي في اغلب ممالك خراسان وقد سار مطلق التصرف في اموال الجبايات والغنائم الضخمة دون ارسال شيء منها الى بيت المال كما هو منصوص عليه في القانون المالي للدولة (٣).

---

(١) ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ص٥٤ ، و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة ١٢ أ .

(٢) ـ ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ١٥ ب ، و ، اليافعي ، مرآة ، ج ١ ، ٤٣١ـ ٤٣٢ . و ، جواتيان ، دراسات ، ص ١٣٣ ، و ، جاسم آل الذكلكوي ، البرامكة ، ص ٦٥.

(٣) ـ انظر الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ـ٢٥٠ ، و ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، و ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

ويبالغ المؤرخون القدماء في اكتناز البرامكة اموال الدولة ونسبتهم الثراء واحتجازها حتى على الخليفة الرشيد نفسه مما حدا بأحد المخلصين لهم الى التدخل بنصحهم في ضرورة تحويل ميراث ما يملكون الى بيت المال ضمانا لسلامتهم(١).

ولعل مصدر هذه المبالغة يرجع الى ملاحظة هؤلاء المؤرخين سوء تصرف اعوان البرامكة ،والى حجم شكاوي المتظلمين من عبء الضرائب التي كانت تصل الى مسامع الخليفة الرشيد (٢).

ولعل هذا التذمر الشعبي ،وتلك الشكاوي المترددة دوما على دار الخلافة ، هي التي اثارت حفيظة امير المؤمنين فاخذ يبحث لها عن حلول ولحسن الحظ فانه لدي مصدر من اهم مصادر التاريخ الاقتصادي للدولة الاسلامية وهو كتاب " الخراج " لابي يوسف

---

(١)ـ قارن ، المسعودي ، مروج ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ، ب ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٢٧ ، و ب ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠ و ، ب ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص ١٠٥ وما بعدها .

(٢)ـ انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٤٩٢ ، ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، و ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤١٥ ، و ، سهيل زكار ، تاريخ العرب ، ص ٢٨ .

القـــــاضي(١)؟ الذي حفظ للباحثين اهتمامات الخليفة الرشيد بشؤون دولته . وهذا المصدر قبل ان يكون ذا قيمة اقتصادية فهو لا يخلو من قيـــمته السياسية ، اذ يؤكد بوضوح جانبين اساسيين في سياسة الخليفة الرشيد اولهما ، اهمال الخليفة البين لشؤون ادارة دولته نتيجة ثقته الكاملة في وزرائـــه البرامكة . وثانيهما ، محاولة هذا الخليفة المبكرة لاعادة شؤون خلافتـــه قبل سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م ، وليس حتى سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٢م ، كما هو شائـــع(٢).

وكتاب الخراج ، مصدر بالدرجة الاولى للشؤون المالية ، يـــدل

---

(١) - هو ابو يوسف يعقوب ابن ابراهيم (١١٣هـ- ١٨٢هـ / ٧٣١م- ٧٩٨م) ، تلميذ الامام ابي حنيفة ، كان فقيها عالما ، غلب عليه " الرأي " في احكامـــه الفقهية ، تولى وظيفة القضاء في بغداد زمن الخليفة العباسي "المهدي" و" الهادي" و " هرون " ، وهو اول من دعي بلقب "قاضي القضـــاة" لسعة علمه وتنوع مداركه اذ كثيرا ما كان يستدعيه الرشيد ليتناقـــش معه في القضايا الفقهية الهامة ، خاصة في المجال الاقتصـــادي ، انظـــر :
وكيع (محمد بن خلف بن حيان) ، اخبار القضاة ، تحقيق ، عبد العزيـــز مصطفى المراغي ط١ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م، ج٣ ، ص٢٥٤ ، و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ٧٥ ب و، ابن كثير ، البداية ، ج ١٠ ، ص ١٨٠- ١٨١ .

(٢) - تصادف سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م ، وفاة القاضي " ابي يوسف" ، بمعنى ان التفكير في مثل التساؤلات التي طرحها الرشيد على هذا القاضي كانـت قبل هذه السنة على الاقل ، اما سنة ١٨٧ هـ/ ٨٠٢م ، فهي تمثل السنة الحاسمة التي قرر الخليفة الرشيـــد التخلي فيها عن خدمات وزرائه البرامكة ، انظر : ماسياتـــــــي .

على ذلك القسم الاكبر من فحوله (١)؟ ، مما يكرر حدة المشاكل الاقتصادية المطروحة وقتذ ، فضلاً عن المقترحات البناءة التي قدمها اليه .

ويتضح من مقدمة الكتاب (٢) ، ان الخليفة الرشيد قد فطن الى ان هناك تجاوزات مست الشريعة الاسلامية في ادارة دواوينه المالية لا يشك في ان لاسرة البرامكة النصيب الاوفر في اقرارها في الدولة .

ومهما يكن فان تساؤلات الخليفة الاولى قد اختصت بمشكلة الاموال المحصل عليها في عمليات الفتح وحركات الغزو و ... ضد اعداء المسلمين في دار الحرب المعروفة اصطلاحا باسم " الغنائم " (٣).

وليس من السهل تفسير بواعث اهتمام الخليفة الرشيد بهذه المشكلة ووضعها في المقام الاول من اهتماماته (٤).

......

(١)- يحتوي الكتاب على حوالي ٢٤٤ صفحة ، اغلبها فصول تتصل بالقضايا الاقتصادية ففيه مشكلة الارض في الدولة الاسلامية وانواعها ويبين مختلف المعاملات الشرعية في قضايا الضرائب والقائمين عليها ، كما يوضح في كتابه الشروط والالتزامات التي يتقيد بها كل من الفلاحين وموظفي الادارة المالية وخاصة موظفي موسسات الضرائب (اهل الخراج) ، انظر :- ابو يوسف ، الخراج ، هنا وهناك .

(٢)- افتتح ابو يوسف كتابه هذا بالمقدمة التالية : (... ان امير المومنين سالني ان اضع له كتابا جامعا يعمل به بجباية الخراج والعشور والصدقات وغير ذلك ... وانما اراد بذلك رفع الظلم على رعيته والصلاح لامرهم ... فانه قد اجتهدت لك في ذلك ... وانا لارجو ان عملت بما فيه من البيان ان يوفر الله لك خراجك من غير ظلم ... ويصلح لك رعيتك ...) انظر :- ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣-٦ .

(٣)- الغنائم ، مفردها غنيمة وهي الاموال المنقولة التي تاخذ من المشركين اعداء المسلمين بعد النصر عليهم في الحرب . انظر :- يحي ابن آدم ، الخراج ، ص ١٥ ، ٣١ ، و الماوردي ، الاحكام ، ص ١٢٨ ، للتوسع راجع :

-Lokkcaard,P.EIe,Art (Guanima),T2.PP.1028-*1030.

(٤)- انظر ، ابو يوسف ، الخراج ، ص ٨١ - ٢٣ .

والمعروف ان هذه القضية لم تكن محل جدل بين المسلمين قبل هذه الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية لورود بيانات تشريعية واضحة (١).
ولم يكن طارئا بهذه الحدة في عهد الخليفة الرشيد الا دليلا على ان هناك تغيرات قد طرأت عليها ، وبغض النظر عن حجم حركة الفتوحات ومعاركها التي خاضها المسلمون في عهد الخليفة هرون الرشيد والتي كان للبرامكة الدور الهام في تاطيرها وتنظيمها (٢).

ويتضح من بعض الروايات التاريخية ان البرامكة قد تصرفوا في الاموال المأخوذة كغنائم تصرفا خرجوا به عن مقتضى الشريعة ولا يخدم المصلحة العامة بقدر ما كان يخدم مصلحتهم الخاصة (٣).

---

(١)- جاء في القرآن الكريم ، آية الغنيمة : (... واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ...) اي ان خمس الغنائم من نصيب بيت مال المسلمين ، ويأخذ المقاتلون الأربعة اخماس المتبقية ، حول تفاصيل تفسيرات العلماء والفقهاء المسلمين لهذه المسألة ، راجع:-
محمد ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص١١٠-١١٦.

(٢)- انظر ، ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٨٨ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص١٧٥.
واليافعي ، مرآة ، ج ١ ، ص٢٧٨ ، و، السيوطي ، تاريخ ، ٢٢٢-٢٨٩.
-NIKITTA,OP. Cit,P. 136

(٣)- قارن ، الطبري ، تاريخ ، ج٨ ص٢٥٧ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص-١٩٠.

ولهذا ما يفسر جنوح البرامكة الى الصلح مع البيزنطيين كلما احسوا عندهم نية في دفع الاموال ، بدل مواصلة الحرب معهم رغم ان النصر كان حليف المسلمين في اغلب الاحيان (١)، مما ترتب عن ذلك اعراض خطيرة على مستقبل الخلافة العباسية .

اما الاجراءات التي اتخذها البرامكة في نظام الارض، والتي اشرت اليها ـ يظهر ان الخليفة لم يكن على اطلاع وافي للحكم على اقرار نظامها في دولته ولذلك يأخذ امراره الكبير على " ابي يوسف " توضيح تنظيمات السلف حول موضوع الأرض ومدى مطابقتها للواقع المعمول به في دواوين وزراء البرامكة فقدم له " القاضي " تقريرا مفصلا ـ اعتمادا على مصادر أساسية ـ عن مختلف الاراضي الواقعة ضمن حدود الخلافة العباسية في عهده . مركزا على

---

(١)ـ اهتم موءرخو الحوليات التاريخية بتتبع حركات الغزو و الصوائف في عهد الرشيد ورغم كثرتها فان احدا من هولاء الموءرخين لم يشر الى نتائجها على مستوى توسع رقعة الدولة الاسلامية وانتشار الاسلام في مناطق هذه العمليات ، مما جعل بعض المستشرقين يستنتجون ان "البيزنطيين قد كانوا يستغلون اموالهم استغلالا حكيما ، حيث كانوا يمتنعون عن دفع الاموال ويهاجمون المسلمين كلما احسوا بمقدرتهم على القتال ."؟
انظـــر :ـ نورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين موءنس ، ومحمود يوسف زايد ، ط ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ، ص ٢٦٨ نقلا عن :

Runciman,S.?,Byzantine Civilisation, London,1933,P162.

الـ واد الخصبة في العراق ، واراضي بلاد الشام ، ومعالم الجزيرة ثم خراسان

ويبدو من خلال ذلك ان نظام البرامكة الثاني بتحويل الاراضي المصرية الى اراضي

خراجية قد   من اغلب اقاليم الدولة ، فطالب القاضي " ابو يوســــــف "

بضرورة الغائه فورا لتنافيه مع الشريعة الاسلامية ولضرته للفلاحين (١).

وفيما يتعلق بعمليات اصلاح الاراضي و " احياء الموات " (٢)، منها و

والتي نالت من اهتمامات الخليفة الرشيد قدرا كبيرا ، يستنتج أن هناك اهمالا

واضحا للنشاط الزراعي في عهده ، فضلا عن وجود قنوات ومعالم لانظمة الري معطلة

مما يعطي للباحث صورة غير مشرفة لدور البرامكة في هـــذا الميـــدان

---

(١)ـ ابو يوسف ، الخراج ، ص٥ـ٦٢

(٢)ـ احياء الموات : تعني الاراضي البور بالتعبير الحديث ، والتي لامالك لها وقد حدد الفقهاء الظروف والشروط التي تتم فيها عملية الصلاح .
وتجب الاشارة الى ان هذا النوع من الاراضي يصير ملكا خاصا لمن استصلحه بناء على قول الرسول (ص) :(من احيا ارضا ميتة فـــهي لـــه)
انظر :ـ الماوردي ، الاحكام ، ص١٧٧ـ١٧٦
سيد سابق ، فقه السنة ، دار الفكر ، مصـــر ، ١٣٨٧هـ/١٩٧٧م .

في هذا الميـــدان الحيـــوي (١) .

ومن انظمة الضرائب التي شاع استعمالها في عهد البرامكة نظام " القبالة " (٢)، الذي ألح القاضي ابو يوسف على ايقافه لأنه كان مهلكة للرعية وللدولة على حد سواء (٣).

ومن حسن حظ الباحث في هذه الفترة وجود وثائق تاريخية ينـــدر وجود نظير لها ، لاقيما سبقه من تاريخ الدولة العباسية فحسب بل في تاريخ العصور الوسطى ايضا .

ومن الوثائق الهامة حول هذا الموضوع قائمة الخراج "للجهشياري" التي تبين تفاصيل الخراج لمختلف المناطق في عهد البرامكة ، ويرجح ان يكـــون

(١)ـ انظر : ابو يوسف " على الخليفة ارسال خبراء بشؤون الزراعة وانظمة الري ممن يثق بهم لدراسة الاراضي الميتة والتأكد من امكانية استصلاحها ، انظر :ـ ابو يوسف ، الخراج ، ٦٢ـ٦٣ .

(٢)ـ القبالة : او التقبيل ، تعني ضمان مقدار معين من الضرائب لكل منطقة تحدده ادارة الضرائب المركزية ، وتلزم الموظفين بدفعه لبيت المال ، وعندما يمرون على الاقاليم . والملاحظ ان هؤلاء الموظفين وبعض الولاة كانوا يكلفون السكان بدفع اكثر مما التزموا هم بدفعه الى بيت المال ، فيحملون على الناس لمالهم ، ولذلك من الفقهاء بمخالفة هذا النظام لمبادئ الشريعة ورفضوه رفضا قاطعا .
انظر :ـ ابو يوسف ، الخراج ، ص١٠٥ ، محمد ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص٥٠٧ـ٥٠٨ ، وصبحي الصالح ، النظم ، ص٣٨٦

(٣)ـ قال ابو يوسف مخاطبا الخليفة الرشيد: (ورايت ان لاتقبل شيئا من السواد ولا غير السواد من البلاد ، فان المتقبل اذا كانت في قبالته فضل عن الخراج عسف اهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم وظلمهم وفي ذلك وامثاله خراب البلاد وهلاك الرعية لايبالي بهلاكهم بصلاح امره في قبالته ، ابو يوسف ، الخراج ، ص١٠٥

ان يكون تاريخ نسخها عام ١٨٠هـ/٧٩٦م ،لبلوغ الادارة المالية وتنظيمها غايتها القصوى في الاحكام (١).

والملاحظ من خلال المقارنات والاستنتاجات ان هذه القائمة تمثل اكبر قدر وصل اليه الخراج العام في تاريخ الدولة الاسلامية (٢). وفي الحقيقة فانه لايمكن اعتبار ارتفاع مقادير الخراج مقياسا لتطور الدولة ودليلا على صرامة المشرفين على تنظيمها .

والمؤكد – حسب تقرير ابي يوسف وغيره – ان عمال الخراج المختارين من قبل البرامكة كانوا على جانب كبير من الجهل بتفاصيل المهام المكلفين بها ، وان شروط استخدامهم لما يراعى فيها جانب الكفاءات بقدر ما كان

---

(١)– جاء في مقدمة الجهشياري لهذه القائمة :(.... وجدت في كتاب عمله ابو الوزير بخط : انفذ الي ابو القاسم جعفر بن محمد رقعة استنسخها من دواوين الخراج ذكر فيها ان ابا الوورد الكاتب عملها في ايام الرشيد تقريرا عرضه على " يحيى بن خالد" لما يحمل لبيت المال بالحضرة من جميع النواحي ...نسخته .)
انظر : القائمة بتفاصيلها بالملحق رقم ( )

(٢)– انظر ، القائمة في الملحق رقم وقد اعتمدت في ترتيب هذه القائمة على محمد ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص ٤٧٧–٤٨٤ . الذي اجتهد في اخراجها وتنظيمها ، فضلا عن مقارنتها مع بعض القوائم .

بقدر ما كان البرامكة يحترمون الموالاة والاخلاص لهم فقط (١)، ولذلك نصح "ابو يوسف" الخليفة الرشيد بوجوب استبدالهم بغيرهم ممن تتوفر فيهم الامانة والالتزام فضلا عن تزويدهم بتعليمات محددة ومراقبتهم مراقبة مستمرة صارمة تحول دون ظلم الفلاحين ومالك الاراضي(٢).

كما بين "ابويوسف" فساد نظرية اعطاء الولاة والموظفين اجورهم من خراج المناطق العاملين بها ، وهي عادة اعتمدها البرامكة مع ممثليهم في الولايات في كثير من الاحيان (٣). حيث وفي مظاهرها لاعلى ميزانية الدولة تحسب بناء على ما يعانيه الفلاحون من حيف وظلم ايضا (٤). لأن ولاء لا يهمهم في ذلك غير جمع الاموال للاستفادة منها في اغراضهم الخاصة.

---

(١)- تحدث ابو يوسف للرشيد عن موظفي الضرائب في ادارة البرامكة ، فقال: (... اني قد اراهم لا يحتاطون في من يولون الخراج اذا لزم الرجل منهم باب احدهم اياما ولاه رقاب المسلمين وجباية خراجهم ولعله ان لا يكون عرفه بسلامة ناحية ولا بعفاف ولا باستقامة طريقة ولا بغير ذلك..)
انظر ، ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٦-١٠٧
(٢) - انظر ، ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٢-١٣٧
(٣)- انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ص ٢٣٥ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٠-١٨٢ ، ٢٠٧ ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ٤٤ أ ، و ، جاسم الدلدلي ، البرامكة والعلويون ، ص ٦٦ - ٦٢
(٤)- ابويوسف ، الخراج ، ص ١٠٧-١٠٨ .

وعلى الرغم من المنافع التي نعمت بها الدولة في عهد البرامكة، فان البرامكة خاصة الفضل البرمكي "في الاقاليم الشرقية - الفارسية الاصل - فانه يلاحظ تساهلهم مع السكان لدرجة اعفاء بعضهم من دفع الضرائب وحرق دفاتير مؤخرات ما عليهم من خراج احيانا (١).

مما يوضح سوء ادارتهم وخضوعها للرغبات الشخصية دون النظر للمصلحة العامة وهذا انعكس ذلك على الوضع الاجتماعي حيث بولغ في عمليات التهرب من دفع الضرائب (٢)، فالتجأت ادارة البرامكة الى استعمال العنف، مما زاد الوضع سوءا حتى عام ١٨٤هـ/٨٠٠م وهي السنة التي حاول فيها الخليفة الرشيد تطبيق بعض مقترحات "ابويوسف" التي اشرت اليها (٣).

ولتغطية هذه التصرفات، ومظاهر التعصب بالرجال الدولة عند البرامكة التي اتبعوا سياسة تمكنوا من خلالها من كسب العديد من وجهاء القوم ممن كان لهم تاثير على الرأي العام كالادباء والشعراء والعلماء وغيرهم.

وتتركز هذه السياسة على مبدأ بذل الاعطيات والهبات والاسراف في الكرم بشكل

---

(١) - انظر، الجهشياري، الوزراء، ص ١٧٨ ومحمد ضياء الدين الريس، الخراج، ص ٤٢٨

(٢) - الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢٢٦

(٣) - انظر، ابو يوسف، الخراج، ص ١٠٥ وما بعدها، واليعقوبي، تاريخه ج ٢، ص ٤١٠

غير متوقـــــــــع(١). ومع احتمال وجود مبالغة فيما ترويه المصادر التاريخية والادبية ، الا ان هذه الظاهرة ظلت ترافق سياسة البرامكة طيلة فترة نفـــوذهم(٢).

وبغض النظر عن الامثلة التي يتعذر احصاؤها حول سياسة الكرم والدعوة لها فان ما يعني به بالدرجة الاولى الاروف التي كانت تتم فيها والابعاد المتوخاة مـــــــنها (٣).

وسيطرة البرامكة على مالية الدولة بشكل عام وغياب الرقابة من جانب الخليفة أو من أية مصلحـــة اخرى قد كـــــان من اهم العوامـــل

(١) • يتعذر وجود مصدر تاريخي او ادبي تناول موضوع البرامكة ولا يشير الى ظاهرة اسرافهم في هذه العطايا حتى صارت ميزة عموا بها عن غيرهم من الاعوان والوزراء ، ولعل مصدر مبالغة المؤرخين في هذه السياســـة رغبة الرواة رؤية اولي الامر منهم يتحلون بفضيلة الكرم ، هـــــذا دون استبعاد روايات شعوبية ارادت ان تنافس العرب في هذه الفضيلـــة من خلال نسبها الى هذه الاسرة الفارسية المشهورة ، انظر: الفصل السابع من هذا البحث.

(٢)- اشاع المؤرخون ان يحي البرمكي كان مشغفة درهم لكل من يعترض طريقه وانه كان يعمد مثل هذه المبالغ قبل خروجه من قصره • هذا فضلا عـــن ان بعض المؤرخين قد نسبوا كثيرا من الاقوال والشعر الى البرامكة تدعوا الى تحبيب الكرم وتحبيذه في المجتمع العباسي ، انظـــر: الاربلي ، خلاصـــة ، ص١٦١ ، و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ٢٣ أ ، ٤٤ أ •

(٣)- غلب اعطاياتهم كانت بقصد " الاصطناع " وشراء ذمة من يمدحونهم بالدالة انظـــر الجهشياري ، الوزراء ، ص١٨٠-١٨٢ ، و ، ابن عبد ربه ، العقـد ، ج ١ ، ص٢٧٠ ، و ، ابن خلكان ، الوفيات ، ج ٦ ، ص٢٢٦-٢٢٧ ، وابـــن الطقطقي ، الفخري ، ص١٥١-١٦٠ ، و ، البغدادي ، تاريخ ، ج ١٢ ، ص٣٢٦ ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ٤٤ أ ، ٤٤ ب ، ٤٦ أ •

في تطور هذه الظاهرة وانتشارها فيـــــها (١).

ويظهر من خلال نص الروايات ان اهداف هذه السياسة لايحتمل اكثر من تفسير واحد في نظــري ، وهو محاولة البرامكة تكوين طبقة في المجتمع العباسي تدين لهم بالطاعة وتعمل على تحقيق مصالحهم . ذلك ان هذه الأسرة كانت تعتبر تبذير اموال الدولة مقياسا لعزهم وعلو منزلتهم في نظر العام و الخــــاص (٢).

ولم يقتصر ابتزاز البرامكة لاموال الدولة بمقتضى هذه السياســـة فحسب بل تجاوز بهم الحد الى ظواهر اخرى لا تقل خطرا عن ميزانية الدولـــة من سابقتها .

وحسب ورود الروايات لقصورهم ومستوى حياتهم اليومية يدون هؤلاء الوزراء قـــد تجاوزوا فعلا حدود التزامهم كاداريين حيث تقتضي مهمتهم الاساسية مساعدة

---

(١) ـ انظر ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص١٨٤.
(٢)ـ يروى ان يحيى البرمكي كان يامر اعوانه ان يوزعوا الاموال في الناس حتى باسم ابنائه الصغار ممن لم يتقلدوا المناصب بعده وذلـــــــك " ليجعل لهم منزلة في اعناق الرجال ويحببهم الى الناس على حد تعبير بعض المؤرخين ، انظر :
الجهشياري ، الوزراء ، ص١٨٠، ابن الوزير ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقـــــة ١٤٣ .

الدولة على النحو بمصالح العامة للمجتمع الاسلامي في عهد الخليفة هرون الرشيد.

ومن اهم التجاوزات التي سجلها التاريخ لهؤلاء الوزراء اهتمامهم الكبير بتشييد القصور ومايتبع ذلك من حياة الترف والبذخ اللتان كانتا تنهكان الخزينة العامة (١).

ويغلب الظن ان معظم عماراتهم قد تركزت في الناحية الشرقية من العاصمة "بغداد" بعيدا عن محلات العامة وجيرتهم (٢).
ولاندري سبب اهتمام البرامكة ببناء هذه القصور والبيوت التي تبالغ الروايات في الحديث عنها (٣). وقد يكون مرد ذلك الى رغبتهم في الظهور بمظاهر الترف والابهة افتخارا ونشر الهيبة وعلو المكانة على الخاصة والعامة (٤).

---

(١)ـ يروى ان "جعفر البرمكي" قد انفق على بناء قصر واحد ماقيمته عشرون الف الف درهم، انظر، الطبري، تاريخ، ج ١٠، ص٨٢، و، جميل نخلة المدور، حضارة، ٦٦١ .
(٢)ـ كان "يحيى البرمكي" اول من بدا في بناء القصور وتبعه بقية البرامكة واعوانهم وذلك حين سكن قصره المعروف بقصر [illegible] الواقع في منطقة "الشماسية" احدى النواحي الشرقية في مدينة بغداد، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص [illegible]
(٣)ـ انظر الطبري، تاريخ، ج ١٠، ص ٦٠، و، ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٢٦. و، ابن الساعي (تاج الدين ابي طالب) نساء الخلفاء، تحقيق، مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، (ب ـ ت)، ص٢٢ ومابعدها
(٤)ـ انظر، الفصل الثاني من هذا البحث .

والملاحظ ان " جعفرا البرمكي " ـ المشرف على دور الضرب السكـــة ـ كان اكثر البرامكة مبالغة في البناء واكثرهم اسرافا في الانفاق على تزييـــن قصوره وتجميلها بمختلف انواع التحف النادرة ، كما انه كان لايتردد في ان يبالغ في حق جارية يريدها ـ جعفر ـ ان تكون في احد قصـــــوره (١).

ويكفي الاشارة الى نموذج واحد من مباني احد البرامكة ، للدلالـة على ماكان ينفقه هؤلاء من اموال على حساب خزينة الدولة واموال المسلميـــن(٢) لدرجة ان احد المقربين الى البرامكة نصح " جعفرا البرمكي " بحسن اخفاء قيمـــة تكاليـــف قصره خوف سماع الخليفـــة الرشيد مثـــل

---

(١) ـ قارن ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ٤٤ ب ، ١٢١ ا ، ب ، انستاس الكرملي ، السن واثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة (المشرق) عدد ١٠ ، سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، ص

(٢) ـ تقول الرواية ان بيت جعفر كانت : (... مطلية بالرسم والزخرفة مـــن الداخل والخارج وعليها صورا من الصور العجيب وقد فرشت مجالسها بالوشي والبريسم وزينت بالامتاع الثمين والتماثيل الذهبية ...و القوارير الفرعونية ولطائف الصين وغيره وغيرها من التحف ولبست حيطانها باستار مـــن الديباج عليها ابيات موسومة مما قالته الشعراء في مدحهم ، وفي تاتيهم من مصنوعات الفرس) ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، مج ٨ ، ص ٢٩١ ، بديع نعلة المحور ، حضارة ، ص ١٠٦ ، ١٦١ ١٦٢

مثل هذه الارقام الخيالية فيوثنبه (١). ومن الممكن ان يكون هذا

القصر هو الذي تتحدث عنه المصادر التاريخية بانه هو الذي تداعتت به

الخلفاء العباسيون بعد الرشيد واتخذوه مقرا لهم (٢).

ومهما يكن من امر ذلك فان الثابت تاريخيا ان البرامكة قد تجاوزوا حدود

الاعتدال وصرفهم الاموال واعتبروا الاسراف والترف من اجمل الوسائل المعتمد

عليها في بمناسبة ملذاتهم عن الرأي العام (٣).

واغلب الظن انهم كانوا قد استفادوا اكثر من غيرهم من استغلال

ما كانت توفره الدولة من خدمات، ويتبين ذلك من خلال قائمة المدفوعات

التي كانت ترد الى طبيب دار الخلافة "جبرائيل بن بختيشوع" (٤). التي

---

(١)- ابن الساعي، نساء، ص٧٣-٧٤. وقد وصف احد الشعراء - غير معروف - للخليفة الرشيد هذه البيت في قصيدة شعرية من بحر "السريع" جاء في مطلعها:

وَكَيْتَنِي الدَّارَ الَّتِي تَابَكَى الـ ... فُرُسُ يثلُهَا وَلَا الهنـد
الدُّرُ وَاليَاقُوتُ حَصْبَاؤُهَا ... وتُرْبَتُهَا العَنْبَرُ وَالنَّدُّ

انظر، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢٩٩، و، احمد شلبي، التاريخ الاسلامي ص٢٨٨.

(٢) قارن، ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص٧٣-٧٤، ب، عمر محمد سعيد، نظم بلاط العباسيين ورسومه في بغداد ١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م (رسالة جامعية) قدمت لجامعة عين شمس القاهرة، مكتبة كلية الاداب، قسم الرسائل، رقم: ١٩٩٤م، ص٥٦.

(٣) انظر دومنيك وجانين سوردال، الحضارة الاسلامية في عصرها الذهبي، ترجمة حسني زينة، ط١، المكتبة التاريخية، دار الحقيقة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٥٦،

(٤)- يعد من كبار الاطباء في تاريخ الخلافة العباسية وهو من عائلة سوريانية خلفت ترأس "بيمارستان" ومدرسة "جند سابور" الطبية على مدى فترة طويلة وقد لزم صاحبة الخليفة الرشيد حيث كان يقوم الى جانب الخدمات الطبية على مجالسته، كما كان يعد من اهم الاطباء اسرة الخليفة وحريمه، وقد خدم ±

ـ كما تدل الرواية ... مراعاة ما بلغته ... الاسرة من اسراف في استغلال اموال الدولة على حساب مصالح المجتمع العباسي (1) .

وفي الحقيقة فان ذلك لا يعود الى طبيعة التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي عاشته الدولة في عهد نفوذهم كما ... وكان ذلك على حساب امكانيات بيت المال ومصالح المجتمع المسلم الذي كانت تبتز منه ارزاقه ولذلك قد بقي افراده يعيشون في فاقة شديدة في حين كان ينعم حكامه من امثال هؤلاء الوزراء بما تجود به سواعد الاشقياء (2)

= الامين بعد ابيه الرشيد ثم انتقل الى قصر " المامون " لنفس الغرض ، ومع ذلك فقد كان على صلة متينة باسرة البرامكة وتربطه بهم علاقة حسنة ، فضلا عن الخدمات الطبية التي كانوا يكلفونه بها . انظر ،

ابن جلجل (ابو داود بن سليمان) ، طبقات الاطباء والحكماء تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ، 1375هـ/ 1955م ، وابن ابي اصيبعة (موفق الدين ابي العباس) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق فؤاد رضا ، بيروت ، 1385هـ/1965م ، ص187ـ و ، ابن العبري ، مختصر ، ص130 ،

وخير الدين الزركلي ، الاعلام جـ 2 ، ص 111 .

(1) ـ ورد في القائمة احصاء نقدي لمدخولات هذا البيت من العائلات ... كل سنة ... الاحصاء التالي ـ من جعفر البرمكي حصل على المقدار ... 200 1 درهم ونفس الرقم حصل عليه من اخيه الفضل في حين لم يتجاوز ما تبرع به من الخليفة الرشيد مبلغ 000 600 درهم انظر الجهشياري ... جـ 1 ، ص 306 ، وابن ابي اصيبعة عيون الانباء ، ص ...

(2) ـ قال ابو يوسف ، (... بلغني انهم يقيمون الخراج في الشمس ويضربون الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيد نهم بما يمنعهم من الصلاة وهذا عظيم عند الله شنيع في الاسلام ، ....) ابو يوسف ، الخراج ، ص 109 ، والامثلة من مثل هذه المعاملات في ادارة البرامكة كثيرة ومتنوعة . انظر الازدي ، تاريخ الموصل ص 276 ، و دوميناك ، الحضارة ، ص 56

ومن غير شك فان اسرافهم في انفاق الاموال في غير المشاريع الحضارية المؤدية الى زيادة الانتاج وتطوير المجتمع لا بد ان تؤدي آخر الامر الى التذمر والسخط وبالتالي الى الافتقار والانحطاط .

وفي سبيل تغطية هذه الاسرافات والازمات وحالات الاغلاء الذي كانت تعاني منه الدولة عمد البرامكة على محاولة امتصاص نقمة الرأي العام وذلك بتوزيع بعض المنح على فقراء بغداد لمساعدتهم على سد احتياجاتهم اليومية (1) .

ولئن وجدت هذه السياسة اقبالا من طرف هؤلاء البؤساء الا انها لم تؤدي الى اية نتيجة تمكن هؤلاء الوزراء من اخراج المجتمع من حالة الفاقة التي كانت تزداد باستمرار (2) .

ومن المحتمل وجود مؤيدين لهذه السياسة بيد ان هؤلاء كانوا اكثر استفادة من غيرهم حيث تعدت مساعداتهم حدود التغلب على الفاقة والاحتياج الى تكوين ثروات طائلة لمجرد ابداء الاعجاب بالبرامكة والاشادة بكرمهم (3) .

ولا شك في وجود مصلحة مشتركة بين هذه العناصر المتطفلة واسرة البرامكة لا تهدف الى استغلال امكانيات الدولة لمصلحتهم الشخصية فحسب بل كانت تهدف الى المساهمة بايجابية التطور الحضاري للمجتمع العباسي المسلم ايضا .

ويبدو ان توضيح هذه المسائل ليس سهلا لما يشوبها من غموض واختلاف في الاراء ، ولذلك فان اهم مايساعد على اجلاء هذا الغموض ، ومحاولة تتبع الدور الذي مثله البرامكة في المجتمع العباسي وحضارته . وذلك ما سأحاول الحديث عنه خلال الفصل التالي .

(1) — تاريخ البغدادي تاريخ ، جـ 14 ، ص 130 ب ، ومتيك الحضارة ، ص 56 .

(2) — انظر الجهشياري الوزراء ، ص 179 ، الصولي ، الاوراق ، ص 3 — 4 ، البغدادي تاريخ ، جـ 14 ، و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 23 ب

(3) — انظر ما سياتي .

الفصل السادس

الدور الاجتماعي والثقافي

لم يكن نشاط البرامكة وعنايتهم الفائقة ببناء القصور وتشييد البيوت دون هدف فقد كانت هذه الاسرة مولعة بالتأنق والاسراف في حب التظاهر بغية استمالة الخاصة وفرض الاحترام على العامة ، ولم يحتكر البرامكة هذه العادة لانفسهم فحسب بل حاولوا تحبيبها للمجتمع من مواليهم وخلصائهم .

ولدي من الشواهد ما يشير الى انهم عملوا بطريقة او باخرى على مساعدة عمالهم في التفنن في بناء بيوتهم وتجميلها حتى وان كانت تغطية النفقات من ميزانية الدولة (1) .

واظن ان نيتهم في ذلك لم تكن قصد تشجيع حركة العمران في الدولة بالبناء كما يتبادر الى الذهن وذلك لاقتصار مساعدتهم على من لا حاجة له بالبناء غير الاسراف في اللهو وعقد مجالسه (2) .

وتطنب المصادر التاريخية والادبية في وصف مجالس لهو البرامكة بشكل يدعو الى الدهشة والاستغراب ، حيث كان لهم اختصاصيون في المنادمة (3) يجتمعون بهم قصد تسليتهم والترفيه عنهم . وكان لهؤلاء الندماء لباس خاص من حرير ذا الوان زاهية يلبس خصيصا لهذه المناسبة كما يتعطرون بالطيب على عادة ندماء الفرس ، في حين خص المدعون لمثل هذه المجالس من اصدقاء البرامكة بلباس خاص ايضا . وذلك استعدادا للحفل و ما يرافقه من مشروبات وتبادل اطراف الحديث (4) .

---

(1) — انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 281 ومابعدها

(2) — الجهشياري ، الوزراء ، ص 112 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، ص 130 — 131 ابن عساكر ، تاريخه ، ج 5 ، ص 28 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة ، 146 .

(3) — المنادمة ، (النديم) تعني المجالسة و الجليس ، وعادة ما يؤخذ معنى هذه اللفظة المجالسة على تعاطي الشراب فمنادمة الرجل للاخر تعني مجالسته للشراب انظر ، ابن المنظور (ابو الفضل جمال الدين) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت 1956 1956م ، مادة ندم وهناك دراسة جادة حول هذا الموضوع قدمها ، جمال سرحان ، المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجري ، ط1 دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1401هـ / 1981م

(4) — انظر ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج 1 ، ص 172 . ، الجهشياري ، الوزراء ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 174 ، ومحمد جابر عبد العال ، حركات الشيعة المتطرفين واثرها في الالحياة الاجتماعية والادبية في العراق ابان العصر العباسي الاول ، ط 2 دار المعرفة ، القاهرة ، 1387هـ / 1967م ص 27 — 29

انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 168

وحسب وصف المصادر التاريخية والادبية لهذه المجالس يلاحظ ان البرامكة قد بالغوا في الاسراف وخرجوا به عن حدود الشرع (1) .

واظن ان تشجيع البرامكة لمثل هذه الظواهر الغريبة في المجتمع الاسلامي هي التي اوصلت شخصية " النديم " الى المرتبة المرموقة ضمن حاشية كبار رجال الدولة ووجهاء القوم ، وقد صارت وظيفة المنادمة وظيفة رسمية في عهد الخليفة هرون الرشيد يتقاضى صاحبها مرتبا هاما فضلا عن الهبات والاعطيات التي يجازي بها باستمرار (2) .

وتجاوزت مثل هذه العادات حدودها في قصور البرامكة ومجالسهم التي صارت محافل للمغنين والراقصات عن طريق اغرائهم بالهدايا الثمينة والاموال الطائلة التي كانوا ينفقونها في اسواق النخاسة لشراء الجواري الحسان حتى صار للبرامكة عملاء مهمتهم اقتناص الجواري لاشباع رغبة هؤلاء الوزراء الجامحة في اللهو والطرب (3)

والظاهر ان البرامكة بتبنيهم لمثل هذه الظواهر وتشجيعها قد عملوا على تطوير الغناء بمختلف اساليبه وفنونه في الخلافة العباسية .

ويدل على ذلك مبلغ ما وصل اليه " اسحق الموصلي " (4) الذي تربطه بالبرامكة علاقة متينة كانت سببا في تشجيعه على استحداث الغناء

---

(1) - انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 168

(2) - قارن ، النويري (شهاب الدين احمد) نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب المصرية القاهرة ، 1375هـ / 1955م ، ج 4 ، ص 352 ، ب ، الحصري القيرواني (ابو اسحق ابراهيم) ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1373هـ / 1953م ، ص 314 .

(3) - انظر الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ، ص 63 ، ج 5 ، ص 186 ، ج 20 ، ص 343 و ،

- GABRIEL , OP. CIT. P 70 .

(4) - اسحق الموصلي (155 - 235هـ / 772 - 850م) ، فارسي الاصل بغدادي النشأة من اشهر ندماء الخلفاء العباسيين (المهدي ، الهادي وهرون) عالم باللغة والموسقى فضلا عن شاعريته الخصبة ، له تاليف عديدة في الغناء وفنون اللهو والمنادمة . انظر ابن خلكان ، وفيات ، ج 1 ص 65 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ص 200 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 1 ، ص 292 .

وتطويره في المجتمع الاسلامي (1) . ومع مرور الزمن صارت قصور البرامكة ومجالس لهوهم مدرسة للغناء وفنون الغناء والرقص يتخرج منها العديد من الشباب على اجناسهم حيث كانوا يشجعونهم على تلحين ما يقال في اسرة البرامكة من قصائد مدح (2) .

ولعل المغنية " دنانير " التي الحق بها فيما بعد لقب " البرمكية " اهم تلميذة تخرجت من مدرسة البرامكة حيث يروى انها لم تكن تذكر لولا تبني " يحي البرمكي " لها واعجابا بنائه الشديد بفنها . حتى صار تعلما بارزا في تاريخ الغناء العباسي وقد عينها " يحي " مشرفة على مجالس غنائه ، ووضعت تحت تصرفها العديد من الجواري ( ) تتفنن " دنانير " بهن في حبك مظاهر الترف و المجون لا في قصور البرامكة ومجالس لهوهم فحسب بل صارت فرقتها متجولة - بأمر يحي البرمكي " - في قصور الحي الشرقي من بغداد تنظم الحفلات لمريدي هذا الفن من اصدقاء البرامكة وعملائهم (3) .

وتؤكد الروايات ان مثل هذه الظواهر الاجتماعية المبتذلة لم تبق مقتصرة على البرامكة ومواليهم بل انتقلت الى اغلب قصور رجال السياسة ووجهاء القوم من الامراء والقواد (4) .

---

(1) - الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ص 301 - 302 . 323 ، وجميل نخلة المدور ، حضارة ، ص 183 ، 238 - 243 . ،

(2) - انظر ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 37ب

(+) - جارية تعلمت الغناء وفنونه في المدينة ، استراها يحي البرمكي ورعاها حق الرعاية حتى نبغت في فن الغناء ، ويروى انها اعتزلت هذا الفن بعد نكبة البرامكة حتى وفاتها عام 200هـ/825م . ، انظر ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ، ص 63 ، ج 5 ، 245 ، عمر رضا كحالة ، اعلام النساء في عالمي العروبة والاسلام ، ط 2 ، المطبعة الهاشمية ، 1378 هـ/ 1959م ، ص 358 ، الزركلي ، الاعلام ج 2 ، ص 341 .

(3) - الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ، ص 63 ، ج 5 ، ص 245 ، ج 18 ، ص 65 - 68

(4) - محمد جابر عبد العال ، حركات ، ص 19 ، احمد ابراشيم حمور ، هرون ، ص 108

ولم يسلم منها الخليفة أمير المؤمنين (1)

واقتضت الحاجة بمترفي المجتمع العباسي بعد هذا الى البحث عن الجواري الحسان والمغنيات الحاذقات فكانوا لا يجدون رغبتهم الدنيئة هذه الا عند البرامكة او بواسطة عملائهم (2) وبذلك اوجد وانمطا جديدا وغريبا في الحياة الاجتماعية لم يكن مألوفا عند عامة الناس من المسلمين ، ولا شك انه كان احد اهم بواعث الفساد والانحلال ..حيث لم يعد يقتصر نشاط مثل هذه المجالس على فترات الفراغ فقط بل صار في عرف البرامكة على حساب الاوقات الواجب احترامها خدمة للمصلحة العامة (3).

ولدي من الروايات حول الموضوع ما يجعل امر تصديقها في غاية من الصعوبة لتعارضها مع مقومات المجتمع العباسي المسلم (4) .ومن ذلك وصف موكب سيدة قصور البرامكة "عتابة" ام "جعفر" التي كانت لا تخرج من مخدعها الا صحبة هودج بهيج ، تحف بها اربعمائة وصيفة يدجج يد كل واحدة منهن مختلف الجواهر الثمينة وعليهن الالبسة الحريرية الفاخرة التي يصعب وصفها (5).

---

(1) - يلاحظ في كثير من الاحيان ان اغلب من اتصلوا بالبرامكة كانوا على اتصال بالخليفة الرشيد بطريقة او باخرى لوثوق الصلة بين هذا الخليفة ووزرائه البرامكة خاصة في بداية حكمه . بيد ان بعض الروايات التاريخية قد تجاوزت حدود المعقول في المبالغة اثناء الحديث عن الرشيد .. ولا يستبعد ان يكون مصدر ذلك ناتجا عن فكر شعوبي قصد به اصحابه المس بشخصية هذا الخليفة الذي وقف ضد مشروعهم .. حتى ظن بعض المستشرقين ان قصص الف ليلة وليلة الخرافية مبنية على حقائق تاريخية ترجع اصولها الى زمن الخليفة هرون الرشيد .. انظر ، ماسياتي ، و عاملتون جب ، دراسات ، ص84 .. ابراهيم حمور ، هرون ، ص140- 170.

- GABRIEL; OP .CIT? PP 64-95 .

(2) - انظر ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 19 ، ص289- 290 .، ابن الطقطقي ، الفخري ص153- 154 و ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص165 و ، جميل نخلة المدور حضارة ص179- 180

(3) - الاصبهاني ، الاغاني ، ج5 ، ص179 .

(4) gabriel,op;cit.PP66-69.

(5) - المسعودي ، مروج ، ج 392،3 الاتليدي ، اعلام الناس ، ص114 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة ، 61ب

هذه المكانة الاجتماعية التي تعيشها هذه الاسرة وسط المجتمع العباسي مكنتها من ان تقوم بأدوار هامة في حياته . ومنهم سكان العاصمة بغداد خاصة حيث صار ينسب للبرامكة اجود انواع الثياب وافخرها ، كما انهم كانوا سببا في نشر طرق جديدة لطهي الطعام ، واصناف من المأكلات كانت لا تعمل الا لهم يحضرها على موائدهم طباخون مهرة دربوا تدريبا جيدا على اتقان الطهي الفارسي وغيره (1) .

ويروى ان هذه الاسرة قد عملت على تطوير الفروسية والعاب سباق الخيل حتى صارت في عهدهم تقليدا اجتماعيا ينال اهتمام بالغا من طرف اعيان القوم ومترفيهم (2) ولم يكن البرامكة عاجزين عن اختيار اجود اصول الخيل مادامت ميزانية الدولة بين ايديهم وتحت تصرفهم المطلق (3) .

ومن انواع التسلية التي شاعت في عهدهم وكانوا السبب في تطويرها في المجتمع العباسي لعبة " الشطرنج " حيث كان اغلب افراد الاسرة من امهر المتنافسين وكثيرا ما كانوا ينظمون مسابقات فيما بينهم تحت اشراف يحى البرمكي (4) .

ولم يقتصر تشجيع البرامكة لهذه الانواع من التسلية فحسب بل هناك ما يوضح انهم بالتعاون مع مواليهم وعمالهم — من الفرس خاصة — قد احيوا بعض العادات والتقاليد الفارسية والهندية تتنافى مع مقومات المجتمع العربي المسلم مما اثر حفيظة الكثير من العناصر

---

(1) — اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ميلورد ، ط 2 ، دار الكتاب الجديد بيروت ، 1400هـ / 1980م
الغزولي (علاء الدين علي) ، مطالع البدور في منازل السرور ، ط 1 مطبعة ادارة الوطن ، القاهرة 1300هـ / 19882 . ج 2 ص 54 — 55
الصديقي محمد عبد الرحيم ، النبراس ، ط 1 ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، 1384هـ / 1964م ص 131 .

(2) — اعتاد العرب المسلمون تنظيم منافسات لسباق الخيل ، وعدوها من اهم انواع التسلية تماما لا بحضارتهم . وقد اقرها الرسول (ص) ، وشجع على ممارستها ولذلك تطورت تطورا كبيرا في تاريخ العرب المسلمين ، انظر ، عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة الرسالة القاهرة ، 1382هـ / 1963م . ص 139 ، اعتمادا على ، ابن هذيل ، كتاب حيلة الفرسان ص 43 — 141 .

(3) — تقول الرواية ان خيول البرامكة كانت لا تنافس في ميدان ا مسابقة . انظر ، عبد ربه ، العقد ، ج 1 ص 172 .

(4) — ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 59ب

مما اثار حفيظة الكثير من العناصر العربية الغيورة على حرمة الدين الاسلام والتقاليد العربية الاصلية (1) .

وفي سبيل ترضية واسكات الرأي العام على ما يلاحظونه من تصرفات البرامكة في المجتمع العباسي ، عمدوا الى القيام ببعض الخدمات الاجتماعية كمواصلتهم لعادة ارسال القمح وبعض المؤن الى سكان الحرمين ، وبناء الاحواض لتخزين مياه الشرب في المناطق التي تشكو من الجفاف ، كما ساهموا في بناء بعض الكتاتيب لتعليم ابناء اليتامى والمعوزين (2) .

ومن الصعوبة بمكان تصديق الروايات التي تمجد دور " الفضل البرمكي " وتطنب في ذكر مشاريعه الاجتماعية في اقليم خراسان (3) ، اذ ان من غير المقبول بسهولة ان يتجرأ هذا الرجل على هدم معبد " النوبهار " ليستغل حجارته في بناء مساجد للمسلمين في مدينة بلخ ، وقد كان هو وغيره من البرامكة يعملون على تثبيت وجود تاريخهم القديم في حياة المجتمع العباسي (4) هذا فيما لو استبعدت فكرة متانة بناء هذا المعبد (5) والوقت والجهد اللذين ينبغي تخصيصهما لمثل هذا المشروع و فضلا

---

(1) - انظر ، ما سياتي .

(2) - الجهشياري ، الوزراء ، ص177 . ، صبحي صالح ، النظم ، ص 389

(3) - هناك رواية طريفة ، ظاهرة الانتحال فيها واضحة مفادها ان الفضل البرمكي خلال حكمه لهذا الاقليم حمل " عشرون الف صبي " اسم الفضل اعترافا من سكانه بما قام به هذا البرمكي من اصلاحات واعمال جليلة . انظر ، اليزدي ، تاريخ و (مخطوط) ، ورقة 129 ، 129ب

(4) - ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 55ب . -Bouvat,op;cit,p61 , Dominique,op.cit.T1?P145

(5) - انظر هندسة وبناء هذا المعبد وما انفق عنه . في الفصل الثاني من هذا البحث

وفضلا عن ذلــــــك فان الظروف السياسية التي كانت التي تعيشها المنطقة وقتذاك كانت لا تسمح لأي أمير بامكانية التفكير في مشاريع اجتماعية وحيوية كهذه (1) .

والملاحظ ان مثل هذه الخدمات الاجتماعية لم تكن من الاهمية بحيث يمكنها التأثير في حياة المجتمع العباسي ، لا لقلتها فحسب ، بل لا ندراجها ضمن مستوى متدن من متطلبات الحياة الاجتماعية المتزايدة باستمرار ، ولم يكن القصد من القيام بها فــي نظري غير محاولتهم التمويه على المجتمع وتبرير نفقاتهم في قضاياهم الخاصة التي كانت تكلف الدولة أموالا طائلـــــــــــــــة (2) .

بيد ان المشروع ذا الابعاد الاجتماعية الذي ابتدعه البراكمة هو تكوينهم لجيش " العباسية " من عناصر الاقاليم الشرقية للدولة والذي ادخلوا جزءا منه في حياة المجتمع العباسي ببغداد وغيرها من المدن ، فساهموا بذلك في انفتاح الدولة على العناصر الشرقية حيث كان لهم آثار هامة على مستقبل تطور الخلافة العباسية (3)

وكان بديهي ان يعطف البراكمة على امثال هؤلاء اكثر من غيرهم .. وبغض النظر عن اهدافهم السياسية — اشرت اليها (4) ، فان الرائج انهم عملوا على تكويــن شريحة اجتماعية تعيش على فتات جودهم ، دون ان تقدم خدمة اجتماعية تساهم بها فــي تطور الحضاري للدولة الاسلامية . حيث كانت مهمتهم الاساسية التزاحم امام ابواب البراكمة " الأجواد " او اعتراض طريقهم املا في الحصول على بعض الدراهم التــــي

---

(1) قارن ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 257 ب ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 37 ، 190

(2) راجع اسراف البراكمة وتبذيرهم لاموال الدولة ، فيما سبق ..

(3) باد خلل هذا الجيش دفع البراكمة ظاهرة تشجيع مساهمة العناصر الشرقية التــي تعمم الروايات التاريخية تسميتها خطاء باسم " الترك " لصعوبة نطق اسماء بلدانهم وقد ظهرت آثار ذلك على وجه التحديد اثناء حكم الخليفة العباسي المعتصم (218 — 227 هـ / 833 — 841 م) عندما احسوا بأن فعاليتهم في الاحداث قد اخذت تزداد باستمرار فورطوا بذلك الدولة في صار صراع داخلي مرير لا تتكافىء آثاره مع ما قدموه من مجهود في الدفاع عنها .
انظر ، الطبري ، تاريخ ج 8 ، ص 354 وما بعدها .. ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 275 وما بعدها .. ، وهناك دراسة هامة حول الموضوع .. راجع ، محمد عبد الحي شعبان ، الدولة العباسية ، ص 82 وما بعدها ، كرامرز KRAMERS?JH دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ترك ، ج 5 ، ص 34 ، وما بعدها

(4) انظر ما سبــــــــــــق

التي كان البرامكة يحضرونها خصيصا لهذا الامر افتخارا امام العامة والخاصة (1)

واظن ان مثل هذه الاجراءات لم تكن سوى مظاهر مأسوية وقع فيها البؤساء والمحتاجون من المجتمع البغدادي ، ولم تؤد تلك المساعدات الرمزية الا الى تشجيع روح الاتكالية وانتشار ظاهرة التسول المقيتة بين عناصر المجتمع البغدادي .

ولا ادري على ماذا اعتمد بعض المستشرقين للوصول الى فكرة نجاح البرامكة في كسب العناصر الفارسية وغيرها لصالح الخلافة العباسية (2) .

وبالعكس فان الاستنتاجات المنطقية توصل الباحث الى ان البرامكة قد عملوا بشتى الطرق على وضع امكانيات الدولة في خدمة هذه العناصر وتطوير اوضاعهم الاجتماعية بعد ان استفادوا منهم (3) .

والظاهر ان تعاطف بعض المستشرقين مع اسرة البرامكة سببه رغبة هؤلاء في رؤية المجتمع الاسلامي منحلا يعيش حياة الترف والبذخ التي كان يشجعها وزراء الخليفة الرشيد هذا من جهة) ومن جهة اخرى ، تسامح البرامكة مع الاقليات المسيحية في الخلافة العباسية تسامحا اشبه بالتواطيء معهم على حساب تشريعات الدولة الاسلامية و مقومات

---

(1) — البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، ص 130 ، الجهشياري ، الوزراء : ص 178 . الصولي الاوراق ص 3 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 28ب

(2)-BOUVAT,OP.CIT.PP47-48,
 -GABRIEL,OP.CIT. PP 120 & 121 .
 - bernard, OP.CIT. P77 .

(3) — الشائع ان كثير من العناصر الفارسيه قد استفادت من ادارة البرامكة التي قربتهم من اجهزة الدولة ، بيد ان هؤلاء عوضا يعترفوا بالجميل لهذه الدولة التي وضعت امكانياتها في خدمتهم وتحسين اوضاعهم الاجتماعية عملوا على نشر العادات المتنافية مع مبادىء الاسلام . وتطرفوا الى حد التفكير في محاولة ارجاع الحكم اليهم . انظر الفصل السابع ، البرامكة بين الشعوبية والزندقة .

بالتواطيء معهـــم على حطب تـ ريعات الدولة الاسلامية ومقومات وجـــود ها (1) بدليل اللهجة التي قدم بها " ابو يوسف " القاضي تقريره عن الوضع الاجتماعي في عهده ، حيث نصح الخليفة بالاستعجال في تطبيـــق الشريعة الاسلامية تجاه اهل الذمـة ضمانا لامن الدولة وللمحافظة على آثار السلف (2)

وتؤكد الروايات التاريخية ان الخليفة الرشيد قد امر بوضع مقترحا ت " ابي يوسف " حول هذا الموضوع حيز التنفيذ مباشرة بعد تقديمها مما يبين حدة المشكلة واثرها على المجتمع العباسي (3) .

---

(1)ــ تسمى الاقليات المسيحية واليهودية في الدولة الاسلامية وفي التشريع الاسلامي باهل الذمة او اهل الكتاب " واطلق عليهم هذا الاسم لان لهم عهد وذمة في رقاب المسلمين يدافعون عنهم ويحفظون لهم كرامتهم في دار الاسلام ، مقابل دفع هؤلاء الذميين " جزية " اي مقدارا من المال على كل رجل بالغ قادر على الدفع وهناك احكام وقوانين محددة يلتزم بها الذميون والمسلمون يتم بمقتضاها تحديد العلاقة بينهما انظر ،
القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية 82 ، وسورة البقرة ، آية 120 ، يحى القرشي ، الخراج ، ص 79 ـ 82 ، البلاذري فتوح ، ص 60 ، 130 و ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، جـ 4 ، 103 ـ 120 ، حسني حبشي ، اهل الذمة في الاسلام ، (عبارة عن ترجمة لعدة مقالات للمستشرق تيريتون التي كتبها في المجلة الشرقية الملكية في السنوات 1928 ، 1929 ، 1931) وجولد هير ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ، اهل الذمة ، جـ 3 ، ص 106 ـ 109 ، انو الرفاعي الاسلام في حضارته ونظمه ط 2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1402 هـ / 1982 م ، ص 256 ـ 264 .

(2)ــ راجع التفاصيل عند ابي يوسف ، الخراج ص 120 وما بعدها

(3) انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص 238 ـ 239 . و فليب حتي ، تاريخ سوريا ، جـ 2 ، ص 168 .

ومهما يكن من امر ذلك فان نشاط البرامكة في الميدان الاجتماعي لا يتكافئ مع حجم الروايات التي تطنب في ذكر دورهم وتمجد اعمالهم • ولعل مرد ذلك يرجع الى ما كان عليه هؤلاء الوزراء من المكانة العلمية والى الدور الذي قاموا به في المجال الثقافي

واظن ان اهم ماساعدهم على ذلك هو تحليهم برصيد هائل من العلم والثقافة يشهد لهم بذلك فطاحل الادب العربي وأئمة البلاغة من معاصريهم (1) ويبدو ان تحكمهم في اساليب الكتابة كان احدى اهم الادوات التي مكنتهم من الاستمرار في تمثيل الدور الهام في ادارة وسياسة الخلافة العباسيه •• فضلا عن انها وضعتهم في المقام الاول من بين الكتاب المترسلين من الذين صارت تروى رسائلهم في كتب الادب و البلاغة (2) •

ولم تثن الانشغالات السياسية عزم يحيى البرمكي عن تعليم ابنائه اساليب الكتابة (3) كما كان يوجه كتابه ويتفرغ لهم احيانا ليمدهم بتعليمات اساسية حول طرق الكتابة في دواوينه حتى كون منهم جهازا لا يشك في كفاءته الادارية (4) •

---

(1) ـ انظر ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، 58 ، ابن قتيبة ، العيون ، ج3 ، ص 30 ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 22ب

(2) ـ قال يحيى البرمكي ، (••• الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة وقدمها التسوية وجوارحها معرفة الفصول •••) ، الصولي ، ادب الكاتب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، بغداد ، القاهرة ، 1341هـ / 1922م ، ص 41 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ورقة 25ب

(3) ـ من نصائحه الى ابنه (••• يابني انتق من كل علم شيئا فانه من جهل شيئا عاداه وانا اكره ان تكون عدوا لشيء من الادب ••••) الجهشياري ، الوزراء ، ص 202 ـ 203 •

(4) ـ من اقوال يحيى البرمكي الى كتابه (••• اذا استطعتم ان تكون كتبكم كالتوقيعات اختصارا فافعلوا •••) ، الجهشياري ، الوزراء ص 201 •• ومنها ايضا (•• الناس يكتبون احسن ما يسمعون •••) ، انظر ابن عبد ربه ، العقد ج 1 ص 3 وابن قتيبة ، الامامة ، العيون ، ج 3 ، ص 130 ، وهناك نماذج عديدة صارت متداولة بين الكتاب والادب ، انظر ما اورده الجهشياري ، الوزراء ، ص 200 ـ 203 • وابن بدرون ، قصيدة ، ص 238 •• ، الاتليدي ، اعلام الناس 114 .

وحسبما تجمع لدي من روايات الأحظ ان " جعفر" قد كان اكثر شباب البرامكة نجاحا في امتلاك ناصية اللغة والادب العربي اهلته ان يكون النديم المفضل في دار الخلافة ومحط اعجاب ائمة البيان العربي ، حتى جرت اقواله مجرى الامثال ، واتفقت الروايات على انه من اشهر الكتاب المترسلين في تاريخ الخلافة العباسية (1) .

بيد ان " الفضل البرمكي " وان كان هو الآخر على جانب لا يستهان به من الثقافة ، الا انه لم يصل مبلغ ما وصل اليه ابوه " يحى " واخوه " جعفر " ومع ذلك فقد ذكرته المصادر الادبية باعجاب وروت عنه بعضا من اقواله (2) .

ومهما يكن من امر ما بلغه البرامكة من العلم والمعرفة ، فالرائج انهم ساهموا في ادخال العديد من الانماط الثقافية واحداث بعض التحويرات الهامة في اساليب المراسلات السلطانية ، كما يعزى اليهم فضل تطوير اسلوب " التوقيعات " في الادارة العباسية " (3) .

---

(1) ـ سئل جعفر ما البيان ؟ فقال (... ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ... ولا يستعين عليه بالفكرة والذي لا بد منه ان يكون سليما كمن التكلف بعيدا عن الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التأويل) ، تجد النص عند الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (ب ت) ج 1 ، ص 75 ، وابن قتيبة ، العيون ، ج 3 ، ص 173 .
ويلاحظ مما تجمع لدي من الروايات اشتراكها في الاعجاب بشخصية جعفر الادبية ويرجح ان يكون مصدر ذلك تأثر جعفر ببلاغة علي ابن ابي طالب وتتلمذ على يد القاضي " ابي يوسف " الذي اشرت اليه سابقا ، انظر ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 4 ، ص 325 ـ 326 . ، الصولي ، الاوراق ، ص 206 ـ 207 ، ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤنسة ، ص 100 ، الجهشياري ، الوزراء ص 204 ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج 2 ، ص 123 ـ 128 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ، 65 ب .

(2) ـ تشيد اغلب الروايات التي تتحدث عن اقوال " الفضل البرمكي " بسيطرة طابع " الراي " ومشاورة اهله ، انظر ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص 1 ، مسكويه ، (ابو علي احمد بن محمد) ، الحكمة الخالدة ، تحقيق بدوي عبد الرحمن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1373هـ / 1972م ، ص 149 ، - احمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، القاهرة 1356هـ / 1937م ، ج 3 ، ص 182 ، نقلا عن اخبار المنظوم والمنثور ، ج 12 ، ص 267 ،

(3) ـ التوقيعات ، تعني ما يكتب اسفل او على ظهر الورقة من اوامر واحكام بعد قراءات الطلبات والشكاوي من طرف المسؤولين ، وهي عادة اصبحت شائعة في اساليب الادارة الحديثة ، انظر ، الجاحظ ، البيان ، ج 1 ، ص 76 ـ 77 ، الصولي ، ادب الكاتب ، ص 40 ، 134 ، ابن قتيبة ، ادب الكاتب ، ط 4 ، مطبعة السعادة السعادة ، مصر ، 1382هـ / 1963 ، ص 15 .

ومن الطبيعي ان تكون ثقافة البرامكة الواسعة وسلطانهم الكبير اهم الدوافع الى تشجيعهم العلوم والاداب ، وبغض النظر عن الابعاد التي وصلت اليها مساعيهم (1) فانهم قد مثلوا ادوارا هامة في الحياة الفكرية في عهد الخليفة هرون الرشيد وياتي في مقدمة هذا الدور اشراف " يحى البرمكي " على مناظرة مجالس اهل الكلام (2) التي كانت تعقد باسمه وبحضور اغلب مثقفي ذلك العصر وخاصة كبار العلماء في هذا اللون من المعرفة (3)

ويروى ان " يحى البرمكي " كثيرا ما كان يكلف " ابا محمد هشام بن الحكم " احداق طاب المتكلمين الشيعة ليدير مجالسه (4)

---

(1) - انظــــر ما سياتــــي

(2) - يقصد بهم عادة - الفلاسفة - والفلسفة في تاريخ الفكر الاسلامي تتصل نشاتها بفكرة " الحرية والاختيار " ، وقد تطورت مع تطور المجتمع الاسلامي حتى تكونت فرق ومدارس فلسفية ميزت الفكر العربي الاسلامي بمميزات خاصة ، والمؤكد ان هذا الفكر قد نال اهتماما كبيرا من طرف مفكرين قدماء ومحدثين ، انظر مثلا ، الشهرستاني (ابو الفتح محمد) ، الملل والنحل ، ط 2 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1395هـ / 1975 ، ابن حزم (علي بن محمد) ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، القاهرة ، 1317هـ / 1899م ، البغدادي (عبد القاهر) الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، ط 4 ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، 1400هـ 1980م ، محمد عمارة ، المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1392ه 1972م صبحي الصالح ، النظم ، ص 150

(3) - منهم على سبيل المثال علي بن الهيثم احد ائمة المذهب الشيعي ، وابو مالك الحضرى ، الخارجي المذهب ومحمد الهذيل العلاف ، شيخ البصريين وامام مذهب المعتزلة . انظر المسعودي ، مروج ، ج 3 ص379 - 381 . ابن النديم ، الفهرست ، ص 224 ،

(4) - هشام بن الحكم الشيباني (بالولاء) ولد بالكوفة لا يعرف تاريخ ميلاده . نشأ في مدينة واسط " وتعلم فيها ثم رحل الى بغداد حيث التزم بالاشراف على مجالس يحى البرمكي " الكلامية وقد نال منه الحظ كبيرا مما اهله ان يكون من كبار مؤلفي عصره ومن مؤلفاته كتاب الامامة ، (القدر) ، (كتاب الرد على المعتزلة في طلحة والزبير) وغيرها ولذلك يعد (هشام) من كبار منظري فرقة الامامية ومن اهم شيوخها انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص 224 ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 380 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 8 ص 85

ولم يقتصر نشاط البرامكة على هذا اللون من المعرفة فحسب بل شجعـــوا ايضا مجالس الاداب واللغة ،حيث تشير الروايات الى ان " يحى البرمكي "كان يستدعـــي من الحين لآخر كبار النحويين وقتئذ من امثال " الكسائي " (1) ام النحو العربي، " سيبويه " (2) للمناظرة في مجالسه وقد روت بعض المصادر الادبية نماذجا منـــــها • (3)

(1)— هو علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي (بالولاء) ،اشتهر بتمكنه في اللغة العربية وقواعدها ،حتى عد امام النحو والقراءة • ويرى انه اكتسب ذلك من خلال تنقله الكثير في بوادي العرب قبل اختياره بغداد مقرا دائما •• اتصل بالخلفاء العباسيين ومنهم " المهدي " الذي عينه معلما لابنه " الرشيد " ثم عينـــه هذا الاخير معلما لولديه " الامين والمأمون " ، وكان الرشيد يحضر بعض مناظراته النحوية لاعجابه بفصاحته وحسن بيانه •• وقد توفي بالري سنة 189هـ / 805م وكان صحبة الرشيد الذي قال عنه بعد ان دفن (•••اليوم دفنت العربية والفقه بالري) • وقد ترك الكسائي عدة تآليف في ميدان تخصصه منها —كتاب " القراءات و " الحروف " و " المتشابه في القرآن " و " المصادر " وغيرها • انظر، ابن خلكان ، وفيات ،جـ 1 ص 330، البغدادي ،تاريخ ،جـ 11، ص403 ابن كثير ،البداية ، جـ 10 ، ص 201— 202، الذهبي ، العبر ،جـ 4 ص302، و اليافعي ، مراة ،جـ 1 ص 421— 422•

(2)— سيبويه (عمر ابن عثمان بن قنبر الحارثي — بالولاء —) ،148— 180هـ / 765 — 796م ، ولد باحد قرب مدينة " سيراز " سكن " البصرة " ولازم كبار ائمتها ثم رحل الى " بغداد " وصار من اهم اعضاء مجالس الرشيد ووزراءه البرامكة ، اشتهر بمناظرته للكسائي ويعد سيبويه من الرواد في كتابة قواعد النحو وتيسيره للدارسين ،انظر ، ابن خلكان ، وفيات ،جـ 1 ص385، ابن كثير ، البداية ، جـ 10 ، ص176، الزركلي ،الاعلام ، ج 5 ص81•

(3)— انظر ،ابن النديم ،الفهرست ، ص224

ولم يكن دور " يحى البرمكي " في هذه المجالس يقتصر على التنظيم او الاستماع بل كان من اهم من ياخذون بتسيير المناقشات الى طريقها الجاد وكانت لـــه قضايا يدافع عنها ويفرضها كلما سنحت الفرصة لذلك (1) .

ولدي ما يؤكد مناصرة "يحى البرمكي " لمذهب " المعتزلة (+) وحماية دعاته في الخلافة العباسية زمن نفوذهم لدرجة انه تمكن من اقناع الرشيد من حسن الاستماع اليهم وتعليم ابنائه " الامين والمامون " ذالك (2) .

ومع تطور المجتمع العباسي وتنوع حاجته الى الثقافة والمعرفة كان علم الطب من اهم العلوم التي نالت الاهتمام الكبير من طرف الخلفاء والوزراء على السواء . وقـــد قام البرامكة بدور مشرف في تشجيع هذا الميدان حيث كان لهم "بير بيمرستان " (++) خاص بهم يشرف عليه اطباء اختصاصيون ، تجاوزت مهمتهم حدود معالجة المرضـــــى

---

(1) ـ المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 246 ،

(+) ـ المعتزلة ـ اسم لفرقة دينية فلسفية ، تزعمت الانفصال لاعن مذهب اهل السنـــة ونقطة ابتدائه امرها كانت حول فكرة الاختيار وحرية الارادة الانسانية فكانت بذلك اكثر الفرق الحاحا على استعمال العقل على خلاف مذهب اهل السنة ، ومن للوجهة السياسية صارت فرقة المعتزلة تمثل المعارضة ضد الخلافة الاموية ومن بعدها الخلافة العباسية لتبنيها مذهب اهل السنة . انظر ، محمد عمارة ، المعتزلة ، ص 13 ـ 105 ولنفس الكاتب ، التراث في ضوء العقل ، ط 1 ، دار الوحدة ، بيروت ، 1400 هـ / 1980 م ، ص 135 ـ 136 . وللمزيد عن هذا الموضوع ، راجع قائمة الابحاث حول المعتزلة التي قام بها المستشرق " كارلو الفانسو " التي ترجمها عبد الرحمن بدوي ونشرها ضمن مجموعة عنوانها ، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ط 4 ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1400 هـ / 9 1980 م ، ص 173 ـ 217 .

(2) ـ انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 223 ، الكتبي ، الوافي ، ج 3 ، ص 219 .

(++) ـ البيمارستان ـ يقصد به المستشفى .

الى الاعتناء بالمصادر الطبية ترجمة وتفسيرا (1)

وعلى نحو ماانتقى البرامكة المغنين والجواري على نحو ما يلاحظ عنهم في اختيار العلماء والادباء ، ويحتل الكاتب الشهير وقت ذاك وهو " محمد بن الليث (+) الصف الاول في ديوان كتابهم بتأليفه كتابا خاصا في الادب العربي ـ لا يعرف عنوانه تقول الروايات انه اهداه لـ "يحي البرمكي" (2) .

ومن بين المنقطعين الى البرامكة " جابر بن حيان " احد كبار الشيعة المهتمين بشؤون الفلسفة والتأليف في فروعها (3) .

ويرجح ان يكون لـ " يحي البرمكي " دور في تشجيع اولى مراحل ترجمة الكتب "الأرسطوطالية " الى اللغة العربية (4) .

---

(1) ـ يروى ان يحي البرمكي قد طلب من احد كبار اطباء الهند تفسير كتابهم المسمى سسرد " واختصاره ليقوم مقام الدليل الطبي ويكون في متناول كل مريض بالبيمارستان انظر ، الجاحظ ، البيان ، جـ 1 ص67 ، ابن النديم ، الفهرست ، ص305 ، 360

(+) ـ محمد بن الليث الخطيب ، يكنى بـ " ابا الربيع " ، من اشهر تآليفه كتاب " الخط والقلم ، كتاب عظة هرون ، وغيرهما ، انظر ، ابن النديم ، نفس المصدر ، ص134 ،

(2) ـ ابن النديم ، الفهرست ، ص134 .

(3) ـ عن تفاصيل تآليفه راجع ، ابن النديم الفهرست ، ص420 وما بعدها .

(4) ـ نسبة الى ارسطوطاليس ، الفيلسوف اليوناني المشهور الذي نالت مؤلفاته اهتماما كبيرا من قبل المسلمين عند قيامهم بحركة الترجمة الى اللغة العربية ، واخبار هذا الفيلسوف كثيرة لا أرى مجالا لسردها ، هنا انظر ،

- R. WALZER, EIe ,ART (Aristo),T1.PP651- 654 .

وبالنظر الى ما تجمع لدي من الروايات يمكن القول ان لـ "يحى البرمكي" الدور الفعال في تشجيع الحركة الفكرية في الخلافة العباسية زمن الرشيد وهذا بالقياس لما يروى عن بقية البرامكة (1) ٠

ومع ذلك فلا يمكن نسبة كل المشاريع الفكرية اليه لأن الرجل اعتاد مشاركة ابنائه في كل مشاريعه ، بيد انه من الصعب قبول الرواية التي تزعم ان " جعفر البرمكي " كان يدفع لكل مترجم وزن الكتاب المترجم ذهبا (2) ، لأن هذه الفكرة تنسب الى العديد من ملوك وامراء العصور الوسطى ٠

ومهما يكن فالرائع ان البرامكة لم يشجعوا الونا واحدا من الوان المعرفة كما انهم لم يقتصروا على الاستعانة بالكتاب والادباء الفرس كما هو الشائع (3) ذلك انهم كانوا لا يترددون في الاستفادة من كفاءة وخبرة كل مثقفي عصرهم

---

(1)ـ ينسب الى " محمد بن خالد البرمكي " تكليفه لبعض المترجمين بتعريب وتفسير كتاب " زيج بطليموس " الذي لا يعرف عنه غير اهتمام الفرس به وترجمته الى لغتهم من اليونانية القديمة ؛ ، انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص305 ٠

(2)ـ جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص200 ٠

(3)ـ ادخل البرامكة العناصر العربية تمويها للمشاريع الشعوبية التي كانوا يعملون على احيائها في الحضارة العربية الاسلامية ، ومن بين العناصر العربية التي كانت تتعاون مع البرامكة قبل اكتشافهم لمخططهم الهدام ، الامام " الاصمعي " امام اللغة والادب ؛ ، وابو شبل العقيلي ، انظر ما سياتي ٠ ،

فلاصمعـــي مثلا ، رغم عروبته الصريحـــة وستنكـــاره لسياسة البرامكة فـــي المجـــال الاجتماعـــي والثقافـــي فيما بعد (1) قد كان على اتصـــال بهـــــم (2) ، وسجل عنهم الكثير من انماط حياتهم ونشاط مجالسهم ، تعبـــر في نظـــر بعض المؤرخين من اهم ما يمكـــن الاعتماد عليه في الحديث عنهم (3) .

وفضـــلا عن ذلك فقد تمتـــع البرامكـــة بحرية تامـــة في ارســـال من يرغبـــون في البعثات العلمية لدراســـة عادات الشعـــوب المجاورة وديانتها بهدف نقلها الى المجتمع العباسي المسلم فيمـــا بعد (4) .

وفـــي سبيل تحقيق ذلك عمل البرامكـــة على تنشيط وسيلتين هامتيـــن كان لهما الاثر في تطوير الثقافة في الدولـــة الاسلامية .

---

(1) ـ انظر الفصل القادم . ، البرامكة بين الشعوبية والزندقـــة .

(2) ـ اشاد الاصمعي بنشاط جعفر البرمكي في قضية ولاية العهد لصالح المأمون التي اشرت اليها سابقا . ، حيث قام يمدحه بقصيدة رائعة ، من بحر متقارب ، جاء في مطلعها ـ

أَضَـــافَ إِلَى بَيْعَةٍ بَيْعَـــةً فَقَامَ بِهَا جَعْفَرٌ وَحْـــدَهُ

بَنُو بَرْمَكٍ أَسَّسُوا مُلْكَـــهُ وَشَـــدَ وَالْوَرَاثَةِ عَقْـــدَهُ

انظـــر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 206

ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 67 ب

(3) ـ انظر القمـــي ، الكنى والالقاب ، ج 2 ، ص 32 ـ 35 .

ابن المعتز ، الطبقات ، ص 213 ـ 214

ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 127 ، 128

(4) ـ راجـــع ، ابن النديـــم ، الفهرســـت ، ص 409 .

فحتى عهدهم كانت الوسائل المستعملة في نسخ الكتب وتنقيح الترجمات تقتصر على صفائح الرقوق الجلدية ، فساهم البرامكة في ادخال صناعة الورق التى تعتبر مادة اولية للثقافة مما مكنهم من ايجاد الفرصة لدفع حركة التأليف والنشر وقتذاك (1) .

والى جانب ذلك ساهم البرامكة في تكوين المؤسسة العليا للثقافة المسماة في ذلك الوقت بـ " بيت الحكمة " ، ولئن كان يحيط بهذا المشروع الحضاري العام نوع من الغموض لقلة الاشارة اليه في المصادر المعتمد عليها الا ان المرجح ان تكون نواتها قد تأسست في عهد البرامكة ثم تطورت بشكل واضح بعد ذلك (2) .

ويبدو ان هذا الانفتاح الثقافي الذى مارسته هذه الاسرة قد سجّل ارتياحا كبيرا لدى الطبقة المستنيرة وقتئذ فعملت على تعزيز الاتصال بهم والدخول في خدمتهم .

---

(1) ـ من المتفق عليه ان هذه الوسيلة الحضارية قد عرفت تطورا هاما لما قدمته من خدمات للمجتمع الاسلامي المتعطش لاقتناء الكتب ودراستها ، حتى ان مهنة الوراقة التي تشبه مهنة " دور الطباعة " في العصر الحالي قد نمت في ذلك العهد ، انظر ،
ابن خلدون ، المقدمة ، ص 422 .
القلقشندي صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 486
هملتون جب ، دراسات ، ص 269
موريس لومبار ، الاسلام ، 283 ـ 284 .

(2) ـ يدل على ذلك ماترد ده اغلب الروايات عندما تتحدث عن نباهة كاتب او نشاط مؤلف او مترجم في صف البرامكة ، انه كان ، "كاتبا في بيت الحكمة" وحول هذا الموضوع الطريف في الحياة الفكرية للخلافة العباسية ، انظر ،
احمد امين ، ضحى الاسلام ، ط8 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1392هـ 1972م ، ج 2 ، ص 61 .

ويأتي في طليعة هؤلاء طبقة الشعراء التي التفت حول البرامكة افرادا وجماعات تحدوهم في ذلك المصلحة المشتركة .
فالبرامكة لم يبخلوا على هؤلاء بكرمهم المعهود (1) ، مقابل ما كان الشعراء يذيعونه مما هو دعاية تعزز استمرار نفوذهم وتبرئ ساحتهم .
ولما كان الشعر وقتذاك هو السلاح الاعلامي ذو الفعالية القوية في التأثير على الرأي العام ، فقد عمد البرامكة الى جعله في خدمتهم طيلة فترة نفوذهم (2) .

وتكاد تجمع الروايات على ان هذه الاسرة قد تمكنت من استمالة العديد من كبار شعراء العصر ، ويأتي في مقدمتهم الشاعر " اشجع السلمي " الذي كان يعد من بين فحول شعراء عصره ، وقد انقطع البرامكة يمدحهم ، وكاد يختص " جعفر " منهم خاصة لاسرافه في الاحسان اليه وتقريبه اليه حتى انزله منزلة الأخ على حد تعبير بعض الروايات (3) .

---

(1) — شكا احد شعراء الخليفة الرشيد — مروان بن ابي حفصة — لأحد معارفه من ان البرامكة اعطوا لشاعرهم — ابان بن لاحق — من اجل قصيدة واحدة ، ما يعادل حصيلة ما اخذه هو من الخليفة طيلة المدة التي قضاها في مدحه . ، انظر ، الصولي ، الاوراق ، ص 6

(2) — قبل ان يقدم البرامكة على تكوين مجلس دائم للشعراء الموالين لهم كانوا قد كلفوا احد الرواة العرب — غير المعروفين — بالتأليف في هذا الموضوع ، فكتب لهم كتابا خاصا ، اطلق عليه عنوانا ، "كتاب الشعر والشعراء" . ، انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 53 .

(3) — توفي هذا الشاعر عام 195 هـ / 810 م ، وقد نال تقديرا كبيرا من طرف معاصريه لشهرة شاعريته الوسعة . ، وقد عد من الرواد الاوائل في الشعر العربي ، حول تفاصيل اخباره . ، راجع ، ابن المعتز ، طبقات ، ص 250 — 253 ، الاصبهاني ، الاغاني ، جـ 18 ، ص 212 — 252 .

وبغض النظر عن اغراض شعره وميوله في قصائده الكثيرة (1) فان أهم ما يعنيني به في هذا المجال هو ما يتعلق بموضوع البرامكة ونظرته اليهم ، حتى تؤخذ عنه صورة لما يريد هذا الشاعر ايصاله الى المجتمع العباسي عنهم . ، حيث قال فيهم قصيدة من بحر " السريع ، جاء فيها ،

وَكُلّ بَذْلِ زَكَتْ مَنَاسِبُهُ فَهُوَ الى البَرْمَكِي مَنْسُوبُ (2)

وفي قصيدة أخرى يفيد ان ما خلق الله " جعفر البرمكي " الا للكرم ، حين مدحه بقصيدة من مجزوء الرمل ، ورد فيها البيتان التاليان ـ

خَلَقَ اللّهُ يَحْيَى لِلحِجَا والمَكْرُمَاتِ

وَسَلِ اللّهُ يَدَيهِ بالمَنَايَا والصِّلاتِ (3)

وفي اخرى في نفس الغرض من بحر السريع ، يقول

يَافَاخِراً بِالجُودِ مُسْتَعْلِيًا بِجَعْفَرٍ يَفْتَخِرُ الجُودُ (4)

---

(1) ـ تناول هذا الموضوع أديبان معاصران ، د. احمد كمال زكي ، الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار المعارف ، مصر ، 1391هـ / 1971 ص 418 ـ 419 ، اعتمد دا على كتاب الاوراق للصولي . ومصطفى الشكعة ، الشعر والشعراء في العصر العباسي ط 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1399هـ / 1971م ، 404 ، اعتما دا على كتاب الاغاني للاصبهاني .

(2) ـ القصيدة في 16 بيتا تجدها كاملة عند الصولي ، الأوراق ص 93 ،

(3) ـ الصولي ، الاوراق ص 70

(4) ـ الصولي ، الاوراق ، ص 96

ويكاد يقتصر هذا الشاعر على مدح " جعفر البرمكي " والاشادة بفضله على الخلافة العباسية رغم ما في مدائحه من مبالغة واضحة • فحين عاد " جعفر " من اول خروج له الى بلاد الشام للقضاء على الفتنة التي استفحلت بها (1) ، استقبله الشاعر استقباله لفاتح عظيم ، حيث يقول في قصيدة طويلة من بحر الطويل ،

بِهِ الْتَأَمَ الصدعُ الشّامِيُّ والْتَقَتْ قَبَائِلُ قَدْ كَانَتْ شتَاتًا امُورُهَا

رَأَيْتُ ابنَ يَحْيَى فِي الامُورِ اذَا الْتَوَتْ يُشِيرُ عَلَى الجَلِيِّ ولَا يَسْتَشِيرُهَا

ويبالغ " اشجع " في مدح " يحى البرمكي " حين يستهين بالموت مبتهجا بشفاء سيده من مرض ألم به • ، حين قال من بحر الوافر —

إِذَا مَا المَوْتُ أَخْطَاهُ فَلَسْنَا نُبَالِي حَيْثُ غَدَا وَرَاحَا (3)

ولم يكتف الشاعر " اشجع " بذكر محاسن البرامكة بل صار يدافع حتى عن اخطائهم التي كانوا يرتكبونها في حق الدولة • ، ومن ذلك ما جاء في مطلع احدى قصائده من بحر الوفر ، البيتان التاليان —

نَعَمْ يَدُ بَيْضَاءُ اسْلَفْتَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جَزَتْ بِهَا الفَرْقَدَا

قَدْ اكْثَرَ النَّاسُ اقَاوِيلَهُمْ وَفَلْسَفُوا فِيكُونِي أَحْمَــدَ (4)

---

(1) — انظر الفصل الرابع : دور اسرة البرامكة في المجال السياسي ،

(2) — الصولي ، الاوراق ، ص 79 • ، وكان هذا الشاعر قد مدحه بقصيدة اخرى في نفس الموضوع جاء في مطلعها من بحر " السريع "

كَانَتْ طُغَاةُ الشَّامِ قَدْ اكْثَرَتْ إِنْتَاجَهَا الحَرْبَ وَالْقَاحَهَا

مُمْطِلَةً فِي غَيِّهَا حِقْبَــةً غَامِسَةً فِي المَوْتِ ارْمَاحَهَا

وبين بعد ذلك ان " لجعفر البركي " الفضل الكبير في ايقاف هذه الفتنة ولذلك كان جديرا بالمدح والاشادة باعماله • ، انظر ، القصيد كاملة عند الازدي ، تاريخ ، ص 286

(3) الصولي ، الاوراق ، ص 101 — 102

(4) — واحمد هذا هو " احمد بن يزيد " والي ارمينية من قبل " يحى البرمكي " ، الذي رفضه سكان هذه المدينة واليا عليهم • ، ورجموه بالحجارة لسوء سياسته فتدخل " يحى البرمكي " لانقاذه • انظر الازدي ، تاريخ ، 295 •

ويحتل الشاعر " الرقاشي " مكانة بارزة ضمن شعراء البرامكة لاعجابهم به ، وباسلوبه وحسن مدائحه حتى انهم فرضوا على ابنائهم قراءة وحفظ بعض قصائده في مدحهم (1) .

والظاهر ان الشاعر قد كرس جهده لهم ونصب نفسه بوقا لمدحهم في الكثير من المناسبات .. ، بيد انه من الصعب تصديق الرواية التي تفيد بانه وجد له ديوان خاص بمدحهم بلغ تعداد ابياته الف بيت عدت آية في البلاغة والبيان (2) .

ومن القصائد التي يمدح فيها اسرة البرامكة ، قوله في مطلع احداهن من مجزوء البسيط " ــ

قَالَتْ بَنِي بَرْمَكٍ وَقَدْ صَدَقَتْ   انَّ قَرِيحَ السَّمَاءِ مُوسَاهَا
خَالِدُهَا فِي الوَغَى إِذَا اسْتَعَرَتْ   وَفِي التُّقَى وَالعَفَافِ يَحْيَاهَا (3)

وفي قصيدة له يمدح فيها موسى بن يحيى البرمكي " ، يقول ــ

كَتَبَتْ هِنْدُ مَقَامُكَ عَنَّا   لَكَ حَوْلٌ مُذْ انْتَعَنَا مُقِيمُ
قُلْتُ لاَ اسْتَطِيعُ تَرْكَ   بِلاَدٍ حَلَّ فِيهَا مُوسَى بنُ يَحْيَى الكَرِيمُ (4)

---

(1) ــ الرقاشي . هو الفضل بن عبد الصمد ، من اهل البصرة ، مركز الاشعاع الفكري وقتئذ . ، وسمي بالرقاشي ، " لمولاته رقاش بن ربيعة " . ، ويعد هذا الشاعر من فحول شعراء عصره . ، توفي في حدود عام 200هـ/ 815م ، انظر الكتبي ، الوافي . ج 3 ، ص 183

(2) ــ جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص 170 ــ 171

(3) ــ ابن المعتز ، طبقات ، ص 435

(4) ــ القصيدة من بحر " الخفيف " ، ل أوردها . ، ابن المعتز ، طبقات ، ص 436 .

ومن الشعراء الذين كانوا يترددون على مجالس البرامكة ، الشاعر " مروان بن ابي حفصة "(1) الذي ابتز منهم مبلغا قدره " 7000 الف درهم " مقابل بعض الابيات التي قالها في مدحهم في مناسبات مختلفة . ، ومن ذلك لاميته الشهيرة التي بلغت آية في المدح ., جاء في مطلعهـــا " من بحر الطويل " _

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الجُـــــوَدَ مِن لَدُن آدَمٍ   تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ فِي رَاحَةِ الفَضْلِ

إِذَا مَا أمُّ طِفلٍ راعَهَا جُوعُ طِفلِهَـــا   دَعَتْهُ بِاسْمِ الفَضْلِ فَاعْتَصَمَ الطِّفْلُ

إِذَا مَا أَبُو العَبَّاسِ رَاحَتْ سَمَاؤُهُ فَيَـــا   لَكَ مِـــنْ هَطْـــلٍ وَيَا لَـــكَ مِن وَبْلِ (2)

ويكاد الشاعر (مروان " يسجل تاريخا مجيدا للبرامكة من خلال مدائحه التي كانت اغلب مشاريعهم بالذكر ترويجا لسياستهم وامعانا في نشرها بين الناس .ز فعند نجاح الفضل البرمكي في تكوين جيش العباسية وجد في قريحة هذا الشاعر خير سند يعتمد عليه فـي ابلاغ الراي العام ، وذلك حين مدحه ببائيته المشهورة اخترنا منها الابيات التالية _

---

(1)_ مروان بن ابي حفصة ، (105_ 182هـ/723_ 798م) اختص بمدح الخلفاء العباسيين ، وكبار رجال دولتهم نال من خلال هذا العمل ثروة طائلة ، اخباره ليس مجالنا هنا .ز انظر ، المرزباني ، (ابوعبد الله محمد بن عمران) معجم الشعراء ، تحقيق ف . كرنكو مكتبة القدسي " القاهرة 1354هـ / 1935 ص396_ 397 . ابن خلكان ، وفيات ، ج 2 " ص 89 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 53ا _ 54ب

(2)_ الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص258 ، الازدي ، تاريخ ، ص281

مَا الفَضْلُ اِلَّا شِهَابٌ لَا اُفُولَ لَهُ ... عِنْدَ الحُرُوبِ اِذَا مَا تَأْفُلُ الشُّهُبُ
حَامٍ عَلَى مُلْكِ قَوْمٍ عَزَّ سَهْمُهُمُ ... مِنَ الوِرَاثَةِ فِي اَيْدِيهِمْ سَبَبُ
كَتَائِبُ لِبَنِي العَبَّاسِ قَدْ عُرِفَتْ ... مَا اَلَّفَ الفَضْلُ مِنْهَا العَجَمُ وَالعَرَبُ (1)

ويروى ان الشاعر " مروان " قد ترك مدح الخليفة الرشيد ليتفرغ الى مدح الفضل البرمكي لكثرة ماكان يعطيه من اموال على كل قصيدة يمدحه فيها (2) .

ولذلك عدّت مدائحه في الفضل بانّها بلغت قمة معاني المدح حيث جعلت هذا البرمكي يفوق العرب كرما (3) .

ويبدو ان الشاعر " سلم الخاسر " (4) ، لم يكن كبقية شعراء عصره التصاقا بمجالس البرامكة ، ومع ذلك اغروه بالمنح حيث نجحت في ولتفي مدحهم (5)

---

(1) - القصيدة من بحر " البسيط " ، تجدها كاملة عند : الطبري ، تاريخ ، ج 8 ص 258 .

(2) - تقول الرواية ان الشاعر قد نال من " الفضل " مكافأة قدرها 700 درهم " ، على قصيدة مدح قالها في مناسبة جمعته به ، انظر الطبري ، تاريخ ج 8 ص 258

(3) - منها قصيدة من بحر " الطويل " يقول فيها ،

تَخَيَّرْتُ لِلمَدْحِ ابنَ يَحْيَى بنَ خَالِدٍ ... فَحَسْبِي وَلَمْ اَظْلِمْ بِاَنْ اَتَخَيَّرَا
لَهُ عَادَةٌ اَنْ يَبْسُطَ العَدْلَ وَالنَّدَى ... لِمَنْ سَاسَ مِنْ قَحْطَانَ اَوْ مَنْ تَنَزَّرَا

تجد القصيدة كاملة عند الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 258 .

(4) - يروى انه اكثر الشعراء نجاحا وبراءة مما ينسب لشعراء البرامكة من مجون ولهو رغم ان بعض الروايات تصر على اتهامه كغيره بالاستهتار بمقومات الاخلاق وتروي على ان اصل تلقيبه بالخاسر ونسبة الى بيعه اهم ما يكسب " كتاب القرآن " ليشتري بثمنه كتاب شعر ، اتصل بالبرامكة بعد ان مدح الخلفاء العباسيين مدة طويلة (163هـ 186هـ / 779 - 802م) وحول تفاصيل هذا الشاعر وانتاجه ابن المعتز ، طبقات ص 99 ومابعدها الاصبهاني ، الاغاني ج 19 ، ص 261 - 288 . ابن كثير البداية ، ج 10 ، ص 180 ، ويقول ابن النديم في كتاب الفهرست ص 162 ، (ان للشاعر " سلم الخاسر " ديوانا يقع في 150 ورقة وقد تمكن احد المستشرقين من جمع 60 مقطوعة تضم 289 بيتا)
انظر ، غوستاف فون غرنباوم ، شعراء عباسيون ، ترجمة وتحقيق ، محمد يوسف نجم منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1959م ، ص 19

(5) - اظن ان اول قصيدة مدح قالها في البرامكة ، هي التي يشيد فيها بسيطرتهم على ادارة الخلافة العباسية ، حين يقول من بحر " الوافر "

اِذَا مَا البَرْمَكِيُّ غَدَا ابْنَ عَشْرٍ ... فَهِمَّتُهُ اَمِيرٌ اَوْ وَزِيرُ

انظر ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ، 54 ب

حتى وصل به الحال الى وضعهم في المقام الاول من حيث العطاء وبذل الاموال حيث قال في قصيدة من بحر " الوفر " جاء في مطلعها —

وَكَيفَ تَخَافُ مِــنْ بُؤسٍ بِدَارٍ   تَكَنَّفَهَا البَرامِكَـــةُ البُحُــورُ

وَقَومٌ مِنهُم الفَضلُ بْـــنُ يَحيَى   نَفِيرٌ مَا يُوَازِيــــهِ نَفِيــــرُ (1)

ولمعت شاعرية "إبان اللاحقي " الفارسي الاصل باتصاله بالبرامكة حيث افنى حياته في خدمتهم والسهر على مطالبهم، ولئن اشتهر الرجل كمترجم او منظم لتراث الفرس القديم ، الا انه تكسب بالشعر ايضا حين احس بميل اسياده البرامكة الى المديـــح افتخارا امام اعيان القوم ووجهائهم فاندفع في تنظيم قصائد باللغة الاسلوب يتعذر وجودها لدى غيره من الشعراء (2) ، ومنها القصيدة التي يجعل فيها " ابان " هذه الاسرة الفارسية الاصل في المقام الاول بدل الخلفاء حين يقول —

أَكْرِمْ بِبَرْمَكَــــكِ وَالِدًا   وَمِنَ البَنِينَ بِمَا نَجَـــلْ

لَا نَبْتَغِي بَدَلًا بِهِـــمْ   أَبَدًا وَأَيْنَ البَـــدَلُ (3)

---

(1) — تجد القصيدة كاملة عند الطبري ، تاريخ جـ 8 ، ص58 21 ، و ، ابن الوكيل احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة ، 54ب

(2) — انظر الصولي ، الاوراق ، ص13 — 19

(3) — القصيدة من "بحر مجزوء الكامل " تجدها كاملة عند الصولي ، الاوراق ، ص13

وحظي " الفضل البرمكي " بهذا الشاعر الذي اتحف حفل استقباله من طرف الرشيد بعد استدراج العلوي " يحى ابن عبد الله " (1) ، فقال قصيدة من بحر الطويل ، يخاطب " الخليفة " ويمدح " الفضل " —

أَتَاكَ بِيَحْيَى الفَضْـــــلُ سِلْماً يَقُودُهُ   مقِرًا وَلولاَ يُمْنُ جَدِّكَ مَا اَقَـــرّ

لَئِنْ كَانَ يَومُ الفَضْـــــلِ شَقْرَا   لاكْرِمْ بيَومٍ مِنْـــهُ افْنَى بِهِ الخَـــزَرَ (2)

والظاهر ان اخلاص الشاعر غير المشكوك فيه لهذه الاسرة التي عاش في جوها وتحت رعايتها الى جانب ما قدمه من ترجمات ومدائح ، قد كانت سببا في ارتياح البرامكة له فعينوه مديرا لشؤون بقية الشعراء ، يقيّم قصائدهم ويوزع عليهم المكافآت والجوائز تبعا لجودة مدائحهم ودرجة بلاغتهم وحسن ايقاعها في نفسية اسياده البرامكـــة (3).

---

(1) — انظر الفصل الرابع من هذا البـــــحث

(2) — الخزر ، هم سكان المناطق الشرقية على حدود ما وراء النهر ، كانوا دائمي الصراع مع الفضل بن يحى وغيره من الامراء خلال حكم العديد من الخلفاء العباسيين ، والقصيدة طويلة تجدها كاملة عند الصولي ، الاوراق ، ص 19 ، تحتوي على ثمانية ابيات ، وقصيدة اخرى في نفس الموضوع ، ص 20 ، تحتوي على خمسة ابيات ، واخرى في نفس المناسبة ص 20 — 21 ، تتضمن 18 بيتا

(3) انظر ابن عبد ربه ، العقـــــد ، ج 4 ، ص 203 — 204 .

ابن المعتز ، طبقـــــات ، ص 240

الجهشياري ، الوزراء ص 211 .

وفكرة تعيين شاعر موالي مديرا لبقية الشعراء فكرة جديدة في الحياة الثقافية الاسلامية ،وكان من المنطق ان تنسب مثل هذه الاعمال الحضارية الى الخليفة الرشيد لأن وزراءه البرامكة كانوا يتصرفون باسمه لكن طموح هذه الاسرة ورغبتها في المجد لم يمكنا ها من الوقوف عند حدودها (1) .

والواضح ان فكرة البرامكة هذه لم يكن القصد منها وضع نواة لتكوين اتحاد للشعراء من اجل تطوير هذا الفن كما يتبادر الى الذهن ،ويدل على ذلك اقتصارهم على من توسموا فيهم الولاء التام لهم ،فضلا عن تكليف شعرائهم وتشجيعهم على جانب واحد من اغراض الشعر ،وهو المدح ،الذي صار الاتجاه الشعري المفضل وقت ذلك فذلك انه بقدر ما زادت اعطيات البرامكة لهذا الغرض بقدر ما جادت قرائح الشعراء فيه وتقاطروا على قصور البرامكة وتزاحموا امام ابوابهم ،ومن هؤلاء الشاعر "محمد بن مناذر" (2) المعروف في المصادر الادبية باسم " شاعر البرامكة " فقد مدحهم برائيته الشعيرة التي

---

(1) ـ سيكون لطموحهم هذا اعراض خطيرة على مستقبل تطور الحياة الاجتماعية والثقافية للخلافة العباسية ..انظر ،ما سياتي

(2) ـ يكنى ايضا بـ " ابي جعفر " وهو من كبار شعراء عصره تتلمذ على يده كثير من الشعراء العباسيين ، انظر تفاصيل اخباره عند ،

الاصبهاني ، الاغاني ، ج 18، ص 169 ـ 211

جورجي زيدان ، تاريخ الادب العربي ،ج 2 ، ص 307

تطري صفات البرامكـــــــة وتطنب في الحديث عن جودهم وكرمهـــــم (1)

ورغم شهرة الشاعر " ابي نواس " (2) الا ان حظه من الاتصال باســـرة البرامكة يبدو قليلا ، وهي ظاهرة نادرا ما كانت تحدث في عهدهم ، اذ المعروف عنهم تخطف ايـــــديهم كل من توسموا فيه الولاء الا مع الشاعر " ابي نواس " .

والظاهر ان المنافسة القائمة وقتذاك بين الشعراء كانت احدى اهم اسبـاب ابتعاد الشاعر ابي نواس عن مجالس البرامكة ، هذا الى جانب ما كان بينه وبين الشاعـــر

---

(1) ـ يقول فيهم ، قصيدة من بحر " الطويل " جاء في مطلعها ـ

أَتَنا بَنُو الامُلاكِ مِن آلِ بَرْمَـكٍ فَيَا طِيبَ اَخْبارٍ وَيَا حُسْنَ مَنْـظَرِ

تجد القصيدة كاملةً عند كل من الاصبهاني ، الاغاني ، جـ 18 ، ص 201 ، و ابن خلكان ، وفيات ، جـ 6 ص 224 .

(2) ـ هو الحسن بن هاني ولد بالاهواز سنة 130 هـ / 747 م ، علم من اعلام فحول الشعر في العصر العباسي الاول ، تسيد المصادر الادبية والدراسات الحديثة بشاعريته الخصبة ، لذلك يوصف باته اهم من يمثل عصره بدقة واخباره كثيرة وقد اشتهر بالخمريات ، وصار له ديوان شعر ضخم طبع عدة مرات انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص 182

ابن عساكر ، تاريخ ، جـ 4 ، ص 252 ومابعدها و ، عمر فاروق ، ابو نواس ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، 1351 هـ / 1933 م هنا وهناك و

- BROKHELMEN , EIE ,ART, (Abou-Nouasse),t1,pp415-416.

ابان " مـــــــد ير مجالس البرامكـة الشعرية من معارك هجاء عنيفه تسببت في انقطاعــه عنهم فيما يبدو (1) ،

على ان هذا السبب وحده لا يجعل البرامكة يستغنون عن خدمات شاعر كبير مثل ابـــي نواس ،كما انهم كانوا غير عاجزين عن التوفيق بين الشاعرين والاحتفاظ بهما معا ولذلك يمكن القول ان قضية ابعاد هذا الشاعر عن بلاطهم لا تاخذ بـــعدا اعمق يتصل بمشاريع هذه الاسرة الخطيرة فقد اشتهر " ابونواس " في اوساط المجتمع البغدادي بدعوتـــه الصريحة الى المجون واللهو ،وقصائده الكثيرة توحي باسرافه الشديد في وصـــــــف المحرمات التي لا تتماشى مع مقوما ت المجتمع الاسلامي ،فضلا عن تهجمه الصارخ ضـــد العنصر العربي ونضج الفكرة الشعوبية لديه ،حتى ان الخليفة الرشيد قد اهدر دمـــه اكثر مـــــــــــــن مرة (2) .

فكان من الطبيعي ان يتخذ البرامكة منـــــــــه موقفا محايدا حفاظا على مكانتهم وحتى لا تثار الشكوك حولهم اكثـــــــــر في وقت كانوا يحسون فيه باصابع الاتهام تتجـــه

---

(1)ـ انظر : ابن المعتز ،طبقات ،ص 202ـ 203، و ، شوقي ضيف ،الفن ومذاهبــه ط10 ، دار المعارف بمصر القاهرة ، 1398هـ / 1978م ، ص158

(2)ـ الدراسات حول هذا الشاعر قد اشبعت بحثا واغلبها لا تبرئ ساحته من تهمته بالزندقة والالحاد ،فضلا عن سدة شعوبيته ضد العرب ، هذا رغم اعتراف هذه الدراسات بابداعه الفني في ميدان الشعر العربي ، انظر ،
عمر فاروق ، ابو نواس (جزآن ،هنا وهناك) ، انيس المقدسي ،امراء الشعر العربي في العصر العباسي ،ص1 ،المطبعة الادبية ،بيروت 1392هـ/ 1972م ،
شوقي ضيف ،الفن ، هنا وهناك ، محمد مصطفى هدارة ،اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ،ط 2 ، دار المعارف ،القاهرة ،1389هـ/ 1969م
الفصل القادم من هذا البحث .

تتجه نحوهم شيئا فشيئا (1) •

ومع ذلك فان رغبة البرامكة في احتواء كل لسان يمكن ان يمدح قد انستهم التستر والمحافظة على شعور الآخرين ، اذ ما لبثوا ان عززوا اتصال "ابي نواس" بهم حين اغروه كعادتهم بالاعطيات والمنح المرتفعة ليستلوا من قريحته قصائدا بلغت آية في المدح (2) •

ومنها قصيدته في بحر " الكامل " يقول في مطلعها —

إنَّ البَرامِكَةَ الكِرامَ تَعلَّموا   فِعلَ الجَميلِ وَعلَّموهُ النّاسَ

وَإذا هُمُوا صَنَعُوا الصَّنائِعَ فِي الوَرَى — جَعلُوا لَهَا طُولَ البَقاءِ أَساسَا (3)

كانت تلك الابيات بعضا من كل قيل عن اسرة البرامكة ، القصد من ايرادها اخذ صورة عن مبلغ قيمة هذه الاسرة في نظر الشعراء الذين اراد منهم البرامكة ان يكونوا لسانهم وصوتهم الى مسامع افراد المجتمع العباسي •

---

(1) — انظر ، الفصل الثامن من هذا البحث ،

(2) — انظر ديوانه ، ومنها قوله في احدى قصائده من بحر " الطويل " —

أَمِيرٌ رَأَيتُ المَالَ فِي حُجُرَاتِهِ   مَهِيناً ذَليلَ النَّفسِ بِالضَّيمِ مُوقِنَا

إِذَا ضَنَّ رَبُّ المَالِ ثَوبَ جُودُهُ   بَيحَّى عَلَى مَالِ الأَمِيرِ وَأَذَّنَا

انظر ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 45ب

شوقي ضيف ، الفن ، ص 162 — 163

وقائمة الشعراء الذين استمرواهم مدح البرامكة والسير في فلكهم طويلة لاسباب سبقت الإشارة اليها ،ولا حاجة للاستدلال بمدائحهم (1) لاشتراك اغلبها في غرض واحد من اغراض الشعر وهو المدح المبالغ فيه ،بشكل يجعل السكوت عنه اهون من ذكره

---

(1) — من بين هؤلاء الشعراء ،(ابو النضير عمرو بن عبد الملك) المشهور بالخلاعة والمجون المجون عنه ،انظر ،مصطفى هدارة ،اتجاهات ،ص217 ،و الشاعر "سليمان الاعمى الذي كان يحى متاثرا باقواله وحفظ اشعاره حتى انه استشفعى ببعض ابياته للامين ليتوسط له لدى ابيه الرشيد حتى يخرجه من سجن الزنادقة الذي وضعهم ،انظر ابن عبد ربه ،العقد ج5 ص65 . ومنهم الشاعر العتابي " الذي اهدر الرشيد دمه بسبب فلسفته المتنافضة مع ما الفه المجتمع العباسي وهو الذي توسط له البرامكة حتى عفى عنه ،فقال فيهم شعرا يعد آية في المديح ،انظر ابن النديم ،الفهرست ص135 ،ابن المعتز ،طبقات ،ص241 ،و ، الجهشياري الوزراء ،ص223 ،الكتبي ،الوافي ،ج3 ،ص219 . ومنهم الشاعر " مسلم بن الوليد الانصاري " الملقب ب "صريع الغواني " لاستهتاره ومجونه السافر انظر ،ابن المعتز طبقات ،ص234 — 240 ،و ،با ابن الوكيل ،احسن المسالك (مخطوط) ورقة 45ب ،و شوقي ضيف ،الفن ،ص 1280 ،مصطفى الشكعة ،الشعر ،ص229 ومابعدها .

(2) — بلغ التملق بالشاعر — محمد بن يزيد الدمشقي — الى القول في مناسبة حفل اقامه الفضل البرمكي لازدياد مولود له — من بحر الطويل —

وَيَفْرَحُ بِالمولُودِ مِن آلِ بَرْمَكٍ ... وَلا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الفَضْلِ
وَيُعْرَفُ فِيهِ الخَيْرُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ ... بِبَذْلِ النَّدَى وَالجُودِ وَالمَجْدِ وَالفَضْلِ

انظر ابن الوكيل ،احسن المسالك (مخطوط) ،ورقة 138 و اليافعي ،مراة ، ج1 ص433

وبهذا النشاط الثقافي يكون البرامكة قد عملوا بطريقة او باخرى على التاثير في الحيـــاة الفكرية للمجتمع العباسي ، ولا يمكن تبرئة ساحتهم مما نتج عن ذلك من افرازات خطيـرة على مستقبل الدولة الاسلامية .

والى جانب مساهمتهم في نشر بدعة المديح ، المبالغ فيه في الشعر العربي حتى وصل بعض الشعراء المتملقين بممدوحيهم الى مرتبة الآلهة ، يلاحظ انهم عملوا ايضا على تزكية البحث واحياء التراث الفارسي القديم ونشره في المجتمع العباسي ، وبذلـــك يكونون قد احيوا نار حقد هذه العناصر ضد العنصر العربي التي تمثلت في حركتي الشعوبية والزندقة ، ونظرا لما في هاتين الظاهرتين من غموض وعدم بيان دور البرامكة فيهما فقد افردت لهما فصلا خاصا ، احاول الحديث فيه عن علاقة اسرة البرامكة بمثل هذه المبادرات الخطيرة الدولة العبية الاسلامية التي وضعت كل امكانياتها في خدمة رعاياها بغض النظر عن انتماءاتهم العنصريـــــة .

الفصل السابع

أسرة البرامكة
بين حركتي الشعوبية والزندقة

اصطلح اللغويون على معنى الشعوبية بانها تعني " شعبا " ا (" شعوبا " (1) • واستنتج بعضهم انها تدل على العناصر غير العربية (2) •

بيد ان مدلولها التاريخي كظاهرة اجتماعية تمت في ظل الدولة الاسلامية لم يتفق حوله المؤرخون الا بعد اختلاف كبير احسموا بعده على ان الشعوبية فرقة تتعصب ضد العرب وتحتقرهم ولم تظهر بهذا المفهوم الا في العصر العباسي الاول (3) •

وبصرف النظر عن مراحل تطور الشعوبية فان الرائج انها تطرفت في عدائها للعنصر العربي عند اعتلاء العباسيين عرش الخلافة اعتمادا على حسن نية هؤلاء في الاصلاح •

---

(1) ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ، شعب و ، مادة ، عجم " ابن عبد ربه ، العقد ، ج 2 ، ص 216 ، ابن حزم (علي بن احمد) الفصل في الملل والنحل ، ط 2 ، القاهرة ، 1395هـ / 1975م ج 2 ص 155

(2) ـ ورد في القرآن الكريم الآية التالية (••• ايها الذين الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم •••) سورة الحجرات ، الآية 13 ، وفسر القصد من الآية الكريمة في عبارة " لتعارفوا " ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالانساب او القبائل انظر ماكدونالد " Macdonald دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شعوبية ج 13 ص 315 ، نقلا عن تفسير البيضاوي ، طبعة فايشر ، ج ـ ص 276

(3) ـ قارن ، المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، القاهرة ، 1358هـ / 1939م ، ص 33 ب احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج 1 ، 49ـ53 ، وب ، عبد العزيز الدوري ، الشعوبية ، ط 3 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1401هـ / 1981م ، ص 11ـ 21

الاجتماعي من جهة ومن جهة أخرى شعورهم بالقوة بعد الدور الذي قاموا به الى جانب العباسيين لاسقاط السيادة العربية المتمثلة في الخلافة الأموية وتمذاك(1) ويكاد يتفق المؤرخون على أن الحركة الشعوبيّة قد برزت في حياة المجتمع العباسي على شكل مجالس أدبية متظاهرة بالدعوة الى بعث التراث الفارسي في الوقت الذي كانت تعمل فيه على مقاومة السيادة العربيّة في ميدان الفكر(2)

(1) تعذر على المؤرخين تحديد بداية الحركة الشعوبيّة بمفهومها العنصري المقيت نظرا لنشاطها في جو من الحذر والتحفظ . والملاحظ أنها تطوّرت تطوّر الأحداث السياسيّة للدولة الاسلامية ،ففي العهد الأموي كانت هذه الحركة تتستر وراء المبادئ الاسلامية حيث كانت تدعو الى المساواة العناصر العربية بغيرها من العناصر في وقت كانت السيادة العربية في عزّ سلطانها ولعل هذا مايفسر الدّور الذي كانت تقوم به الشعوبيّة في أغلب الفتن التي كانت تهدف اسقاط الحكم الأموي ،خاصة الثورة العباسيّة التي أستخدمت شعار المساواة ،مما سمح للشعوبيّة أن تكشف عن نواياها حين شعرت بوجود الظرف المناسب لتحقيق أهدافها .أنظر ، ابن حزم ،الفصل ،ج 2،ص 115، . أحمد أمين ،ضحى ،ج 1 ،ص 49،عبد العزيز الدّوري ،الجذور ،ص 9 ،و هية قدورة ، الشعوبيّة وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الاسلاميّة في العصر العباسي ، الأول ،ط 1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1392هـ / 1972م ،ص 19 وبعدها .

(2) الجاحظ (أبوعثمان عمرو بن بحر) ،البيان والتبيين ،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،بدون تاريخ ،ج 3 ،ص 35 ،الدّوري الجذور ،10 – 12 أحمد أمين ،ضحى ،ج 1 ،ص 53 وما بعدها

وحسبما تجمع لدي من روايات ارى انه ليس من السهل الفصل بين نشاط الشعوبية ضد الجنس العربي ونشاطها ضد الاسلام ، وذالك لارتباطهما معا بشكل يجعل الفصل بينهما عملية تبدو شبه مستحيلة فذالك ان فكرة القضاء على السيادة العربية قد اتضح للشعوبيين انها لاتنجح الا بالعمل علي هدم احدى اهم مقوماتها وهي الاسلام ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان منهج احياء تراث الفرس الذي تبنته الحركة الشعوبية كان يتعذر معه استثناء تراثهم الديني ومعتقداتهم القديمة (1) .

وبغض النظر عن اسباب تطور حركة الشعوبية وارتباطها

---

(1) ـ كان "نصر بن سيار" ـ والي اقليم خراسان من قبل الخلفاء الامويين ـ قد اشار مبكرا الى هذا الارتباط العضوي بين خطر الشعوبية على العرب والاسلام وذالك حين ارسل الى " مروان بن محمد " ـ آخر الخلفاء الاميين ـ قصيدة جاء فيها الابيات التالية (بحر البسيط)

لَيسوا الى عُرْبٍ مِنّا فَنعْرفهُم ولاَ صَميم الموَالي إِنْ هُمُو نُسِبُوا
قَومًا يدِينُونَ دِينًا ما سمِعْتُ بِهِ عن الرَسُولِ ولا جاءَتْ بِهِ الكُتُب
فَمَنْ يكُ سَائِلي عَنْ اصْلِ دِينِهِم فان دِينَهم ان تُقتلَ العَرَبُ

انظر ، الدينوري ، الاخبار ، ص360 ، وقد وردت القصيدة في اغلب مصادر التاريخ الاسلامي مع بعض الاختلافات البسيطة ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج7 ، ص364+ 365 ، و ، ابن الاثير ، الكامل ، ج4 ، ص304 .

وفضلا عن ذالك فقد شهد على هذا الارتباط الخطير مفكرون قد ماءعاصروا نمو وتطور الشعوبية في المجتمع العباسي ، ومنهم " الجاحظ " (ت 255 هـ/869م) الذي قال عن هذا الموضوع " ... لاتبقي الشعوبية دينا الا افسدته ولا دنيا الا املكتها وهو ما صارت اليه العجم من الشعوبية ... " ، الجاحظ ، رسالة الجاحظ في بني امية ، القاهرة ، 1342 هـ/1933 م ص299 . كما اكد ذالك "ابن حزم" (ت456هـ/1063 م) ، حين قال عن الشعوبية ، " ... والاصل في اكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام ان الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم ... فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على ايدي العرب .. تعاظم الامر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا الاسلام بالمحاربة في اوقات شتى ... "
ابن حزم ، الفصل ، ج2 ، ص115 .

بفكـــرة " الزندقـــــة " (+) بين العناصر الفارسية دون غيرهم من شعوب الدولة الاسلامـــــية (1) ،فان الملاحظ ان الفرصة التي منحتها الخلافة العباسية لبعض الشخصيات الفارسية الاصل قد كانت عاملا كبيرا في تطور هذه الظاهرة (2) ،ولعـــل الدور الذي مثله البرامكة في هذا المجال خير دليل على ذلك •

وتتضح شعوبية هذه الاسرة ايضاحا بينا من خلال مواقف افرادها وتصرفاتهم في كثير من المناسبات ،والشواهد تدل على انهم كانوا على اتصال مستمر بالعناصر الفارسية بطـ بطريقة مباشرة وغير مباشرة عبر فترة طويلة نسبيا ،يمكن تحديد بدايتها بنشاط " خـالد البرمكي " في الثـــورة العباسيـــة (3) •

(+) ــ الزندقة ،اتفق المؤرخون ــ بعد اختلاف كبير ــ حول معنى هذه الكلمة علـى انها تعني اللاحاد والشك في المعتقدات الاسلامية ،وانها لم تظهر بهذا المفهوم الا في العصر العباسي الاول ،وفي عهد الخليفة العباسي الثالث على وجه التحديد ، والملاحظ ان فكرة اللاحاد ترتبط ارتباطا وثيقا بالحركة الشعوبية في هذه الفترة ــ كمــا اشرت سابقا ــ وقد كان للبرامكة دور هام في تقوية تيار الزندقة والمروق عن الدين •
وتجدر الاشارة الى ان موضوع الزندقة رغم ما يحيطه من غموض فقد نال اهتمام المؤرخين و وتناولوه بالبحث والدراسة ،انظر ،
احمد امين ،فجر الاسلام ، ص 107 ــ 109 • ،عبد الرحمن بدوي ،اللاحاد في الاسلام ،زهية قدورة ،الشعوبية ،ص 127 ــ 133 ، عبد العزيز الدوري ، ،الجـــــذور ص 26 ــ 29 ، 57 ــ 61 • ،

-G.VAVJA ,Les zindique en pays D Islam au debut de laperiode Abbasside ,R.S.O (Revista degli studi orentali),T.xvII ? (1938) ,pp.173-229 .
-PELLAT,EIe, ART(HAMMAD ADJRAD) , T3.PP.139-140 .
- J. FUGH? EIe, ART,(hammad el RAOUYA),T3.PP.139.

(1) ــ انظر ،ابن حزم ،الفصل ،جـ 2 ،ص 115 ، الدوري ،الجذور ،ص 11 ،احمد امين ،ضحى ،جـ1 ،ص 58 ، 62 ، زهية قدورة ، الشعوبية ، 23 ،

(2) ــ احمد امين ،ضحى ،جـ1 ،ص 69 • ،عبد العزيـــــز الدوري ،الجذور ،ص 36
(3) ــ يرجح ان يكون " خالد البرمكي " قد اصبح على اتصال باعيان الفرس منذ ان كلف بمحاولة اقناع زعمائهم بالتحالف مع الثورة العباسية ضد الامويــيــــن ،انظر لمؤلف مجـــــهول ، التاريـــــخ ، ص 553 •

ومن الواضح أن "خالدا" قد كلف بمهام ادارية في خلافة أبي العباس السفاح " تركزت أغلبها في الدواوين المالية وتاشا الضرائب ونفقات الجند مما جعله أكثر من غيره احتكاكا بمختلف عناصر المجتمع العباسي الجديد وتجدر الاشارة الا أن هذا البرمكي قد كان على جانب كبير من الدهاء في حسن استغلال مناصبه لتعزيز مكانته بمختلف أعيان المجتمع وذلك حين أشرف على سلسلة الاعانات التي كانت تقدمها الدولة للذين ناصروا الثورة العباسية وقد كان من بينهم كثير من العناصر الفارسية (2) ويبدو أن هذه العطية التي كلف بها من قبل الدولة لم ترفع من مكانته في نظر الرأي العام فحسب بل كانت فرصة له للتصرف في خزينة بيت المال لمساعدة جموع الموالي الفرس الوافدين على العباسيين منذ بداية عهد الخليفة العباسي الثاني " أبي جعفر المنصور (136هـ / — 158هـ / 753م — 775م) (1).

---

(1) تاريخ المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 377 ، ابن عساكر ، التاريخ ، ج 5 ، ق 2 .

(2) تؤكد أغلب الروايات التاريخية أن العناصر غير العربية — الفارسية — خاصة قد أخذت تستولي على المناصب الادارية المختلفة منذ بداية عهد الخليفة العباسي الثاني "أبي جعفر المنصور" ، أنظر ، ابن خياط ، تاريخ ، ج ، ص 466 — 467 ، التنوخي ، نشوار ، ج 2 ، ص 41 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 76 — 77 ، وسامية توفيق عبد الله ، تاريخ ، ص 37 — 43 .

والظاهر أن هذا الخليفة قد أحس بخطر ماكان يمارسه وزيره "خالد البرمكي" فأوقفه عن نشاطه هذا وكلفه بمهام أخرى بعيدة عن الاتصال بالمجتمع (1) ولعل هذا التبديل يعني محاولة الاستغناء عن خدمات هذا الرجل كما يتبادر الى الذهن فالواقع تشير الى أنه كان أعلم من غيره لفهم شؤون بلاد فارس، والمشاكل التي يطرحها سكان هذا الاقليم على الخليفة الناشئة • (2) ولذلك فقد كان تعيينه على هذه المناطق بحضور ... عن مدى فهم الخليفة لاتجاهات رعايا الفرس، فبادر بتعيين أحد منهم ارضاء لطموحهم وبطانه بعض المؤرخين في حسن سياسة "خالد" البرمكي" تجاه سكان بلاد فارس، والتي ان دلت على شيء فانها تدل على ميله لبني جنسه ومحاولة مساعدتهم على التغلب على المشاكل التي كانت تعترض سبيلهم • وفي الحقيقة فان حرية التصرف شبه الكاملة التي مارسها "خالد" في فارس قد أثارت شكوك الخليفة فاستدعاه للمحاسبة (3)

(1) أبعد الخليفة أبو جعفر المنصور "خالد" عن الادارة المالية للدولة واستغل كفاءته في تربية ابنه "المهدي" وتدريبه على أساليب الادارة وفنون الحكم • انظر • الجهشياري، الوزراء، ص 90•

(2) الجهشياري، الوزراء، ص ... ، 613 ، الثعالبي ، مآثره ، ج ، 36 ، 347•

محمد عبد الحي شعبان، التاريخ، ص 24• / 0120

(3) تشير الروايات الى بعض أغنياء فارس، قد وقفوا مع "خالد البرمكي" والتزموا بدفع مبلغ الغرامة التي طالب بها الخليفة المنصور، أنظر، الطبري، تاريخ، ج ... ، ص 54 — 55 ، ابن الوكيل، أحسن (مخطوط)، ورقة 13 أ 114 •

وبغض النظر عن ثبوت ادانته أولا فان الراجح أنه قد استمر في ممارسة نشاطه وأخذ ميله الى الشعوبية يزداد باستمرار ، ويتضح ذلك في محاولته ابقاء آثار الفرس والمحافظة على أبنيتهم كشاهد على عظمة هذه الأمة في نظر المسلمين .

ومع أن الدلائل تفيد أن الخليفة المنصور كان مدركا لقيمة هذه الآثار المعنوية الا أنه لم يتحرج من مواجهة وزيره "خالد" بحقيقة ما كان يهدف من وراء اقتراحه (2)

ورغم ما في هذه المصارحة من حدة الا أنها لم تؤثر في علاقة الخليفة بالوزير وهو أمر يدل دلالة واضحة على سمو شخصية هذا [illegible] حسن نيته تجاه مواليه الفرس .

---

(1) ابن الفقيه ، مختصر ، ص 36 — 37 ، أبو الفداء ، المختصر ، ج ، ص 20 — 21 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 144 ، ابن الوكيل أحسن (مخطوط) ورقة 12 ب ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ، ص 197 ، جاسم آل كلكاو ، البرامكة ، ص 15 ، مختار العبادي ، في التاريخ ص 73 .

(2) يروى أن الخليفة المنصور قد قال لوزيره خالد البرمكي عند تقديم اقتراحه هيهات يا خالد أبيت الا الميل الى أصحابك العجم ...) الطبري التاريخ ، ج 7 ، ص 651 . وقد تكرر ما يشبه هذه الحادثة مع الخليفة هارون الرشيد عند استشارته ليحيى البرمكي حول امكانية استغلال حجارة أحد الهياكل الفارسية المتهاوي فامتنع بدعوى المحافظة على آثار السلف . أنظر ، ابن خلدون ، ج 1 ، ص 229 ، ج 2 ، ص 410 . وبحراني البرامكة ، ص 21 — 219 .

وفي الحقيقة فإن بقاء "خالد البرمكي" وحسن استغلاله الفرص تمكنه من القيام بأدوار هامة للحركة الشعوبية دون أن يلفت انتباه الرأي العام لمخاطر ما قد ينجم عن تحركاته (1) وبسببه، مما تحصل لدي من روايات أن بيت البرامكة وقتئذ قد صار مقرا للشعوبيين يلتقون فيه ويأخذون منه ما يساعدهم على القيام بتنفيذ خططهم (2).

---

(1) تمكن خالد البرمكي من اقناع العناصر الفارسية - الاعيان منهم خاصة - بأهمية التعاون مع الخليفة المنصور، ومساعدته على تنفيذ مشاريعه الحيوية، كمشكلة ولاية العهد حتى يفوزوا بثقته ومن ثم يسهل عليهم الاستمرار في تحقيق اهدافهم الشعوبية. أنظر: الطبري، تاريخ، ج [illegible]، ص 9؛ وابن الطقطقي، الفخري، ص 155 - 156. ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 22؛ وابن خلدون، العبر، ج 3، ص 197. وحسن ابراهيم، تاريخ، ج 2، ص 29 - 30؛ وسلمية توفيق، [illegible] تاور، ص 5، [illegible] 40 - 39.

(2) الاربلي، خلاصة، ص 3، ابن الركيس، أحسن (مخطوط)، ورقة 111 أ؛ حسين نخلة المدور، حضارة، ص 69.

ويبدو أن "خالداً" بعد هذا النشاط تمتد إلا أن الدور الذي مارسه في حياة المجتمع العباسي ، ولذلك فإنه لم يتردد في توظيف "الشعر" لتعزيز مشاريعه الشعوبية (1)

ويظهر من بعض ما قيل فيه من قصائد أنه كان يؤيد أحيانا بعض التقاليد الفارسية كالاحتفالات بعيدي " المهرجان " و" النيروز " الفارسيين ، حيث كانت الأسرة البرامكة تقدم الهدايا الثمينة لزوارها ، وتتلقى منهم أيضا .

---

(1) من المعروف أن الشعر في تلك الأيام كان أهم وسيلة دعائية ذات فعالية كبيرة في السيطرة على الرأي العام . فهو كان يقوم مقام الصحافة والإعلام في الوقت الحالي . المهرجان والنيروز ، من أهم أعياد الفرس القديمة تحل فيهما مظاهر البذخ والترف أحيانا ، حيث كان الملك في هذه المناسبة يجلس في أبهة عالية ليستقبل رعاياه ، فيهدونه مختلف الهدايا الثمينة ، ويعم عليهم شكره ويعلن أمامهم رضاه عنهم . ويعني " المهرجان " عند الفرس (محبة الروح) كانوا يحتفلون به في أول يوم في آخر السنة . أما عيد " النيروز " فكانوا يحتفلون به في أول يوم من رأس السنة التي كانت تبدأ في نحو [illegible] مع مطلع فصل الربيع . وقد تعاظمت هذه الأعياد بعد الفتح الإسلامي ، واستمر الأمر كذلك حتى اعتلاء العباسيين عرش الخلافة حيث صار الخلفاء يشاركون رعاياهم من الفرس في احتفالاتهم بهذين العيدين ، وقد كان للبرامكة الدور الكبير في إحيائها ، بالشكل الذي كانت عليه أيام "الأسرة" ملوك الفرس ، وقد صارا مع مرور الزمن من الأعياد الرسمية في العصر العباسي الأول . أنظر :
البيروني ، كتاب الآثار ، ص 215 – 224 ، والثعالبي (أبو منصور عبد الملك) تاريخ غرر السير والمعروف بكتاب أخبار الملوك الفرس وسيرهم ، مكتبة الأسدي ، طهران 1963م ، ص 13 وما بعدها ، 37 ، 471 . كريستنسن ، ايران ، ص 34 – 43 . حسن ابراهيم حسن ، تاريخ ، 2 ، ص 436 – 15 ، 133 .

ورغم ملاحظة على هذه التصرفات من مخالفة للتقاليد العربية والآداب العامة ، الا أن الخليفة العباسي "المهدي" (158هـ / 169هـ / 774م — 784م) لم يكن يعارض ذلك فيما يبدو وحسبه لا تزال تلك المظاهر لم تتطور الى حدود المساس بأصول الدين (1)

ولعل سكوت "المهدي" على مثل هذه الظواهر يرجع الى تربيته ونشأته بين أحضان الفرس ، فضلا عن اقراره بالجميل لأسرة البرامكة لما لها من ارتباط وثيق بحياته (2)

(1) حسبما تجمع لدي من روايات ألاحظ أن الخليفة المهدي كان أول خليفة في الدولة الاسلامية شاعت في عهده ظاهرة "الزندقة" وأنه أول من أنشأ لهم ادارة للبحث عنهم ومحاكمتهم ، ثم محاولة تكوين هيئة علمية لمناظرتهم وتأليف الكتب للرد عليهم ، أنظر : الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 165 ، و ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 151 ، و السيوطي ، تاريخ ، ص 273 ، وأحمد أمين ، ضحى ، ج 1 ، ص 140 .

(2) يلاحظ أن الخليفة "المهدي" قد كان أكثر من أي خليفة عباسي قبله ارتباطا بالفرس ، فقد أشرف خالد البرمكي على تربيته ، كما أنه كان على اتصال بيحيى البرمكي وملازمته قبل خلافته لتبادل الخبرات حول فنون الادارة وأساليبها ، وفضلا عن ذلك فقد كانت زوجته "المهدي" — ريطة — العربية الهاشمية أرضعتها من الرضاعة لأحد بنات خالد) كما كانت زوجته الثانية — الخيزران — قد سلمت ابنها "هرون" لترضعه زوجة يحيى مع ابنها الفضل ، أنظر : ماقبله

ـمـــن ذلــك فـقد أبـدى استـيـاءه مـــن تـصـرّفــاتــهم ، وكــــا ن مـــسـتـعـدا الـى الـتضـحـيـة بـهم حـين أخــذ خــطـرهم الـشـعـوبي يـزداد بـاسـتـمرار (1)

لــولا سـلـطـة زوجــته الــخيزران " التي كـانت حاجـتهـا الـى تأيـيد الشعوبيين ضـرورية لأخـذ مكـانـتها كـسّيدة للـبلاط الـعباسي فـي مواجـهة ضـرّتـها ـريــطة الـتي كـانـت تـعـيـبهـا فـي الـبلاط لـيست محـل جدل بـمقـتـضى شـرف نـسبـهـا الى الـبيت الـهاشمي الـحاكـم . ويـبدو أن الـنساء البرمكيات قـد كـنّ عـلى جـانب كـبير في فـهم هـذه المـنافـسة الـخـفـيّة ولذلك فقد كـنّ أهم مـن غيـرهـا فـي مـوازرة هـذه الجـاريـة الـمحـظيـة ومسـاعدتـها . شـعورا مـنهن بالأهداف المـشتركة والمصالح الـمـتبادلـة (2)

وأظـن أن الامـتيازات الـمـنوحـة للبرامكـة بـمقتضى هذا الدّور لم تستخل لـصالـح المـد الـشـعوبـي فـي الخـلافة العباسـيّـة الأبـعـد الاطـمئنان عـلى

---

(1) أنـظـار ، الـجهشياري ، الوزراء ، ص 151 ، 157 . ، ابن الوكيل ، أحـسن (مخطوط) ، ورقـة 55 ب . ، عبد الرحمن العـمـري ، أشـر الفرس ، ص 1 ؛ ريطـة : بـنـت الـخلـيفة العباسي الأول " أبي العباس السفاح " . ، نشأت في البلاط العباسـي ، وتزوجـت ابـن عمـهـا " المهدي " فـزاد ذلك من مكانتـهـا فـي النظار الـخاصـة والـعامـة . أنظر ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 32 ـ 32 .

(2) رغم العلاقة القديمة التي كانت تربط زوجـة المهدي (ريطة) بأسرة البرامكة منذ عـهد الـعلاقة سـبـما تـذكر ذلك من روايات ــ أنه تعذر علي وجود مايفيد مساعـدا لـهـا من قـبل أسـرة البرامكة موالـبـها ميلا بالنسبة لضرتها "الخيزران" رغم أنـهـا كانت جارية دخيلة على البلاط العـباسـي مما يـفسّر وجـود مؤامـرة شـعوبيّة بيـن "حريـم" الخـلـيفـة وداخــل قـصـره .

تشجيعها بإرساء قواعدها بشكل مشترك مع الأحداب (1)

وحسبما تشير لدينا من روايات الأحداث أن الخليفة الهادي (169هـ — 170هـ / 785 — 786م) ، لم تكن تربطه بالبرامكة علاقة جيدة ويمكن تفسير ذلك من خلال ملاحظة الدور الذي قاموا به لصالح الشعوبية على الحكم من ذلك فيبدو أن هذا الخليفة قد كان يتنبأ لأهداف الخفيّة التي كان البرامكة يسعون اليها ، ولذلك فقد دخل في صراع ضد "يحيى البرمكي" الذي خلف أباه "خالدا" في زعامة الحزب الشعوبي من جهة ومن جهة أخرى ضد أمه الخيزران التي كانت أداتهم الدائمة في تنفيذ خططهم (2) .

ولعل هذا الموقف الصارم الذي وقفه الخليفة "الهادي" في طريق استمرار المشروع الشعوبي الذي كانت تقوم به أسرة البرامكة بمساعدة أمه الخيزران قد وجد فيه الروايات الشعوبية سببا للتحامل

---

(1) بذل البرامكة خلال عشرين سنة مجهودا كبيرا في تعزيز اتصالهم بالبيت الحاكم ، وذلك عن طريق الإشراف على تربية هرون الرشيد والتكفل بجميع أموره انظر ما سبق .

(2) اشير في الفصل الثالث من هذا البحث الى مبالغة المؤرخين القدماء في ذكر الدور المشترك للبرامكة والخيزران في تعزيز مكانة "هرون" على حساب أخيه "الهادي" في خلافة أبيهما "المهدي" ، ثم في ذكر المضايقات التي تعرض لها "الهادي" من طرف هذا الحلف ، ولا يستبعد أن يكون مصدر هذه المبالغة من وضع الروايات الشعوبية لتبيان مجهودات البرامكة تجاه "هرون"

على شخصية هذا الخليفة رغم أن حكمه لم يكن قد تجاوز سنة واحدة وبغض النظر عن سر نجاح البرامكة في هذه الصراع فان المؤكد انهم صاروا يمثلون اعلى جهاز في الدولة في بداية خلافة الرشيد ابتداء من سنة 170هـ/786م بما كانت تسمه هذه المرحلة الدولة من رقعة جغرافية وقتذاك (2)

والملاحظ أن البرامكة في هذه المرحلة قد كانوا يحملون برنامجا واسعا لخدمة المد الشعوبي وقد اخذ يظهر تدريجيا في مختلف المجالات الحيوية للمجتمع العباسي ·

ففي المجال السياسي نلاحظ انهم اهتموا اهتماما كبيرا بشؤون شرقي الخلافة خاصة المناطق كانت تسكنها أغلبية من العناصر الفارسية ، وذلك تمهيدا الى تحضيرها للانقلاب الشعوبي الذي كان هدف البرامكة وغيرهم ممن يجمعهم العداء والبغض للعنصر العربي ·

---

(1) أشاعت الروايات الشعوبية عن الخليفة "الهادي" بالظلم والتعسف وسوء التدبير ، أنظر الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 214 — 229 ·) المسعودي ، مروج ج 3 ص 345 · ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 77 — 80 · و ، السيوطي ، تاريخ ص 279 ·

(2) — بلغت الخلافة في عهدهم أوج اتساعها ، وأهميتها من حيث ، التطور الحضاري والكثافة السكانية · ، حول تفاصيل حدودها وأهم الأقاليم التي كانت تضمها أنظر عبد المنعم ماجد ، و · علي البنا ، الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1387هـ/1967م · الخريطة رقم · 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9 ، أنظر ، الخريطة الملحقة بالبحث ،

والواقع أن "الفضل" البرمكي(+) قد بذل في سبيل هذا الغرض قصارى جهده ، مستخدماً في ذلك كل الصلاحيات التي أعطيت له بمقتضى تفويضه في شؤون المشرق (1)

ولئن كان بذل المال لاصطناع الرجال وشراء ذممهم أهم وسيلة يمكن الاعتماد عليها في هذا المجال فإنّ الروايات التاريخيّة تبيّن

(+) كان الفضل البرمكي قد بدأ نشاطه نائباً لأبيه "يحيى" في الإدارة المركزية وتبدأ فترة تفويضه شؤون المشرق بعد تمكنه من حل مشكلة "يحيى بن عبد الله" الثائر العلوي في اقليم "الديلم" : ولذلك لا يستبعد أن تكون هذه المشكلة مفتعلة دبّرها البرامكة بالتنسيق مع سكان الأقاليم الشرقية لاخراج الجيش العباسي من العاصمة ، وليثبتوا للخليفة قدرتهم على حل القضايا المستعصية بأيسر السبل هذا من جهة ومن جهة أخرى ومحاولة ايجاد سند يعتمد عليه "الفضل البرمكي" في اكتساب ثقة الرأي العام لصالح الأعمال التي كان ينوي القيام بها : أنظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8، ص 242 – 243 ؛ ، البيهقي، تاريخه ، ص 440 – 441 ؛ والبغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 12، ص 334 ؛ و ، اليافعي ، مرآة ، ج 1، ص 430 ابن خلكان ، وفيات، ج 1، ص 408 ؛ خواند امير ، دستور ، ص 47 ، و، خواند شاه ، روضة الصفا ، ص 135 ؛

(1) كان الخليفة هرون الرشيد قد عينه — بايعاز من يحي البرمكي — على الولايات التالية: ثغور الجبال ، الري ، جرجان، طبرستان ، قومس ، دنباوند وغيرهم، وتمثل هذه الولايات مساحة شاسعة من شرقي الدّولة ،كما أن أغلب سكانها كانوا من العناصر الفارسيّة: أنظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 242 وما بعدها ؛ و ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، هنا وهناك ، عبد المنعم ماجد ، الأطلس ، خريطة ، رقم 5 ، 6 ، 7

بسبب اسرافه الشديد في استعماله . (1)

وفضلا عن ذلك فقد أقدم على انشاء مشاريع اقتصادية واجتماعية كانت جلها تهدف الى تزكية السمد الشعوبي واثارة فعاليته في الدولة (2)

وأظن أن هذه الأساليب قد أثبتت للشعوبيين جدارة أسرة البرامكة في زعامة حزبهم ، ولذلك فقد كانوا لا يترددون في تحويل اقتراحاتهم أو تلبية طلباتهم . وتكاد تجمع المصادر التاريخية على أن الفضل البرمكي قد كان منهم حيث كان كبيرا رغم قصر المدة وقلة المجهود المبذول في محاولة تجنيدهم (3)

---

(1) تحاشى مصادر التاريخ والأدب في الحديث عن اسراف "الفضل البرمكي" في تبذير الأموال ، لاصطناع الرجال ، ومن المرجح أن يكونوا من العناصر الفارسية :

أنظر : الطبري ، تاريخ ، ج8 ، 253 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 191 ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، 1 ، 271 ، الصولي ، الاوراق ، 19 – 21 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 151 – 152 ، البغدادي ، ج 12 ، ص 336 ، ابن الوكيل ، أحسن (مخطوط) ، ورقة 148 ، 148 .

(2) أنظر : لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 296 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 12 ، ص 336 ، الاربلي ، خلاصة ، 167 ، ابن الوكيل ، أحسن (مخطوط) ، ورقة 33 ب ، أحمد مختار العبادي ، في التاريخ ، ص 33 – 34 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، 257 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 190 .

ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، 99 – 100 ، ابن كثير ، البداية ج 10 ، ص 172

لا بد ... أن هذا الجيش الذي تبالغ الروايات في ضخامة

عـــــدده (1)

كان رهن اشارة البرامكة ، حيث كان الفضل قد أدخل جزءا منه الى

بغداد وهي بادرة خطيرة لم الاحداث بعد زمنها تبين هذا التاريخ (2)

وبمعزل عن أغراض الشعوبية وراء هذا المشروع فانه قد يمكن تفسير سبب تكوين

هذا الجيش في محاولة من البرامكة اشباع رغبة الخليفة الرشيد الجامحة الى

تشجيع حركة الجهاد التي كان يقوم بها بنفسه (3)

بيد أن طبيعة الأحداث وتطوراتها لا تساعد على الاطمئنان الى هذا التفسير

، ذلك أن انشغال الخليفة الرشيد بهذا الجند ...

---

(1) بلغ عدده خمسين ألف جندي حسب رواية المؤرخ الطبري ، وكان تحت قيادة الفضل ... ألف ... لم ... الحركة • فان تكن هذه الروايات صحيحة فانما يشف عن قدرة الشعوبية على احداث الانقلاب ... السيادة العربية التي كان مستهدفة ، أنظر الطبري ، تاريخ ... ، ص 242 ، 257 •

(2) يستثنى من ذلك وبصحبة أمير آل محمد "أبو مسلم الخرساني" الذي كان أكبر قائد عسكري للثورة العباسية ، قد بدا ذلك للخلفاء العباسيين الأوائل خطرا كبيرا يهدد سلطانهم فعملوا على ازالته بمختلف الوسائل •

أنظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ... 46 ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، 303 • الجهشياري الوزراء ، ص 94 ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 350 — 352 • ابن كثير البداية ، ج 10 ، ص 63 • المقريزي ، المقفى ، (مخطوط) ، ورقة 114 •

(3) توجد حركة تفاصيل الجهاد ضد الروم البيزنطيين التي كان الخليفة هرون الرشيد يخوضها ، في أغلب مصادر التاريخ الاسلامي • ابتداء من سنة 163هـ / 779م •

أنظر ، الطبري ، تاريخ ، ج ... ، ص 144 ، ابن الأثير الكامل ، ج 5 ، ص 63 •
ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 145 ، وأبو الفداء المختصر ... 2 ، 126 — 18 •

المتقدم ، الذي أحدث دخوله ضجة كبيرة ، قد أكسب البرامكة وقتا ثمينا وفرصة مناسبة لا للضغط على قوة الحزب العربي فحسب بل لاحداث توازن عسكري بين القوة الشعوبية والقوة العربية في العاصمة بغداد .

وأحسب أن هذا التفسير هو أهم ما يساعد على فهم سياسة البرامكة التي أخذت تقوى بعد هذه الحادثة على حرب القيادة العربية بمنطقة الوائل (1)

وسواء أكان البرامكة قد رجحوا كفة الشعوبية في الدولة بوجود قوة عسكرية تساندهم أم لا . (2) فان الراجح أنهم حققوا تطورا هاما في مجال الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال العجمية التي كرّسوها في الخلافة العباسية خلال فترة نفوذهم فيها .

---

(1) رفع البرامكة وشاية للرشيد ضد قائد جيشه العربي (يزيد بن مزيد بن طريف) حيث اتهموه عن موقفه من حركة الخارجي التي كان يتزعمها (الوليد بن طريف) حيث اتهموه بالممالأة في القضاء عليه حرمة لصلة الرحم والقرابة بينهما اذ كانا ينتسبان الى قبيلة "بني وائل" العربية . فاغتاظ الرشيد من تصرف قائده ، وبعث اليه رسالة جارحة يؤنبه فيها ويحثه على القتال . أنظر ، ابن الاثير الكامل ، ج 5 ، ص 97 .

(2) من الاتهامات التي رفعت للخليفة ضد وزرائه البرامكة ، محاولة الأمير "موسى بن يحيى البرمكي" تأليب سكان خرسان الفرس ضد الخلافة العباسية ، وربط [illegible] أيام للقيام بالثورة ضدها . أنظر ، الطبري، تاريخ ، ج [illegible] ، ص 3[illegible] ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 115 . زهية قدورة ، الشعوبية ، ص 272 .

وبأتي في طليعة هذه العصبية العناصر الفارسيّة المشتغلة التي عهدت في تبني البرامكة أفكارها حافزاً قوياً على الجهر بإحياء التراث الفارسي والدّعوة الى فرضه في المجتمع العباسي . والذي يثير الانتباه هو أن الظاهرة العناية بالتراث الفارسي قد نالت هي كثيراً من اهتمام البرامكة تعريبا ودراسة ساعدهم على ذلك دخول العديد من الفرس في عدادهم ممن يجيدون الفارسيّة والعربيّة معا وفي مقدمتهم "سهل ابن هرون" (1) أشهر الشعوبيين تطرفا ضدّ العرب ، الذي كتب عدّة مؤلفات استخلصها منها من تاريخ أجداده الفرس (2) ولئن ضاع معظم كتبه فانّ أفكاره بعضها المأثور ـــــــــــن

---

(1) سهل ابن هرون بن راهبون (ت 215 هـ / 830 م) لا يعرف تاريخ ميلاده ولكن الشائع أنه نشأ في البصرة ثمّ رحل الى بغداد حيث اتصل بالبرامكة واشتغل كاتبا في الادارة المركزية بالعاصمة ، وفيها اشتهر بلقب "بزرجمهر الاسلام" لبلاغته وحسن بيانه وكان لذلك محل طلب من طرف معاصريه . أنظر: ابن قتيبة ، الامامة (منسوب اليه) ، ص 200 ـ 201 ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 3 ، ص 123 ، الكتبي ، الوافي ، ج 16 ، ص 10 - 11 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 3 ، ص 143 ـ 144 . محمد كرد علي ، سهل بن هرون ، مجلة (المجمع العلمي العربي) ، دمشق ، مجلد 7 ، سنة 1345 هـ / 1927 م ، ج 1 ، ص 5 .

(2) من مؤلفاته : كتاب "الاخوان" و "المسائل" "ثعلة و عفرة" تدبير الملك والسياسة " و "النمر والثعلب" و "الوامق والعذراء" و ديوان الرسائل . قارن ابن النديم ، الفهرست ، ص 174 ، كرد علي ، مجلة ، ج 1 ، ص 9 ـ 10 ، 15 ـ 21 ، و أحمد أمين ، ضحى ، ج 1 ، ص 6 .

رسائله بقيت مخطوطة في بطون مصادر الادب العربي كرسالته في البخل التي اراد بها الرد على فضيلة الكرم التي كانت مفخرة العرب وميزتهم (1) .

ويعتبر " ابو سهل نوبخت " الفارسي الاصل كاتب البرامكة اهم من نقل افكار الفرس وحضارتهم عن طريق الترجمة ثم التاليف (2)

كما قدم "ابن اللاحقي" نماذج هامة من حضارة الفرس ، بتشجيع وعناية البرامكة حيث ترجم العديد من امهات الكتب الفارسية وهي اليوم بعدما تلف معظمها من اهم مصادر التاريخ الفارسي ويرجع اليه الفضل في تسهيل مهمة قراء الكتب الفارسية المترجمة

---

(1) - اورد الرسالة كاملة محمد كرد علي في امراء البيان طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ، 1356هـ / 1937م ج 1 ، ص 151 - 191 ، وحاول التعليق عن بعض ما جاء فيها من دراسة عن سهل بن هارون في مجلة المجمع العلمي ج 1 ، ص 21 . 27

(2) - ا في قائمة مؤلفاته التي اوردها ابن النديم ما يلي - كتاب المنتحل في اقاويل المنجمين ، " المسائل والمواليد " ، " التشبيه والتمثيل " المولود تحويل سني المولود " وغيرها ، غير ان ابن النديم لا يذكر تعليقا عن هذه المؤلفات ولا عن مصيرها ، انظر ، الفهرست ص 233

(+) - ابن اللاحقي وهو ابان بن عبد الحميد بن لاحق من موالي اهل البصرة اكثر في مدح البرامكة وترجم لهم ونظم العديد من امهات كتب ملوك الفرس ونظمها ، وقد بقي ابان في خدمة التراث الفارسي حتى وفاته عام 200هـ / 815م انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، الزركلي ، الاعلام ، ج 1 ، ص 27 .

بتحويلها من النثر الى النظم بناء على طلب البرامكة حتى يسهل على ابنائهم حفظ حضارة ونظم احد الامم الفرس (1) •

ومن ذلك كتاب " سيرة انو شروان " اكبر شخصية تاريخية في الدولة الساسانية الفارسية (2) • يليه من حيث الاهمية كتاب " سيرة ارد شير " الذي يحوي هو الآخر سيرة احد كبار ملوك الفرس (3) • والقائمة طويلة بمؤلفات هذا الرجل الذي قدمها للحضارة العربية الاسلامية تحت رعاية البرامكة حول نماذج مختلفة من حضارة الفرس القيمة القديمة (4) •

---

(1) ــ يعتبر ابن المقفع ــ الفارسي الاصل ــ من رواد مترجمي التراث الفارسي وقد عني في ترجماته بالدراسة والنشر فكان لها الاثر على الحياة الفكرية منذ العصر العباسي الاول ، انظر ، ابن النديم الفهرست هنا وهناك ، صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، طبعة الاب شيخو بيروت ، 1331هـ / 1912م ، ص 49 وحول دراسة مؤلفات ابن المقفع واثرها في المجتمع انظر

-Sourdel,La Biographie d;Ibn Al-Mukaffa d'apres les sources anciennes.(Arabica),1954,PP 307-323

-Gabrieli,Ele.Art(Ibn Almukaffa).T3. P.907

(2) ــ اصل هذا الكتاب عنوانه " كتاب التاج " الذي ترجمه ابن المقفع ، وهو مختص اساسا بتاريخ هذا الملك كما يفهم من عنوانه انظر دراسة مفصلة عنه عند محمد محمدي الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الاسلامية الاولى ، منشورات قسم اللغة الفارسية وادبها في الجامعة اللبنانية بيروت ، 1324هـ / 1964م ، ص 10 •

(3) ــ يعرف هذا الكتاب باسم " كارنامة اردشير " عثر على قسم منه بلغته الاصلية انظر محمد محمدي الترجمة ص 41

(4) ــ مثل ترجمه لكتاب " كليلة ودمنة " الشهير وكتاب سندباد " وكتاب " بلوهر بوداسف " وكتاب " الحيل والاحتكاك " ولعل هذا الاخير قد كان يقصد الاطلاع على قبائل الاسلام واحكامه وانظر المعول الاوراق هـ 3 ، ابن النديم الفهرست ، 1 ، ص 1 ، ميل نكلة المدور حضارة ، 253 ، الزركلي الاعلام ج 1 ص 27

وحتى لا تنكشف مخططات البرامكة الشعوبية عمدوا الى ادخال بعض المثقفين العرب للتمويه على الرأي العام وصرفه عما يجري من مشاريع ترويج التراث الفارسي ريثما يأمنّ الى بحثه ونشره حين تتوفر الشروط المساعدة •

ويأتي في مقدمة المثقفين العرب الذين كانوا على اتصال بالبرامكة راوية العرب وامام اللغة والشعر " الاصمعي " • الذي سجل عنهم العديد من انماط معيشتهم ونشاطهم السلم لمعتبرتها بعض المصادر الادبية من اهم مايمكن الاعتماد عليه في الحديث عنهم (1) •

ويبدو ان الاصمعي قد كان صادقا النية في التعامل مع البرامكة قبل ان يكشف مخططاتهم الشعوبية والاهداف التي كانوا يسعون الى تحقيقها بدليل مدحه "جعفرا" في اخطار الادوار التي قام بها في شان ولاية العهد للمأمون (2) التي اشرت اليها سابقا•

ومع ذلك فقد انسحب من حزبهم وحاول فيما بعد الرد باساليب عديدة اللهجة لاتدل على وعي عميق بخطورة مشاريعهم فحسب بل تدل ايضا على اصالة وعروبة رافضة للخضوع لرغبة الشعوبيين وطموحهم العنصري (3) •

---

(1) انظر القمي الكنى ، ج2 ، ص 32-35 ، ابن المعتز ، الطبقات ، ص213 -214 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 28 أ

(2) الاصمعي ، وعبد الملك بن قريب الباهلي (122هـ - 216هـ / 740 - 831م) اكتسب شهرته الادبية من خلال اتصاله بالعرب البدو وتوثيق روايتهم واخبارهم في قصور الخلفاء والوزراء • وتآليفه عديدة والدراسات حوله كثيرة انظر ابن خلكان وفيات ، ج1 ص 22 و
B.Lewis.EIe,Art(AlASmai)E1 PP,439-740

(2) يروى ان الاصمعي قد مدح "جعفرا" البرمكي " في قصيدة جاء فيها (القصيدة من بحر مجزوء الوافر)

أتانا الي بنية بيـــتة ... تمام بها ... قر ... دة
بنو برمك استسروا ملكـــ ... وسـدوا للرئاسة عقـــدة

انظر الجهشياري الوزراء ، ص205 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 67 ب

(3) علل جعفر البرمكي اسباب قطعه لمنحة الاصمعي بقوله : كيف اعطيه اذا كانت النعمة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة بالشكر عنده ...) انظر القمي ، الكنى ، ج 2 ، ص 35 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 205 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 167 •

ويبدو أن انسحاب هذا الأديب من مجالس البرامكة قد أوجد مناخا مناسبا لمواصلة المد الشعوبي بازدياد عناصر متطرفة لم تقتصر على محاولة بعث تراثها بل هدفت الى المس بالشرف العربي في الصميم (1)

ومن الكتاب الشعوبيين الذين انصرفوا الى التأليف تحت رعاية البرامكة الكاتب "علان الشعوبي" الفارسي الأصل الذي أشتهر بتضلعه في علم الأنساب، لدرجة أنه لا يعرف عنه من مؤلفاته في غير هذا الاختصاص ، وهو يكتب عن موضوع هدف منه الى المس والتجريح في الشرف والنسب العربي (2).

ويبدو أن البرامكة لم يقتصروا على تقريب كاتب واحد من هذا الاختصاص الشعوبي المقيت بل شجعوا العديد منهم من بينهم الكاتب

---

(1) انتشرت مثل هذه المؤلفات في تاريخ الثقافة العربية بكتب " المثالب " وتعني " العيوب "، وهذه الكتب على ما اشتهر عمدت الى شواذ ما صدر عن قبيلة عربية او ما يؤاخذ به احد العرب، فتقيدتها هذه المصنفات وادعتها على انها ظاهرة اجتماعية في العرب عامة تشهيرا بهم وامعانا في تشويه سمعتهم التي عمت الافاق ويقابل كتب المثالب "المناقب" التي تعنى بذكر المآثر وتروي مستحسن العادات ، وهذا الصنف من المؤلفات عرف تداولا كبيرا على ايدي الشعوبيين حيث نسبوا كل مكرمة وكل فضل في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية الى الفرس وطبائعهم ، انظر، محمد بديع الشريف ، الصراع بين الموالي والعرب ، 46 ، 43 و ، احمد امين ضحى ، ج 1 ، ص 69 ، 72 — 73 ، عبد العزيز الدوري ، الجذور ص 54 — 55 وزاهية قدورة ، الشعوبية ، ص 24 — 26

(+) — له كتاب " الميدان " في المثالب ، يروي انه هتك فيه العرب واظهر عيوبها ، منها ، مثالب قريش ومثالب قبيلة تيم ، ومثالب بني اسد ، وغيرها من القبائل العربية اذ عددها هذا المؤلف وكر عيوبها ، انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 113 ، و احمد امين ، ضحى ، ج 1 ، ص 69 عبد العزيز الدوري ، الجذور ، ص 55

(2) — يقول ابن النديم ان معظم كتاباته قد اندثرت لتفاته مواضيعها انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص 118.

الكاتب " ابوعبيدة " (+) الزعيم الروحي للحركة الشعوبية الذي يعد من اشهر كتاب " المثالب " حيث كان ينسب من خلال كتاباته كل فضيلة ومكرمة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية الى الفرس ، وحتى تطور الادب العربي يرجعه هذا الشعوبي الى فضل ماترجم من امهات كتب الادب الفارسي (1) .

ومن الذين ساهموا في تزكية المد الشعوبي الذي رفع شعاره البرامكة " الهيثم بن عدي (+2) الذي وضع عدة كتب في المثالب ، منها كتاب " المثالب الكبير " وكتاب " المثالب الصغير " ، و " مثالب ربيعة " وكتاب " اسماء بغايا قريش في الجاهلية " وغير ذلك مما يدخل في هذه المؤلفات الرخيصة (2) . والقصد منها الدس وتشويه النسب العربي الشريف الذي كان مفخرة اهله .

(+) ـ ابوعبيدة معمر بن المثنى (110 ـ 209هـ / 728 ـ 824م) اصله من يهود فارس نشأ في البصرة ونبغ في الادب واللغة العربية ويعد من ائمة البيان باعتراف معاصريه اتصل بالبرامكة ونال منهم تقديرا جيدا حيث كانوا من المعجبين به وبافكاره الشعوبية . اذ يعد هذا الاديب من انصار الشعوبيين لا لثقافته الواسعة وتعصبه الشديد ضد العرب فحسب بل لالتفاف معاصريه من الفرس حوله ، الى جانب مؤلفاته الكثيرة ككتاب " المثالب " و " مآثر العرب " و " ايام العرب " و " القبائل " وغير ذلك واخبار هذا الشعوبي كثيرة في اغلب مصادر التاريخ والادب ويتعذر ايرادها هنا . انظر ، ابن خلكان ، وفيات ، جـ 2 ، ص 105 وما بعدها ، احمد امين ، ضحى ، جـ 1 ، ص 69 ، 72 ـ 73 ، وزاهية قدورة ، الشعوبية ، ص 125 ،

(1) ـ محمد بديع الشريف ، الصراع ، ص 41 ـ 43 ، زاهية قدورة ، الشعوبية ، ص 125 واحمد امين ، ضحى ، جـ 1 ص 72 .

(+2) ـ هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعالبي (114 ـ 207هـ / 732 ـ 822) مؤرخ من رواد علم الانساب اصله من " منبج " ونشأ في الكوفة مركز الاشعاع الثقافي وتتلمذ ، وجالس كثيرا من الخلفاء العباسيين (المنصور ، المهدي ، الهادي واخيرا الرشيد) واغلب كتاباته اختصت بعلم الانساب ويعد في نظر المؤرخين من غير الثقاة انظر ، الكتبي ، الوافي ، جـ 2 ، ص 203 ، الاربلي ، خلاصة ، ج 2 ص 32 ـ 34 .

(2) ـ ينسب اليه المؤرخون المصنفات التالية ايضا ـ " بيوتات العرب " و " بيوتات قريش " و " نزوله العرب خراسان " ، " السواد " تاريخ الاشراف " كبير " و " صغير " وغيرهم ، انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 120 ، واحمد امين ، ضحى ، جـ 1 ص 63 ، الزركلي ، الاعلام ، جـ 8 ص 104 ـ 105 .

والمـــــلاحظ ان هذا البعث الشعوبـــــي الذي ساهم فيه هؤلاء الـــوزراء الفرس بقسط كبير قد كانت له اعراض خطيرة ليس على مستوى المساس بالشرف العربي ومحاولة النيل منه فحسب بل الى حد الشك في حضارة عريقة بجميـــــع مقوماتها (1) • ممـــــا جعل ضـــــرورة الرد عنه امرا يقتضيه الشرف وتمليه المصلحـــــة العامة •

واظن ان نشاط البرامكـــــة الشعوبي كان قد اعتمد على الحرية المطلقة التي نالوها بمقتضى الظروف الاستثنائية التى سبقت الاشارة اليها •، وان عدم اصطـــــدامهم بمعارضة شديدة ومنظمة تجبرهم على محاولة مراجعة نشاطهم ،فضلا عن دخول عناصر متطرفة في عدائها للعرب والاســــلام ضمن صفوف اعوانهم (2) ،قد جعل دورهم يكتسي بطابع آخـــ آخـــــــر اكثر خطورة من اي مجال آخـــــــر •

ويتصل هذا الدور بمحاولة البرامكـة تشجيع احياء المعتقدات الدينيـــــــة من تراث الامم السالفة — الهندية والفارسية خاصة — ،وحتى لا يتحول دور البرامكة في هذا المجا المجال الى مجرد اتهام يرميهم به حسادهم واعداؤهم للنيل منهـــــم كمـــا ورد في

---

(1) ـــسأسبق الاحداث عند ما اقول ان خطر هذا المد الشعوبي قد تسرب الى اغلب مقومات الحضارة العربية الاسلامية ،حيث كان اغلب الشعوبيين قد رمـــــــوا كيدهم على العرب والاسلام معا ،فشوهوا وحدتهم الحضارية وحاولوا قطع استمراريتها •،كما انهم شككوا الامـــة في معتقداتها المقدســـــــــــة انظر ، احمد امين ، ضحى ،ج1 ، ص 70—77،عبد العزيز الدوري ،الجذور ص54—66 ، هملتون جب ، دراسات ،ص 16،زهية قدورة ، الشعوبية ،ص127 وما بعدها ،صالح محمود سليمان ، الشعوبية ، ص 352— 403•

(2)— يدل على ذلك الظروف التى احاطت بشخصية " الفضل بن الربيع" المجوسي ، الذي ظل على ديانته زمنا طويلا وهو في خدمة ادارة البرامكة •،ولم يفكر فـــــي الاسلام — على مايظهر—ا لا بعد ان اشار له " يحى البرمكي " بما سيحصل عليه من امتيازات في الدولة حين يعلن اسلامه ،انظر ، البغدادي ، تاريخ بغداد ،ج 12 ،ص 399— 340،•• ابن الاثيـــــر، الكامل ،ج 6 ،ص256—257،المرزباني ، معجـــم ، 313،الزركـــــــلي الاعـــــــــلام ،ج 5 ، ص 149 •

بعض الروايات التاريخية (1) . ارى من الضروري تتبع نشاطهم الديني وتقييمه ، ثم الحكم عليهم على ضوء الاستنتاجات المتوصل اليها .

واغلب الظن ان البرامكة لم يتركوا كتابات في مثل هذه الموضيع تمكن الباحثين من الوصول الى حقيقة أمرهم (2) ، ولكن الثابت حسبما تجمع لدي من روايات — ان موقفهم من قضايا الدين الاسلامي كان باهتا للغاية ، ولم أجد فيما بين يدي من نصوص ان احدا منهم قد حاول عقد مجلس للفقهاء واستشارتهم في المسائل التي كانت تطرح بجدية في عهدهم ، عكس ما هو مألوف لدى الخليفة " هرون الرشيد " الذي تصفه المصادر الجيدة بانه كان على اتصال دائم بهم (3) .

---

(1) — تشير بعض المؤرخين الى ان اتهام البرامكة بالزندقة " والمروق عن الدين ، قد كانت احدى اسباب نكبتهم على يد الخليفة " هرون الرشيد " باعتباره امير المؤمنين ومن اهم واجباته الدفاع عن دين أمته وصيانته من البدع انظر ما سيأتي ،

(2) — يمكن اعتبار انشغال البرامكة بتسيير دفة الحكم واهتمامهم بالدسائس والمنافسات السياسية قد عطلتهم عن ترك مصنفات تدل على اتجاهاتهم الفكرية و وميواهم العقائدية .. ، عكس ما كان مألوفا لدى كبار الاداريين والكتاب وقتذاك انظر ،

صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، طبعة لويس شيخو ، بيروت ، 1331هـ/ 1912م ص49 ، محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ط 1 ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنسر القاهرة 1326هـ/ 1908م ، ص173—210 ، محمد كرد علي ، (مجلة)(مجلد 7 ، جـ1 ، ص 21—27 .

(3) — انظر الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 247 ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 401 ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص 381 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 298 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 258— 259 ، احمد امين ، ضحى ، جـ1 ، ص 172 .

وتجدر الاشارة الى أن الروايات التاريخية رغم ما تنسبه من مجد للبرامكة حيث تأتي في ذلك فضلهم على الدولة كما أشرت فانه لاتوجد عندي رواية صريحة يمكن الاطمئنان من خلالها الى حقيقة اهتمام البرامكة بشؤون الدين الاسلامي وهناك ملاحظتان اساسيتان تجعلان المسألة في مواقفهم تجاه هذه القضية أمرا واضحا وحقيقيا، أولاهما أنه لايوجد في قوائم أمراء مواسم الحج (1) اسم لاحد أفراد أسرة البرامكة رغم شيوع تدخلهم في كل مايمكن أن يكتسبوا من خلاله احترام الرعية

(1) امارة وفد الحجاج في كل موسم سنة حميدة أحيطت باحترام متزايد لدى المسلمين منذ تكوين دولتهم باعتبار أن الرسول (ص) كان أمير الموسم الحاج ولذلك فقد كان يعين الأمر غالبا من كبار أعوان الخليفة المقربين وأحيانا كان يقوم بهذه المهمة الخلفاء أنفسهم كما حدث ذلك عدة مرات بالنسبة للخليفة هرون الرشيد ويفهم من الروايات التاريخية أن أبا مسلم الخرساني قد رغب في احدى مواسم الحج الا أن الخليفة ان يمنحه الخليفة العباسي أبوا العباس السفاح شرف امارة وفد الحاج الا أن الخليفة تحايل عن هذه الرغبة خوفا مما قد يترتب عنها من مكانة معنوية لهذا المولى الخرساني في نفوس المسلمين أنظر الطبري تاريخ، ج 7، ص 468 — 469 اليعقوبي البلدان، ص 430 — 431، وابن الأثير، الكامل ج 4، ص 345 و،

- J. Jomier , Art (Amir Al Hadj): T.1. P 456 .

وشـ انيمكها يمحسبهايـ ادراية تمساعد دور البرامكة في مجال سالم الدين الاسلامي بالقيام الى ضخامة الروايات التي تطنب في ذكرهم عند ملا تحدثت عن الأدوار الأخيرة التي تسامعوا بها كما وضحت سابقا • وعلى الرغم من مايلاحظ من اشارة بعض المصادر التاريخية (1) الى نية " يحيي البرمكي " في مجاورة الحرمين الشريفين قصد التعبد • الا أن هذه النية كانت متأخرة أي بعد أن تقدمت به السن وأصبحت سياسته بفشل كبير (2)

---

(1) الطبري ،تاريخ ، ج 3 ،ص 268، 273 - 274 •)

ابن كثير ،البداية ، ج 10 ،ص 177) ابن تغري بردي ،النجوم ، ج 2 ،ص 103 ، 118 •

(2) لم يرد فيما توفر لدي من روايات مليبتين نية " يحيي البرمكي " في طلب الاستقالة من مناصبه قبل سنة 181هـ / 717م •) وهي السنة التي يلاحظ فيها خروج بعض القضايا السياسية المهمة من يده نتيجة طموح ابنه " الفضل " وجعفر " لم يتمكن الشيخ من كبحهما ،ولذلك استسلم الأمر الواقع •

قارن ،الطبري ،تاريخ ،ج 3 ،ص 268 ،293 ،ب ، الجهشياري ،الوزراء ،ص 224 •

كما انه مـــن المحتمل ان يكـــون هذا البرمكـــي قد شعر بتأنيب الضـمير بعد نشاط ضخم مـ به مستقومات الدولة الاسلاميـــة وفتن به جماعات من الامة (1)

ويأتي في طليعة الظواهر الغريبة التي اشـــاعها البرامكـــة فـــي المجتمع العباسي ظاهرة التنجيم (+) التـــي تتنافى مـــع الشريعة الاسلامية (2)

ويروى ان " يحيى " البرمكي " قد كان مـــن المتضلعين في علم التنجيم واســـراره (3) وقد تمـــت برعايته ترجمات لبعض مصادر هـــذا الفن ، يأتي في مقدمتها كتا ب

---

(1) — يدل على ذلك معجم الادعية التي وردت على لسانه استغفارا لله عن الذنوب التي اقترفها في حق الامة . انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 3 ، ص 292 + 293

(+) — تعني النظر الى النجوم والتنبوء بالاحداث قبل وقوعها . وعادة استعمال التنجيم والاعتماد عليه في اكثر الامور العامة عادة قديمة شاع استعمالها لدى ملوك الفرس وامرائهم ، وظهرت بوضوح في المجتمع العباسي خاصة في عهد نفوذ البرامكة ، حيث صارت وظيفة " المنجم " من الوظائف الرسمية في البلاط العباسي وقصور الوزراء والامراء ، كما صار " المنجم " يرافق رجال الدولة لاستشارته . انظر ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 85 . ملتون جسب ، دراسات ، ص 84 ، كريستنسن ، ايران ، ص 165 — 166 و انور الرفاعي ، الاسلام فـــي حضارته ونظامه ط 2 ، دار الفكر ، دمشق 1402هـ / 1982م ص 659 — 661 عمر محمد سعيد نظام ص 134

(2) — روي عن ابي يوسف انه قال ، — ثلاثة لا يسلمون من ثلاثة ، من طلب النجوم لا يسلم من الزندقة . ومن طلب الكيمياء لم يسلم من الفقر ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب . ، احمد امين ، فجر الاسلام ص 109 ، نقلا عن العقد الفريد ج 1 ، ص 199 .

(3) — ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج 5 ، ص 308 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 248 — 249 .

المجســــــطي " (1)

والظاهر ان البرامكة قد اسرفوا في استعمال " الاسطرلاب" (+) واستشارته في اغلب اعمالهم وهي عادة غريبة عن المجتمع الاسلامي ، وعني بها في مجال البرامكة حتى عقدوا لها مجالس خاصة للتناظر والبحث حول حركة النجوم والكواكب متخذين آلة للرصد الفلكي تعرف بـ " ذات الحلق " فكان يجتمع عندها المنجمون للخروج ببيانات يراعى احترامها والعمل علـــى تطبيقهـــا (2) .

---

(1) ـ اصل هذا الكتاب يوناني لـ " بطليموس كلاوديوس او القلوذي " عاش في الاسكندرية في القرن الثاني الميلادي . ويعني عنوان كتابه باليونانية القديمة "مجال سنداكسيس " اي " النظام العظيم " حسب الترجمة العربية لهذا الكتاب فانه يحوي ثلاثة عشرة مقالة في النجوم وحركات الكواكب . تناولها المسلمون بـــعد ذلك بالدراسة والتلخيص . وقد عرف هذا الكتاب عند الاوربيين بنفس الاسم الذي اطلقه العرب عليه

وفي الحقيقة فان عملية ترجمة مثل هذه الكتب قد بدات قبل هذه الفترة ولكنها عرفت تطورا كبيرا في عهد البرامكة سواء اكان ذلك في مجال التاليف والترجمة او في مجال استعمال هذا اللون من الفن في الحياة اليومية . انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص 227 ، ينقل عنه جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج 3 ص 157 ، وابن جلجل ، تاريخ الاطباء ، ص 37 ، هامش رقم 6 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 175 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 5 ، ص 292 ، عمر محمد سعيد نظـــام ، ص 134

(+) ـ الاسطرلاب من اهم الادوات التي يستعملها المنجمون وهي عبارة عن آلة من الآت الرصد يرمز عليها منجم يدعى " الاسطرلابي " ويرى ان اول من عمل به في تاريخ الدولة الاسلامية هو المنجم " محمد ابن ابراهيم الفزاري " انظر عمر محمد سعيد محمد نظام ، ص 134 ، 16

×_ w, hrtner, EIe, Art(Asturlab), T1: pp. 744_749 .

وبأمر من البرامكة وصلت سفارة هندية الى بغداد من أهم أعضائها عالم شهير يدعى "مانكا" ، الذي أحضر معه رسالة فى الفلك تحمل عنوان "السندهانت" التي عربت فيما بعد بعنوان "السند هند" فكانت بذلك نواة لحركة التأليف فى مثل هذا الموضوع فى الحضارة العربية الاسلامية ، ويستدل على ذلك بكتابات "ابراهيم الفزاري (1) الفلكية التي عثر عليها بعد ذلك في خزائن البرامكة ،

---

(1) هو محمد بن ابراهيم بن محمد ، عالم بالفلك وأول المترجمين لهذا العلم فى التاريخ الدولة الاسلامية ، ويروى انه اول من عمل "اسطرلابا للنظر فى النجوم ، وكان يحيى البرمكي من المعجبين به ولا يستبعد أن يكون قد ألف مكتبة تسعت رسالة البرامكة التي كان منها كتاب "الزيج على سني العرب ، المقياس للزوال" و"العمل بالأسطرلاب المسطح" و القصيدة فى علم النجوم" ، وهذه هى القصيدة التى يروى أنها وجدت عند البرامكة ، بعد نكبتهم .

قارن ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 26 ، جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص 207 ، و ، الزركلي ، الاعلام ، ج 5 ، 293 ،

والظاهر أن البرامكة لم يقتصروا على المصادر المترجمة لديهم لاستخراج هذه المفاهيم المتناقضة مع أصول الدين بل هناك ما يشير الى أنهم كانوا قد نشطوا في حركات البعثات الثقافية للاطلاع على أصول الديانات القديمة في الهند . ولا يستبعد أن يكون مشروع البرامكة قد كان يهدف الى اعادة الاعتبار الى ديانات أجدادهم واحياء الدور الذي كان يمثله معبد " النوبهار " في تاريخ الأمم السابقة للاسلام (2) وأغلب الظن أن مثل هذه المشاريع لم تكن تتم في الخفاء اذ هناك ما يبين صراحة أن البرامكة لم يترددوا في الجهر بما يخالج صدورهم من أفكار . واذا أمكن ادراج عقدهم مجالس اللهو والطرب والاسراف في مظاهر البذخ ضمن سياسة هدم مقومات الدين الاسلامي فان البرامكة قد بالغوا في ذلك وتجاوزوا حدود المعقول كما أشرت .

---

(1) يفهم من رواية ابن النديم أنه قد لاحظ في مقدمة أحد المؤلفات المهتمة بقضايا ملل الهند وأديانهم ما يفيد أن هذه أعمال قد تمت بايعاز من يحيى البرمكي أنظر ابن النديم ، الفهرست ص 409 .

(2) أنظر ما سبق .

وفضلا عن ذلك فان هناك ما يبين أن مجالس الفكر والأدب التي كانت تعقد باشرافهم غالبا ما تتحول الى منتديات منحطة وتسلك سبيل الزندقة والمروق عن الدين . (1) والملاحظ أن أغلب الشعراء الذين اتصلوا بهم قد كانوا من دعاة الإباحية والفجور ساعدهم في ذلك تبني البرامكة لهم وشراء ذممهم بالأموال التي كانوا ينفقونها عليهم بدون حساب (2)

وبغض النظر عن تزكية هؤلاء الشعراء لسياسة البرامكة وترويجها فان الواضح انهم فقدوا كرامتهم وباعوا قرائحهم في سبيل كسب مادي رخيص وذلك امالو حظ من تحول اتجاه الشعر

---

(1) انظر نموذجا من مجالس البرامكة عند المسعودي مروج ج 3 ص 331 — 379

(2) لا يستبعد أن يكون البرامكة قد شجعوا كتابهم على وضع مشاهد اللهو والطرب في عهد الخليفة الرشيد رغبة منهم في افساد أخلاق المجتمع العباسي عندما يسمع بأن الخليفة وحاشيته بلغوا الى هذا الحد من المجون والاستهتار بالقيم الأخلاقية . انظر أبو بكر بن العربي (المالكي) العواصم من القواصم تحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة ،

1371 هـ/ 1951م ص 251 .

الــــ الــــدين الــــمبالــ فـــيه الـــذي يــــجســـد أعـــلى صـــور الـــنفـــاق الـــــتوريـــــ (1)

ومـــن الــــمسائـــل الـــتي أثـــارت ـــجـــة فى المـــجتمع العباسي وزادت ـــ ن الـــشك فـــي نـــشاط الـــبرامكـــة ـــدّ الاسلام مـــسألـــة الــــمجامر" الـــتي أشـــاروا بـــتعليقـــها فـــي الـــكعبـــة وغـــيرها مـــن الـــمساجد ـــ ـــ ـــ ـــعلى أنـــهم كـــانوا يـــهدفـــون الـــى مـــحاولـــة استـــمالـــة الـــمسلمين الـــى عـــبادة الـــنار على طريـــقة الـــديانـــة الـــمجوسية (2)

ولـــكن ـــ بـــعض الـــمؤرخـــين قـــد نـــفى اقـــدام الـــبرامـــكة على هـــذا الـــعمل علـــى اعـــتبار أنـــه دعـــوة صـــريـــحة الـــى "الـــمجـــوسيـــة" لا يـــستطيع ـــ ـــ الاباحـــة ـــ في أشـــد ـــ ـــ مكان للمـــسلمين ،

---

(1) يكـــفي للدلالة ـــ ـــ ـــ في ـــ "الفضل البرمـــ" الـــذي رفعه الـــشاعر أبـــو نواس "الـــى مقام لا يصله أحـــد من الـــبشر ، وذلك بـــقوله فـــي قـــصيدة لـــه مـــن بـــحر (ـــ) ـــ في مطلعـــها :

أيـــ ـــكرام ـــ ـــ ـــ • ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ
ـــ ـــ على اللـــه ـــ • أن يـــجمع الـــعالم (فـــي ـــ ـــ
أنـــ ـــ ، شـــوقي ـــ ـــ الـــفن ، ص 162 ــ 163 نقلا عن ديوان الشاعر ، ص 146 .

سهيـــل زكار في مـــقدمـــة ـــ لكتاب العالم الاســـلامي في العصر المغولي الــ ـــمشترك بارتول شبولر و دائرة الـــ معارف الاســـلامية مادة برامـــكـــة ، ج 1 ص 495 .

(2)- DOMINIQUE , OP . CIT. T1. P146.

الا انه بالقياس لحركة الزندقة التي شجعها البرامكة لايمكن لاعتماد على هذا الرأي لتبرئة ساحتهم من الدور الهدام الذي مثلوه ، ويبدو ان بعض المستنيرين ممن يمتلكون الجرأة الادبية قد فطنوا الذلك وحاولوا الرد عليه ، ويأتي في مقدمة هؤلاء الفقيه الاديب محمد بن الليث الخطيب (1) الذي كانت تربطه بالبرامكة علاقة جيدة ان تكشف له الاحداث حقيقة امرهم ، ويرى انه في سبيل القضاء على زندقة البرامكة كان قد عمل على اشعار الخليفة هرون الرشيد بخطورة اهماله لشؤون رعيته بتركها بين ايدي وزارته البرامكة (2) ثم اخذ في محاصرة نشاط الزندقة

---

(1) كان البرامكة قد حاولوا التخلص من مضايقاته لهم فأدخلوه السجن سنوات حتى اطلقه الرشيد فيما بعد حين تبين له مسؤولية وزارته تجاه هذا الفقيه المسلم ، انظر ، الطبري ، تاريخ ج 8 ، 283 ،

(2) اورد الطبري نص الرسالة التي وجهها محمد بن الليث الى الخليفة الرشيد ، يحاتيه فيها ويذكره بمسؤولياته تجاه الامة ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 283 ،

عن طريق الكتابة والتأليف (1)

وفي الحقيقة فانه ما من شك في حدوث رد فعل عربي اسلامي كبير تجاه زندقة البرامكة ومحاولة نيلهم من الاسلام . ولسوء الحظ فان المصادر المتوفرة لدي نادرا ما تشير الى مثل هذه المواضيع ، ولكن لدي مجموعة من القصائد تهاجم البرامكة هجوما عنيفا وتصفهم بالزنادقة الملحدين .

ففي القصيدة الأصمعي " يشير الى أنهم كانوا من أتباع "مزدك" وأنهم يسعون الى بعث أفكاره في المجتمع العباسي المسلم .

---

(1) أورد "ابن النديم" قائمة بمؤلفاته ومنها كتاب يحمل عنوان "الرد على الزنادقة" . انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص 134 . مزدك حركة دينية ظهرت في عهد الملك الفارسي قباذ حوالي سنة 487 م ، وكان مزدك يدعو الى المذهب الثنائي القائل بأن العالم نشأ عن أصلين : النور والظلمة ، وعن النور نشأ كل خير وعن الظلمة نشأ كل شر ، وهذا المذهب كانت تدعو اليه أكثر من ديانة فارسية . على أن ما تميزت به تعاليم "مزدك" هي تعاليمه (الاشتراكية) بدعوته الى المساواة في المال والنساء على اعتبار انهما مصدر الشقاق بين الشعوب ولذلك طالب باباحتهما حتى تزول هذه الشرور . والملاحظ أن بعض مبادئه تشبه مبادئ الشيوعية المعاصرة ومن المرجح أن يكون هناك علاقة بينهما . ومع أن مذبحة عام 523 م التي دبرها الملك قباذ لمزدك واتباعه تكاد تقضي على تعاليمه الخطيرة الا أن الملاحظ أنها بقيت رائجة بين العناصر الفارسية لمدة طويلة . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع الشهرستاني الملل ، ج2 ، ص 86 - 87 ؛ الثعالبي غرر ، ص 596 - 604 . ابن الأثير الكامل ج1 ، ص 242 ، 255 - 256 ؛ ص 304 ، أحمد أمين فجر ، ص 109 - 111 . كريستنسن ، ايران ، ص 247 - 302 . محمد عبد السلام كفافي ، في أدب الفرس ، ص 227 - 229 .

حيث قال فيهم، من البحر الوافر، البيتين التاليين:

إذا ذكر الشرك في مجلس ... أضاءت وجوه بني برمك
ولو تليت بينهم آية ... أتوا بالأحاديث عن مزدك

وهناك قصيدة أخرى للشاعر "الحميري"[2] يشير فيها إلى دورهم في المجال الديني أيضا، من (مجزوء الكامل):

تلك البرامكة التي ... ضمت بها الأخبار
آثار فضل الترابيع ... مساجد ومنار
وفضل يحيى باسق ... آثاره النوبهار
بيت يشيد نسبه ... ويستبد الجبار
وبيت قد يسر ... به تعظم النار

---

(1) ابن قتيبة، المعارف، ص382، والجهشياري، الوزراء، ص47،

(2) الحميري هو محمد بن وهيب، حميري الأصل نشأ في البصرة مركز الاشعاع الفكري، وتأدب، وكان الشاعر بعد ذلك قد اتصل بالمأمون لقاء العباسيين ومدحهم حتى وفاته، في حوالي سنة 225هـ/ حوالي 840م،

أنظر، المرزباني، معجم الشعراء، ص420، الزركلي الاعلام، ج7، ص134،

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص308،

ونفس التهمة يوجهها هذه الشاعر العربي " ابو الشيص " (+) ، في قصيدة طويلة بالغة التجريح (1) • كما نص احدهم بان يحى البرمكي وابنائه كانوا يتمتعون عند سماعهم ذكر الزندقة ومذاهب الالحاد (2)

وفي الحقيقة فان هذه التهم لم تكن مبنية على مجرد عداء هؤلاء الشعراء البرامكة او محاولة النيل منهم كما يتبادر الى الذهن ، اذ هناك ما يثبت انهم ساهموا بطريقة مباشرة في تسهيل مهمة حفظ اخبار "مزدك " ومبادئه في المجالس الخاصة التي كانوا يعقدونها (3) •

والمهم ان هذا النقد الموجه لخطر شعوبية البرامكة وزندقتهم ، يدل دلالة واضحة على وعي حضاري جديد اخذ يفرض نفسه في حياة المجتمع العباسي (4) •

(+) - هو محمد بن علي بن عبد الله رزين (الخزاعي " ، نشأ في الكوفة ، واقام ببغداد ينافس بشعره خاصة " ابا نواس ، وصريع الغواني " ، ولعل مصدر نقمة هذا الشاعر على البرامكة لا يرجع الى اعتزازه بعروبته فحسب بل يرجع كذلك الى الدور المشترك القائم بين البرامكة وهذين الشاعرين ، من اجل افساد اخلاق المجتمع بالدعوة الى اللهو والمجون •
انظر ، ابن المعتز ، طبقات ، ص 72 ، 83 ، ابن كثير ، البداية ، ج 10 ص 233 ، و ، شادة " SCHADA " دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ابو الشيص ، ج 1 ، ص 259 - 260

(1) - نص القصيدة كاملة عند • ابن المعتز ، طبقات ، ص 33 - 36

(2) - البلاذري ، انساب ، (مخطوط) ورقة 1334 •

(3) - انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 185 ، جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص 253 ، و ، الزركلي ، الاعلام ج 1 ، ص 27

(4) - انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 103 ، الصولي ، الاوراق ، ص 87 ، والجهشياري ، الوزراء ، ص 227 •

والملاحظ ان هذا الوعي والنقد سرعان ما تحول الى رد فعل عنيف وهادف اعاد الاعتبار للدور الحضاري للعرب ، واثبت للشعوبيين زيف ماكانوا يدعون اليه (1) .

والظاهر ان هذا الوعي المتنامي تجاه مخاطر الشعوبية وزندقة البرامكة (2) ، قد كان له الاثر البالغ لا في الشك في اخلاصهم للدولة فحسب بل ادى الى الاطاحة بهم على يد الخليفة " هرون الرشيد " كما سأبين ذلك في الفصل التالي .

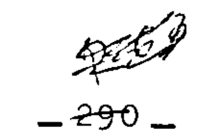
---

(1) _ لعل المؤلفات التي كتبت باقلام عربية عقب هذه الفترة مباشرة ، ككتاب " الجاحظ " و " ابن قتيبة " خير دليل على تاكيد الاستمرار والوحدة في الثقافة العربية . انظر ، عبد العزيز الدوري ، الجذور ، ص 74

(2) _ يدل على ذلك حديث الخليفة " هرون الرشيد " لاحد امرائه العرب الهاشميين حين اراد لفت انتباهه لخطر الشعوبية وزندقة البرامكة ، بقوله ، (.... اما والله لكاني انظر الى شؤبوبها قد همع وارخ كلكلها قد لمع ، وكأني بالوعيد قد اورى نارا تسطع ، فاقلع عن براجم بلا معاصم ، ورؤوس بلا غلاصم فمهلا ، فبي والله سهل لكم الوعر وصفالكم الكدر والقت اليكم الامور اثناء ازمتها فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبط باليد لبوط بالرجل ....) ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 304

الفصل الثامن

نكبة أسرة البرامكة وآثارها



وذهب الشاعر "اشجع السلمي " الى ابعد من ذلك حين رثاهم بقصيدة اعتبر فيها ان فضيلة الكرم قد اختفت بذهاب البرامكة ، وذلك بقوله في مطلعها من "م

قَدْ سَارَ دَهْرٌ بَنِي بَرْمَكٍ + وَلَمْ يَدَعْ فِيهِمْ لَنَا بَقِيَّا

كَانُوا أُولِي الْخَيْرِ وَأَهْلَهُ + فَارْتَفَعَ الْخَيْرُ عَنِ الدُّنْيَا (1) .

ويوشك هذا الشاعر ان يفقد الثقة فيمن سيخلفون البرامكة في تسيير الدولة لقلة كفاءتهم وعجزهم عن تحقيق السعادة للرعية (2) .

ويبدو ان البرامكة قد سلبوا عقول الشعراء حتى ظنوا ان الحياة لا تقوم الا بهم ، ويلمس ذلك من خلال ما قيل في رثائهم من قصائد ومنها قول الشاعر المنصور النميري ، في مطلع قصيدة له من بحر (مجزوء البسيط.)

أَنْدُبْ بَنِي بَرْمَكٍ لِلدُّنْيَا تَبْكِي عَلَيْهِمْ بِكُلِّ وَادِ

كَانَتْ بِهِمْ بُرْهَةً عَرُوسًا فَأَصْبَحَتِ الْيَوْمَ فِي حِدَادِ (3) .

---

(1) المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 392 .

(2) جاء في مطلع احدى قصائده من بحر السريع ،

وَلِيَ عَلَى الدُّنْيَا بَنُو بَرْمَكٍ فَلَمَّا تَوَلَّى عَلَى النَّاسِ مَا زَادَ

كَأَنَّمَا أَيَّامُهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ أَعْيَادَ

انظر ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 392

(3) المسعودي ، مروج ، ج 3 ص 391 ، وهناك رواية تفيد ان" امرأة جاءت الى جثة جعفر البرمكي " المصلوبة وتأملتها ثم انشدت قصيدة من بحر البسيط" جاء في مطلعها ،

الْعَيْشُ بَعْدَكَ مُرٌّ غَيْرُ مَحْبُوبِ وَمُذْ صُلِبْتَ وَمَقْتَنَا كُلُّ مَصْلُوبِ

أَرْجُو اللَّهَ ذَا الإِحْسَانِ إِنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَيْنَا وَعَفْوًا غَيْرَ مَحْسُوبِ

انظر ، ابن الاربلي ، خلاصة ، ص 150 - 151 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 7 ، ص 159 ، ولهذه الشاعرة المجهولة ، وغيرها قصائد كثيرة في رثاء جعفر البرمكي ، انظر ، الاربلي ، تاريخ ، 151 - 152 ، والبغدادي ، تاريخ ، ج 7 ص 159 - 160

ويوازي الشاعر " الرقاشي " اسياده البرامكة بالعباسيين في رثائه لهم حيث قال (من بحر الطويل) ،

وَدُونَكَ سَيْفًا بَرْمَكِيًّا مُهَنَّدًا ـ أُصِيبَ بِسَيْفٍ هَاشِمِيٍّ مُهَنَّدِ (1)

وقد بالغ هذا الشاعر في رثاء "جعفر البرمكي" مبالغة جعلته يفصح عما بداخله من نزعات "زندقة" تتعارض مع مقومات الدين الاسلامي (2)

ويلاحظ ان اغلب من رثوهم قد ركزوا على ظاهرة كرمهم غير المألوف ولذلك، فقد تحول رثاء هولاء الشعراء الى المدح ايضا (3) . وقد بالغ احدهم ، وهو الشاعر الملقب بالاعرابي الى احد انه وضعهم في صف الملوك الذين خانتهم الظروف وذلك بقوله في قصيدة له من "بحر الطويل"

لَقَدْ خَانَ هَذَا الدَّهْرُ أَبْنَاءَ بَرْمَكٍ + وَأَيُّ مُلُوكٍ لَمْ تَخُنْهَا دُهُورُهَا (4) .

---

(1) ـ اختلف المؤرخون والادباء في نسب هذه القصيدة ، فالجهشياري ، ينسبها الى " الرقاشي " ، في حين نسبها " المسعودي " الى الشاعر " اشجع السلمي " اما الطبري ، فبعد ان روى انها للرقاسي ، فقال انها تنسب لـ " ابي نواس " انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 236 ، المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص390 الطبري ، تاريخ ، ج10 ، ص87ـ 88

(2) ـ جاء في احدى القصائد من بحر " الوافر " البيتان التاليان .

أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا خَوْفُ وَاشٍ ± وَعَيْنٌ لِلْخَلِيفَةِ لَا تَنَامُ

لَطُفْنَا حَوْلَ جِذْعِكَ وَاسْتَلَمْنَا + كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ اسْتِلَامُ

يقصد الطواف بجثة جعفر ، وتقبيلها تماما كما يفعل الحجاج المسلمون في بيت الله الحرام ، انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص236 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 4 ، ص 157ـ 158 ، وينسب هذه القصيدة الموْرخ الطبري ، للشاعر المطوي ابي عبد الله الرحمان " ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 10 ، ص 88

(3) ـ من ذلك ما قاله الشاعر " سيف بن ابراهيم " في احدى قصائده من بحر الطويل " والتي جاء في مطلعها .

هَوَتْ أَنْجُمُ الْجَدْوَى وَشُلَّتْ يَدُ النَّدَى + وَأَضْحَتْ بِحَارُ الْجُودِ بَعْدَ الْبَرَامِكِ

هَوَتْ أَنْجُمٌ كَانَتْ لِأَبْنَاءِ بَرْمَكٍ + بِهَا يَعْرِفُ الْحَادِي طَرِيقَ الْمَسَالِكِ .

انظر ، الازدي ، تاريخ ، ص 305 . ، الطبري ، تاريخ ، ج 10 ، ص88 ، في ينسبها الموْرخ المسعودي ،، للشاعر " سلم الخاسر " ، انظر ، مروج ، ج 3 ، ص 390ـ 391

(4) ـ المسعودي ، مروج ، ج 3 ، 391

والمؤكد حسبما جاء في مصادر التاريخ والادب ان حجم مراثيهم كان كبيرا ، ويدل ذلك بوضوح على ما بلغته هذه الاسيرة من مكانة في الضمير الاجتماعي (1)

ويحتل الشاعر " الرقاشي " (2) الصف الاول من بين هؤلاء الشعراء ، حيث اعتبر نكبة البرامكة نهاية الحياة وملذاتها ، وظلت مظاهر التشاؤم تسيطر على قريحته في اغلب القصائد التي قالها في هذه المناسبة . ومنها قصيدة من "بحر الكامل" جاء

أيا سَبْتُ يا شَرَّ السُّبُوتِ صَبِيحَةً ... ويا صَفَرُ المَشْؤُومُ ما جِئْتَ أَشْأَمَا

أتى السَّبْتُ بِالأمْرِ الذِي هَدَّ رُكْنَنَا ... وفي صَفَرٍ جَاءَ البَلاءُ مُصَمِّمَا (3)

وفي قصيدة اخرى له من "بحر الوافر" يرثيهم فيها بقوله —

عَلَى اللَّذَاتِ والدُّنْيَا جَمِيعًا ... ودَوْلَةِ آلِ بَرْمَكَ السَّلَامُ

أُصِبْتُ بِسَادَةٍ كَانُوا نُجُومًا ... بِهِمْ نُسْقَى إذَا انْقَطَعَ الغَمَامُ (4)

---

(1) — جاء على لسان احد الرواة (... ما اذكر اني نزلت مرة الى السوق الا ونظرت رقاع الاشعار معلقة على الحيطان في رثاء لجعفر وندب الى على الدنيا فيما لحق اهله ، انظر ، جميل نخلة المدور ، حضارة ، ص 353 .

(2) — عن تفاصيل حياته انظر ما سبق .

(3) — الطبري ، تاريخ ، ج 10 ، ص 87 ، سبت وجمعها الشاعر سبوت ويقصد بها يوم السبت من يوم شهر صفر ، اي اليوم الذي تمت فيه عملية قتل " جعفر البرمكي " كما اشرت سابقا .

(4) — الجهشياري ، الوزراء ، ص 236 ، الكتبي ، الوافي ، ج 3 ، ص 183 ، وجرجي زيدان ، تاريخ الادب ، ج 1 ص 388 ، وينسب صاحب العقد الفريد ، هذه القصيدة للشاعر " سليمان الاعمى " حيث اوردها كاملة في ثلاثين بيتا ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، ص 70 — 71 ، اليافعي ، المرآة ، ج 1 ص 414 — 415 .

)

والوضح حسب ما تشير اليه الروايات ان الخليفة لم يعد يوكا جليل اعماله لغيره من الاعوان والكتاب رغم الظروف الصعبة التي نتجت عن سياسة : وزرائه البرامكة (1) وفي ذلك كان عليه ان يضحي بكل راحته ، ابتداء من عام 187هـ/ 802م (2) ، وذلك حين انشغل باخماد حركات الفتن والتمرد الذي كان يثيره سكان المناطق الشرقية من دولته (3)

وكان من عادة الشعراء تتبع من هذه الاحداث لتسجيل مظاهر البطولات في مثل هذه الاعمال الجليلة (4) ، غير ان شيئا من هذا لم يحدث نتيجة تاثير مفاجاة نكبة البرامكة وغيابهم على مسرح الاحداث على ما يبدو •

ومن الصعوبة بمكان تصديق الاشاعة التي تزعم ان الرشيد قد امر بمنع الشعراء من رثاء وزرائه البرامكة بدليل استقباله لبعضهم بحفاوة ، واكرمهم بمثل ماكانوا يكرمون به من لدن البرامكة (5)

---

(1) ـ انظر ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ، 67ب ، وسامية توفيق ، الحياة السياسية ، ص243 • 246

(2) ـ عبر عن ذلك العباس بن الاحنف الذي كان ملازما للخليفة الرشيد في قصيدة من " بحر الخفيف " جاء فيها ـ

مَا أَنَخْنَا حَتَّى ارْتَحَلْنَـــــا   فَمَا نَفْرِقُ بَيْنَ المَنَاخِ والارْتِحَالِ
سَائِلُونَا عَنْ حَالِنَا اذْ قَدِمْنَـــا   فَقَرَنَّا وَدَاعَهُمْ بِالسُّـــؤَالِ

انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 121 ، ابو الفداء ، المختصر ، جـ 2 ص 17

(3) ـ اسرت في الفصل الخامس الى ان شرق الخلافة ـ في خراسان وماوراء النهر ـ قد كانت دائما تتمرد وقد عجز الفضل البرمكي عن اخمادها ومن غير المنطق ان يقبل تفسير هذا التمرد واثارة الفتن بعد نكبة البرامكة بانه كان تعبيرا عن سخط السكان لموقف الرشيد منهم ، انظر ، ابن الاثير ، الكامل جـ 5 ، ص127 ـ 128 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص263 ، الذهبي ، تاريخ ، جـ1 ، ص94 ابن العبري ، مختصر ، ص130 ، السيوطي ، تاريخ ، ص 289 ، بلياييف ، العرب ، ص 267 ، دومنيك ، تاريخ ، ص 58 •

(4) ـ يلاحظ ذلك مثلا ، موقف الشعراء من اعمال البرامكة ، حيث كانوا قد خلدوا معظم اعمالهم في قصائد عدت اية في المديح ، انظر ، ما سبق

(5) ـ انظر ، الاصبهاني ، الاغاني جـ 8 ، ص 228 • ، البغدادي ، تاريخ ، جـ 3 ، ص157 ـ 158 ، ابن الطقطقي ، الفخري ص148 ـ 149 ، جرجي زيدان ، تاريخ [illegible] الاداب ، جـ 2 ، ص 388 •

والمؤكد ان سقوط البرامكة ظل يحتل حيزا كبيرا من اهتمامات المؤرخين و يحظى باجتهاداتهم الكثيرة ،حتى وان كان بعضها غير مطابق للواقع (1) •

وبالاعتماد على المراسلات بين الخليفة الرشيد وسجينه "يحي البرمكي" نصل الى فكرة جوهرية لا مجال للنقد فيها وهي ان البرامكة قد اخطأوا فعلا وانهم دفعوا الثمــــــن لذلك الخطأ (2) ومن ثم لم يعد هناك شك في ان الخليفة قد اقدم على مثل هذا الاجراء الخطير دون التفكير في ابعاده كما هو الشائع (3) •

ولئن كان هناك شك فلم يتعد كونه مجرد توزيع مشاعر الخليفة بين متطلبات السياسة ووازع الأخلاق القاضي بفضيلة الوفاء لهذه الاسرة التي تربطه بها علاقة حميمة منذ عهد الصبا • وذلك بدليل احتفاظه بذكراهم كأصدقاء وليس كرجال سياسة (4)

ومن الطبيعي ان تتغير العلاقة بين الخليفة الرشيد ورجال ادارته والا سيكـــون ذلك الاجراء ضد البرامكة لا معنى له •

ومما شك فيه ان الاشكال سيصيب الادارة المركزية بعد الفراغ المفاجئ الذي تركـــــه اداريون اكفاء كالبرامكة ،لكن من الصعب تصديق الاشاعات التي تنسب جل الاحداث التالية التالية الى السبب ذاته (5)

---

(1) ـ يقال ان احد الشيعة اتصل بالرشيد ليخبره بقول ابراهيم الامام زعيم الدعوة الدعاة العباسية من ان خامس الخلفاء بني العباس ـ وهو الرشيد ـ يغـــدر به كتابه " فان لم يقتلهم قتلوه " على حد تعبيره ،انظر ، ابن بدرون ،قصيدة ، ص234 •

(2) ـ انظر ،نموذجا من المراسلات في الملحـــــــــق ،رقم

(3) ـ تروج بعض الروايات الشعوبية ان الخليفة " هرون الرشيد " قد ندم على ما اقترفه من ذنب تجاه وزرائه البرامكة • انظر ،البيهقي ، تاريخ ،ص206 الاربلي ، خلاصة ،ص146 ـ 148 •

(4) ـ انظر ،الاصبهاني ،الاغاني ،ج 18 ،ص303 • ،

(5) ـ يروى ان الرشيد بعد موته ـ عام 193هـ/ 808م ،قد وجدت في خزائن قصره حوالي اربع الاف خريطة لم تفض • ،الجهشياري ،الوزراء ،ص265 واذا صحت الرواية فان هذا الاخير لا يرجع آثار البرامكة او الفراغ الاداري الذي تركوه في بلاط الرشيد ، بل يرجع الى انشغلات الرشيد بالاعمال السياسية خلال الست سنوات التي اعقبت نكبة البرامكة .

مثل ريع البرامكة على مصالحهم ،ومن ثم عاشت دار الخلافة جوا محموما بالدسائس والمؤامرات اغلبها تدين البرامكة وتغري الرشيد على الاطاحة بهم (1) .

واصابع الاتهام تكاد تتجه صوب شخص واحد هو "الفضل بن الربيع" ويحمله اغلب ... بشقاء البرامكة . ومن الصعوبة بمكان تفسير سبب تركيز المؤرخين على هذا الشخص رغم وجود عناصر اخرى لوحظ عنها عدم ارتياحها لسياسة البرامكة وتملك وسائل التأثير على الخليفة اكثر منه (2)

والمهم ان حجم السعاية ضد البرامكة كان كبيرا ومن غير المنطق ان نحملها لشخص واحد ،بدليل ورود تقارير سرية الى دار الخلافة من عناصر مجهولة (3)

ومع ذلك فان هذه المحاولات لم تفسر عن اية نتيجة ،حيث لم يكن الخليفة الرشيد مندفعا وتغريه الدسائس ليتخذ اهم قرار خطير قبل سبر الاحداث و ترصد الظروف الملائمة (4) .

---

(1) ـانظر ، اليافعي ،مرآة ،ج 1 ،ص 411 ،ابن بدرون ، قصيدة ، ص 246 .

(2) ـمثل زوجة الخليفة الرشيد ـ زبيدة ـ التي كانت تمقت سياسة البرامكة خاصة جعفر الذي أهان ابنها " الامين " امام وجهاء وكبار رجال الدولة وذلك اثناء تأديته يمين الوفاء لأخيه المأمون عندما بايعه المسلمون على ولاية العهد ،انظر، ما سبق ،

(3) انظر ،اليافعي ،المرآة ،ج 1 ص 411 ،ابن عبد ربه ، ج 5 ،ص 71 ـ 72

(4) ـعبر عن استيائه هولاء السعاة احد الشعراء المجهولين بقوله في قصيدة من بحر " الرمل " جاء في مطلعها ـ

لَيْتَ هِنْدا انْجَزَتْنَا مَاتَعِدْ + وَشَفَتْ .. انْفُسَنا مِمَّا تَجِدْ
وَاسْتَبَدَّتْ مَـرَّةً وَاحِدَةً + اِنَّمَا العَاجِزُ مَنْ لاَيَسْتَبِدْ

تقول الرواية انها دست لأحد المغنيين ،ليسمعها الرشيد ، فيزيد حقده على وزرائه البرامكة ،انظر ، شلبي ،تاريخ ، ص 228 ،اعتمادا على احمد امين ،هارون ص 221 .

ولعل استمرار البرامكة في هذا الاتجاه هو ماحدا[1] ببعض المؤرخين الى القول بأن عملية الاستغناء عن خدماتهم لم تكن قد بدأت بقتل "جعفر البرمكي" عام 187هـ/802م ،وانما كانت ارهاصات التفكير فيها ترجع الى سنوات قبل ذلك (1) .

وبناء على ما تجمع لدي من روايات أرى وضوح موقف الرشيد يتحدد باستمرار تجاه وزرائه في أكثر من مناسبة ،وذلك حين كان قد حرمهم من امتياز الدخول عليه بغير اذن كما أمر غلمانه بعدم الوقوف للبرامكة كدليل على الانتقاص من شأنهم (2) ولعل اهم حدث يمكن الاستعانة به لتفسير أسباب تطور الشك في سياسة البرامكة هو قضية "جيش البرامكة" الذي كونه الفضل في فترة وجيزة أثناء ولايته على اقليم خراسان (3) والذي لوحظ انه لم يكن غرض تكوينه من اجل الدفاع عن الدولة بل كان بمثابة احداث توازن استراتيجي في حلبة الصراع القائم بين اسرة البرامكة ومعارضيهم والذين فطنوا الى خطر

---

(1) ـ ترجع اعراض ذلك الى سنة 180هـ/796م عندما أخذ الرشيد يباشر اعماله دون سابق استشارة لوزرائه البرامكة ،وغالبا ماكانت تهدف تصرفاته الى محاولات تمهدية للحد من سيطرتهم ،مثل تعيين الرشيد "جعفرا" على خراسان ثم عزله بعد عشرين يوما فقط ،وتعيين بدله عدوهم "علي بن عيسى" ليعمل على ضرب مصالحهم هنالك في الاقاليم الفارسية الموالية لسياسة البرامكة . انظر،
الطبري ،تاريخ ،ج8،ص262ـ267 ،ابن خياط ،تاريخه ج2 ،ص499 ،
البيهقي ،تاريخه ،ص441 ،ابن الاثير ،الكامل ،ج5 ص102 ـ 103 ،
ابن التغري بردي ،النجوم ،ج 2 ، ص 99 .

(2) ـ انظر ،الطبري ،تاريخ ،ج 8 ،ص 287ـ288 ،الاربلي ،خلاصة ،ص 145ـ146 وهناك من الروايات مايفيد ان يحى البرمكي قد صار يتردد في الدخول على الرشيد لازدياد مخاوفه منه ،انظر الجهشياري ،الوزراء ص 227

(3) ـ انظر تفاصيل الاحداث التي احاطت بتكوين هذا الجيش في الفصل الرابع من هذا البحث .

وكان اسراف البرامكة في استغلال بيت المال والحرية المطلقة في تصريف الارزاق على النحو الذي سبق ذكره (١) مثار استنكار العامة والخاصة على السواء (٢) هذا فضلا عن صعوبة وجود توازن منطقي بين مظاهر الاسراف التي كانوا يعيشونها وبين التطور الاقتصادي للدولة عهد نفوذهم حيث لا يوجد تفسير لذلك غير اجتهاد البرامكة في جمع الضرائب بمختلف الوسائل دون مراعاة المصلحة العامة الشيء الذي ترتب عنه استنكار كبير ضد سياستهم من طرف كثير من العناصر المستنيرة في الدولة ممن كانوا يتمتعون بضمير حي لصالح خدمة العروبة والاسلام(٣).

ولئن كان عيب سياسة الرشيد اظهار موافقته على تصرفاتهم حياء منهم وحفاظا على حرمة العلاقة التي كانت بينه وبينهم ، فانه كان من الطبيعي ان يتلقى البرامكة انتقادات من المخلصين ممن تربطهم بهم روابط مصلحية.

بيد انه من الصعب تفسير رفض البرامكة مقترحات اصدقائهم فيما لو استبعدت فكرة شعورهم المتزايد بقوة الدور الذي كانوا يمثلونه(٤).

---

(١)ـ انظر ، الفصل الخامس ، دور البرامكة الاقتصادي.

(٢)ـ انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص٢٢٧ـ البيهقي ، تاريخه ، ص٧٢٢ ، ابن الوكيل احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة ٢٥ب ، ٥٢ب ٥٥ ا ، ابن خلدون ، المقدمة ج ١ ، ص ٤٤ـ٤٥ .

(٣)ـ عبر عن شعور الرأي العام احد فقهاء بغداد ـ محمد بن الليث الخطيب برسالة وعظ وتحذير بعثها للرشيد ، يذكره فيها عواقب تركه المسؤولية رعاياهم بين يد وزرائه البرامكة ـ ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، ج ٢٠ ص ٨٠ـ

(٤)ـ عنف جعفر احد اصدقائه حين اقترح عليه تحويل شيء من اموال البرامكة الى بيت المال ، حيث قال (... والله ما اكل الخبز ابن عمك ـ يقصد الرشيد ... الا بفضلي و لاقامت هذه الدولة الا بنا والله لئن سألني شيئا من ذلك وبالا عليه سريعا ...) ، انظر ، الاتليدي ، اعلام ، ص١٠٧ ، ومما يشبه هذه الاجابة رواها بعض المؤرخين على لسان " يحيى البرمكي " ايضا ، انظر ، المسعودي ، مروج ج٣ ، ص٣٦٢ ، الجهشياري ، الوزراء ص ٢٢٧ .

والمتتبع لتاريخ الخلافة العباسية يرى بوضوح ان جل الأعوان و المستخدمين الاداريين الذين تسميهم بعض المصادر تجاوزا بـ باسم " الوزراء " غالبا مااختيروا من الموالي (1) ،حتى يسهل على الخلفاء التخلص منهم او التنكر لخدماتهم اذا ما لمسوا منهم تدخلا او اعتداء على سلطتهم (2) • وتبعا لهذا الاختيار فقد ضاعت هيكلة الوزارة ولم تتطور كموءسسة ذات قواعد ثابتة في تاريخ الخلافة العباسية •

وبالنظر الى الظروف الاستثنائية التى اوصلت البرامكة الى السلطة فان المؤكد حتى الآن انهم بالغوا فيما وصلوا اليه مستغلين كل الظروف لصالحهم ،حتي في الوقت الذي ابدى فيه الخليفة الرشيد استعداده الكامل لـ لأخذ زمام الحكم بنفسه (3) •

ولم يتوقف البرامكة عن مساعدة مواليهم والعناصر المشكوك فيها وفي ولائها للدولة في وقت كان التطور الحضاري للخلافة العباسية يفرض وجود منهم اهل لتلك المناصب من غير مواليهم ،ولذلك عمل هوءلاء على الانتقام منهم بمختلف الوسائل (4)

---

(1) ± انظر ما سبق

(2) ـ مثلما حدث للوزير " ابي سلمة الخلال " في عهد الخليفة العباسي الاول " ابو العباس " وابو مسلم الخراساني في عهد الخليفة الثاني " ابي جعفر " ، ويعقوب بن داود " في عهد الخليفة الثالث " المهدي " ،انظر ،تفاصيل اخبارهم في الفصل الثاني

(3) ـ انظر ،ابن الطقطقي ،الفخري ص156 ،اليافعي ،المراة ،ج 1 ص410 ،

(4) ـ ابسط مايلاحظ من وسائل الانتقام ضد ادارة البرامكة عزوفهم عن الاستمرار في خدمة الدولة ومحاولة اظهار عدم التعاون مع الخليفة الرشيد فيطبقي الوضع ما هو عليه بيد هوءلاء الوزراء ،انظر ،
ابن قتيبة ، الامامة ،ص195 ـ 196 •

ومـــن الصعوبة بمكان تصديق الوشاية التي وصلت الى الخليفة الرشيد ضد عبد الملك التي تتهمه بالطموح الى منصب الخلافة ومساعدة البرامكة له . وذلك لسببين أحداهما ندرة الكلام عن هذا الموضوع خارج تفسير المؤرخين اسباب سقوط البرامكة ، وثانيهما الزعم بان هذه الوشاية نقلت الى الرشيد عن طريق ابن "عبد الملك" وأميــــره (1) .

وتجب الاشارة ان مشكلة هذا الامير وتخوف الرشيد منه لم تطرح الا بعد ان كان الخليفة الرشيد قد نفذ خطته في تصفية وزرائه البرامكة ، ويدل على ذلك حجـــم المراسلات القائمة بينه وبين "يحى البرامكي" حول هذا الموضوع (2) وعلى ذلك يمكن القول ان هذه القضية مازالت تحتاج الى ما يدعمها حتى تقبل آخر كاحدى بواعث تفسير تخلي البرامكة الخليفة الرشيد عن وزرائه البرامكة (3) .

واظن ان الاستمرار في سرد اهم الروايات التي فسر بها المؤرخون اسباب نكبة البرامكة لا يقود الا الى استنتاجات سطحية ومتناقضة ايضا (4) .

ويبدو لي ان مناقشة هذا الموضوع لا تكون جادة ، الا عن طريق محاولة وضع الحادثة ضمن سياق الاحداث وتطور طبيعتها وتداخلها ، حيث ان مكانة اسرة البرامكة في نظر العباسيين وعلى رأسهم الخليفة الرشيد لا تتجاوز ان تكون نظرة السيد لمواليه الذين كان عليهم تقديم فروض الطاعة والاخلاص المتفاني في خدمته .

---

(1) ـ اليعقوبي ، تاريخه ، جـ2 ، ص424 ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص103 .
(2) ـ ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 62 ب
(3) ـ هناك رواية مفادها ان الخليفة الرشيد قد حاول الافراج عنه عند سماعه تقرير رئيس شرطته حول موقف الامير "عبد الملك" منه ، انظر ، الطبري ، تاريخ ، جـ10 ، ص90 .
(4) ـ انظر الطبري ، تاريخ جـ8 ، ص294ـ296 ، المسعودي ، مروج جـ3 ص286ـ388 ابن الاثير ، الكامل ، جـ5 ، ص114ـ 116 ، اليافعي ، مرآة ، جـ1 ، ص409 الاتليدي ، اعلام ، ص 106ـ 107 ، ابن تغري بردي ، النجوم ، جـ2 ، ص115 ، محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية ، ص217ـ220 ، جاسم آل كلكاوي العلاقات ، ص12ـ13 ، محمد برانق ، البرامكة ، ص144ـ145

-Quatremere,op;cit;pp106-107, Bouvat,op;cit;p94.

Nikitta ,op;cit;pp135-136 .

ووصفها بأنها ذهبت ضحية موقف شريف هو مناصرة آل البيت من نسل علي بن ابي طالب وليس ضحية أخطائهم التي ارتكبوها في حق الدولة والمجتمع العباسي ، وقد فسر بعض المؤرخين سبب نكبتهم بالعلاقة التي كانت بينهم وبين الامير العباسي " عبد الملك بن صالح (1) رغم غموضها وعدم ثبوت صحتها عند اول محاولة لانتقادها (2)

فلأمير العباسي "عبد الملك" لم تصل به الحاجة الى هذه الدرجة من الانحطاط التي افقدته عزته وكرامته . كما انه لم يكن عاجزا عن اخذ حقوقه بدون وساطة احد (2) . وفضلا عن ذلك فان الروايات التاريخية لا تشير الى اية علاقة بين البرامكة وبين هذا الامير خارج تفسيرها لأسباب النكبة ، مما يثبت عدم صدقها من جهة ومن جهة اخرى وضوح شعوبية بعض المؤرخين تقصد الحط من قيمة الامراء العرب العباسيين والتنويه بفضل البرامكة عنهم ، وكأنهم أولياء نعمتهم (3)

---

(1) ـ توفي عام 196هـ/811م ، وكان قد ولاه الخليفة الهادي على الموصل عام 169هـ 785م وعزل عنها سنة 171هـ/ 787م ، وقد ارتبط تاريخ نشاطه في الحملات التي كان يرؤسها ضد البيزنطيين على الحدود الشمالية للدولة حتى عام 187هـ/ 802م حيث سجن بامر من الرشيد لدوران الشك حوله ، انظر ، اليعقوبي ، البلدان ، ص423 ـ 424 ، الاعلام ، ج 4 ، ص 159

(2) ـ تتحدث بعض المصادر ان الامير عبد الملك لم تمنعه منزلته و تقواه من الدخول الى مجلس لهو وشرب " جعفر البرمكي " والجلوس اليه ليساعده على قضاء دين كان عليه والوساطة له عند الرشيد في توظيق ابنه على احدى الامارات وتزويجه باحدى بنات الخليفة ويروى ان "جعفر" قد لبى لمجميع المطالب دون الرجوع الى الخليفة الرشيد . انظر ، الجهشياري ، الوزراء ص212 ـ 213 ، الاتليدي ، اعلام النساء ، ص 102 103 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ورقة 74 والياقعي ، مرآة ج 1 ص 405 ـ 406

(2) ـ انظر الازدي ، تاريخ ، ص264

(4) ـ نسبت قصة الامير " عبد الملك " الهاشمي مع اسرة البرامكة الى الفضل البرمكي ايضا مما يبين انها من وضع الرواة ولا أساس لها من الصحة ، انظر ، الازدي تاريخ ، ص262 ـ 263 .

وتبالغ بعض الروايات في الحديث عن هذا الموضوع لدرجة زعمها انهم كانوا يجتمعون بهم في مناسبات كثيرة ، وان صلتهم بهم كانت قوية (1) .

وفي الحقيقة فإنه من الصعوبة بمكان تفسير موقف البرامكة من العلويين فيما لو استبعدت محاولتهم اتباع سياسة توفيقية تجاه التنافس الدائم بين الحزب العلوي والعباسـي (2) .

ومن غير المنطق ان تفسير تقارب البرامكة من الحزب العلوي بطموحهم الى نيل شيء منهم حالة نجاح العلويين في نقل الامامة اليهم بدل العباسيين قياسا لما وصل اليه البرامكة من سلطة في عهد الرشيد : وهناك من الشواهد مايبين صراحة معاداتهم للحزب العلوي في اكثر من مناسبة ، وقد كان البرامكة على صواب حين كانوا يعتبرون خلافة الرشيد هي دولتهم وعز نفوذهم (3) ، ولذلك فانه من الصعب قبول فكرة مناصرة البرامكة للحزب العلوي ، وربما يكون مصدر هذا الاتهام محاولة بعض الشعوبيين تمجيد اسرة البرامكة (3) .

---

(1)ـ انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص 195 ـ 197 ، لمؤلف مجهول ، مختصر (مخطوط) ورقة 40 ب و جرجي زيدان ، تاريخ التمدن ، ج 4 ، ص 160 ـ 161 ، ضيف الله بطانية ، العلاقات ، ص 344 ـ 348 ،

(2)ـ سمح البرامكة للشيعة والعلويين بمناقشة مواضيع حساسة في مجالسهم ، وقد اشرت سابقا الى ان احدهم كان رئيس المجالس البرامكية ، انظر ماسبق .

(3)ـ هناك مايفيد ان البرامكة قد حاولوا في بداية حكمهم عام 171 هـ / 787 م ، نفي اغلب العلويين من بغداد وتسريدهم ، وتتهمهم بعض الروايات انهم كانوا من المشاركين في قتل الزعيم العلوي في المغرب " موسى الكاظم " وتسميم " ادريس " اخ عبدالله العلوي في المغرب الاقصى . ، كما انهم كانوا يسمحون لشاعرهم " مروان بن ابي حفصة " هجاء العلويين في قصائد بالغة التجريح . ، انظر الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ، ص 487 ـ 491 ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 227 ، جاسم آل كالكاوي ، البرامكة ، ص 12 ـ 13 ، محمد برانق ، البرامكة ، ص 1441 ـ 202 ، وسهيل زكار ، تاريخ ، ص 51 ـ 52 ، ، رونيه باسيت ، دائرة المعارف الاسلامية مادة " ادريس " ، ج 1 ، ص 544 ـ 545 .

والظاهر ان تحليلا كهذا لا يقتصر على الاعتماد على كرامة مؤرخ نابه كـ " ابن خلدون " فحسب بل يتجاوز الى محاولة انكار فعالية العادات والاعراف العربية التي كانت متوقدة وقتئذ (1) .

والمهم ان قصة " العباسة " وعلاقتها بـ " جعفر البرمكي " لا يمكن الاعتماد عليها لتفسير اسباب استنكار الخليفة الرشيد سياسة البرامكة ونكبتهم (2) ، ومن الاسباب التي شاعت لتفسير سقوط البرامكة ميلهم للحزب العلوي سرا ومساعدتهم على التمكن من دولة الرشيد (3) .

---

(1) - من بين اهم الاخطاء التي عدها الخليفة الرشيد العباسي " المنصور " عن ابي مسلم الخراساني اميره على خراسان ، وكانت احدى اهم اسباب غضبه عليه ، طلب ابي مسلم يد احدى الاميرات العباسيات . انظر ،
الطبري ، تاريخ ، جـ 6 ، ص 425- 426 ، جـ 7 ص 491 ، وابن الاثير ، الكامل ، جـ 4 ، ص 355 ، والخضري (محمد بك) ، تاريخ الامم ، ص 128 .

(2) - يدل على ذلك اختلافات المؤرخين ، وابداء شكهم فيما عندما يتعرضون لهذه المشكلة ، انظر الجهشياري ، الوزراء ص 243 ، لمؤلف مجهول ، العيون ، جـ 3 ص 307 .

(3) تتناقض الروايات التاريخية عندما تشير الى ان " يحى البرمكي " كان يساند ثورة " عبد الله العلوي " في الديلم - التي اشرت اليها - ثم يكلف ابنه " الفضل بالقضاء عليه حين ارسله على راس اكبر حملة في تاريخ الخلافة العباسية ، وحسبما تجمع لدي من روايات الاحظ ان قضية يحى العلوي " هذه لا اساس لها من الصحة ، ويدل على ذلك اختلاف الروايات اختلافا بينا ، فهناك من يشير الى ان الرشيد قد اطلق سراحه بعد مناقشة طويلة معه . في حين يذكر بعضهم ان الخليفة قد عقد مجلسا خاصا للفقهاء وناظرهم في امكانية انتقاض عهد الامان الذي منحه لهذا العلوي بمقتضى الصلح الذي كان بينهما .. وبعضهم ينسب اطلاقه من السجن الى الفضل البرمكي ، وليس الى جعفر كما شاع ذلك عند غيرهم والظاهر ان مصدر هذه الاختلافات لم يكن سوى محاولة هؤلاء المؤرخين ايجاد مبرر موضوعي لتفسير نكبة الرشيد للبرامكة ، انظر ،
الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 244- 247 ، 251 . الاصبهاني ، مقاتل الطالبين ص 471- 472 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 144 ، ابن كثير ، الكامل ، جـ 10 167- 168 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 25 ب .

وحسبما تجمع لدي من روايات فان أول من افصح على رآيه بوضوح في هذه القضية هو المؤرخ ابن خلدون ، حين رفض القصة وفند الروايات ، اعتمادا على الاسس الاخلاقية والاعراف العربية وقتذاك وأقر صراحة ان تصديق صحة هذه القصة دليل على غياب روح النقد والتبصر لدى الرواة والمؤرخين الذين سبقوه (1) .

ويظهر ان هذا الرآي المتواضع من جانب مؤرخ يؤمن بفعالية الدين الاسلامي والتقاليد العربية الاصيلة في صيانة كرامة الشخص هي التي اثارت حفيظة المستشرق كاتريمير Quatremere (2) ، حين كتب موضوعا ينتقد فيه حجج ابن خلدون ويتهمه بالتعصب والسفسطائية بدعوى انه مثقف ، نعم ولكنه لا يعرف قلوب الناس (3) ويصل بعد محاولات الى تصديق القصة اعتمادا على افكار جاهزة استوحاها من تاريخ المجتمع الاوربي (4) وانتهى بعد ذلك الى ان فكرة زواج اخت الرشيد من " جعفر البرمكي " لا يمكنه ازعاج اللياقة و الاداب في المشرق ، وان الاميرة العباسة لا يمكن ان تحس بأن سعادتها [illegible] وكرامتها قد جرحت نتيجة هذا الاختيار (5) .

---

(1) ـ قال ابن خلدون بعد ان سرد موجز القصة " وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وابويها وجلالها وانها بنت عبد الله بن عباس ، ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده ، ابنة خليفة واخت خليفة محفوفة بالملك العزيز قريبة عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها ...) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ1 ، 43ـ44

(3) ـ حين اراد هذا المستشرق الاستدلال بأمثلة لهذه الزيجات عند المسلمين اعتمد على من عاصروه من باشوات الامبراطورية العثمانية في عهد انحلال حكامها وسيطرة النساء علـــى قراراتهـــم

-Quatremere,op;cit;pp1u6-107.

(4) ـ حاراه في هذا الراي بعض المستشرقين ممن تستهويهم شواذ الروايات للاعتماد عليها في الدس وتشويه اعلام الدولة العربية الاسلامية وقادتها انظر ،

-Qatremere, op; cit; p 1u6;

فضلا عن ذلك فانه من الصعوبة بمكان وجود رواية تتحدث عن فكرة الزواج الصوري في تاريخ الخلافة العباسة خارج تفسير المؤرخين اسباب نكبة البرامكة • وحتى ولو قبل ذلك فانه من غير غير المنطق الا يلاحظ الرشيد آثار الحمل على اخته وهي تجالسه باستمرار كما هو الزعم •

ولذلك فانه من الصعب اعطاء قيمة تاريخية لهذه القصة لدوران الشك حولها لدى كبار مؤرخي التاريخ الاسلامي (1) ، فضلا عن رفضها من جانب بعض من كانوا معاصرين للاحداث حيث اعتبره ذلك من افكار العامة السذج (2)

واغلب الظن ان مصدر هذه الرواية لم يكن سوى من وضع احد المجان من اصدقاء البرامكة اراد هو الآخر مشاركة الراي العام تفكيره في الاحداث والمناقشات القائمة في دار الخلافة (3) •

---

(1) اليعقوبي ، صاحب كتاب البلدان ، و ، التاريخ ، والبلاذري في كتابه انساب الاشراف لم تنل قصة العباسة اهتماما لديهما ، ولمؤلف مجهول في كتابه العيون يبدي كثيرا من الشك عند ايراده لمختصر القصة • ، اما الطبري فقد اوجز ذكرها استنادا على غيره كعادته •

(2) — سئل احدهم عن الاسباب التي جعلت الخليفة الرشيد يقدم على مثل هذا العمل [• • • كانك تريد ما تقوله العامة فيما دعوه من امر المراة ، لا والله ما لشيء من هذا اصل • •) الرواية لعبيد الله بن يحى بن خاقان حين سأل "مسرورا" الخادم ايام الخليفة المتوكل ، انظر الجهشياري ، الوزراء ، ص 254 • ،

(3) — لعل سوء حظ العباسة في موت من تزوجها في بداية شبابها اوجد فكرة تشاؤم العامة منها • • ، ومن ثم نسبوا بسبب موت " جعفر البرمكي " الى زواجه بالعباسة بدليل قول ابي نواس

لاَ تَقْتُلْهُ بِالسَّيْفِ + وَزَوِّجْهُ بِالعَبَّاسَة

انظر ، عمر فاروق ، ابو نواس جـ 2 ص 32

وتنتهي تفاصيل المشدة عند وقوف الرشيد على حقيقة الامر المزعوم ، وتذمره من خيانة مولاه "جعفر البرمكي " لشرف العائلة الهاشمية الحاكمة ومن خيانة اخته العباسة التي داست التقاليد العربية وقضت على حرمتها (1) .

والملاحظ ان هذه الروايات لا تتفق مع الاحداث التاريخية ويرفضها الواقع جملة وتفصيلا . فالعباسة كانت متزوجة باحد وجهاء العائلة الهاشمية وهو " محمد بن سليمان " امير البصرة ، وحتى عام 173هـ/ 789م وهي السنة التي توفي فيها هذا الامير كانت العباسة " قد تزوجت بعده بأمير آخر من بني العباس وهو " العباس بن صالح بن علي " (2) .

ولم تكن اخت الرشيد هذه من المكانة العلمية وسعة الثقافة ما يجعل الخليفة لا يستغني عن مجالستها (2) وقد يكون ذلك صحيحا فيما لو نسبت القصة لاخته الثانية علية " ذات النشاط الثقافي الهام بين حريم قصر الخلافة (3)

---

(1) ـ تزعم بعض الروايات ان الخليفة الرشيد قد تظاهر بقضاء فريضة الحج لموسم عام 187هـ/ 802م فقصد مكة ليتحقق فيما حكت له زوجته زبيدة في امر ابناء العباسة التي ارسلتهم الى حاضنة هناك . فوجد الموضوع صحيحا ومن ثمة اظهر العداوة للبرامكة وامر بقتل جعفر البرمكي كما اشرت سابقا ، اما العباسة فكان مصيرها الاعدام حرقا . ، " النار والعار " حسب تعبير احدى الروايات . انظر الطبري ، تاريخ جـ 8 صـ 294 ، المقدسي ، البدء ، ص 105 ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ 5 ، ص 114 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 156 . ، ابن التغري بردي ، النجوم ، جـ 2 ص 115 ، ابو الفداء ، مختصر ، جـ 2 ، ص 16 . ، خاوند شاه ، روضة ، ص 136 ،

(2) ـ انظر ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص 380 .

(3) ـ الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني ، المهتم بكل كبيرة وصغيرة حول مثل هذه المواضيع لم تنل العباسة شيئا من الاهتمام عنده . كما ان فكرة مجالسة الرشيد ومناداته النساء غير واردة في كثير من المصادر التي اعتمدت عليها .

(4) علية (160 ـ 210هـ/ 777 ـ 825م) وقع هناك خلط بين العباسة وعلية اختها . ، في بعض المصادر التي حسبت الاسمين لمسمى واحد . ، والوقع فانهما اسمان لبنات المهدي ، وان " العباسة " ليست " علية " لورود الاسمين ضمن جملة بنات المهدي في المصادر الاساسية . ، انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون جـ 3 281 . ، الاربلي ، خلاصة ص 91 ، . وقد كانت علية على خلاف العباسة ، شاعرة ولها ديوان شعر ابدعت فيه ، كما كانت تحسن الغناء وتعلمه لغيرها من حريم البلاط العباسي ، الزركلي ، الاعلام ، جـ 5 ، ص 35 .

التي زادت من حيرة المؤرخين الذين راحوا يبحثون عن الاسباب التي جعلت الرشيد يسلك هذا المسلك، وقد ادرك بعضهم الصواب، واخفق منهم من كان يحمل افكارا مسبقة عن الخليفة ودولته فظلت تفسيراتهم سطحية ومثيرة للدهشة في آن واحد

وقد احتلت العلاقة المزعومة بين "اخت الرشيد" وجعفر البرمكي" طليعة ا... اسباب تفسير نكبتهم، بدعوى ان الخليفة لم يكن يصبر على غياب احدهما في مجلسه وانه في سبيل الوصول الى حل ذلك اثر تزويجهما زواجا صوريا لا يحل منه غير نظر كل منهما الآخر . ، وتتمادى الروايات في سرد القصة لتصل الى ان عملية الاتصال بينهما قد كانت تتم سرا وبمجهود من "العباسة" نفسها حتى انجبت منه (1)

وحدث ان اضمرت "زبيدة" - زوجة الرشيد - العداوة لـ "جعفر البرمكي" فكشفت لزوجها تفاصيل العلاقة بينهما، وطلبت منه التأكد بنفسه حين ابدى رفضه الكامل للموضوع.

---

(1) - تزعم الروايات ان "ام جعفر" كانت تدخل عليه كل ليلة جارية، فاتصلت بها العباسة واقنعتها بضرورة ادخالها عليه متنكرة في زي احدى الجواري، وانه حين افاق جعفر من سكره، وكشفت له العباسة حقيقة امرها، امتعض "جعفر" وانب امه ويبدو ان مثل هذه الروايات صعبة التصديق ولعل القصد منها محاولة بعض الرواة الشعوبيين تلفيق القصص للمس بشخصية العباسة اخت الرشيد، انظر، المسعودي، مروج، ج 3، ص364- 387
الطبري، تاريخ، ج 8، ص 294، ابن الاثير، الكامل، ج 5، ص114، اليافعي، مرآة، ج 1، ص408- 409
الاتليدي، اعلام الناس ص105- 107، و، لمؤلف مجهول، مختصر، ورقة 149، خواندامير، حبيب السير، ص806،

ومهما يكن فا لشائع ان "يحي البرمكي" قد توفي عام 190هـ / 805م عن عمر يناهـــز السبعين سنة نتيجة مرض اصيب به خلافا لما تدعيه بعض الروايات الشعوبية من انه مـــات بتاثير السم الذي وضع له في السجـــــــــن (1) .

واظن ان موقف الرشيد اتجاه وزرائه وعزمه التخلص منهم ثم سكوته عن تقديـــم مبررات موضوعية عن ذلك (2) ، قد كانت مـــن اهم العوامـــــــــــــل

---

(1) ـ ابن عبد ربه ، العقد ، جـ 5 ، ص 66 ـ 68 ، ابن بدرون قصيدة ، ص 238 و ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 162 ،

(2) ـ تزعم بعض الروايات ان الخليفة الرشيد قد تعرض لعدة استفسارات عن سبـــب نكبته لوزرائه البرامكة من طرف عدد كبير من المقربين اليه فكان يتهرب من ذلك بقوله (... لو علمت ان قميصي يعلم السبب لمزقته ..) انظر ، ابن بدرون ، قصيدة ، ص 235 ، اليافعي ، مرآة جـ 1 ص 411 ، والا ربلي ، خلاصة ، ص 146 . ، وحسبما تجمع لدي من الروائات الأخذ ان موقف الرشيـــد قد كان واضحا وان قراره بخصوص وزرائه كان حاسما لا رجعة فيه بدليل بقاء يحي البرمكي حتى آخر ايامه متشبثا بالحياة على امل الافراج عنه كما تؤكد ذلك العديد من الرسائل بينه وبين الخليفة ، مما يبين حدة المشكلة وصرامة الخليفة في حلها . انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 252 ، ابن عبد ربه ، العقد ، جـ 4 ، ص 60 ، 213 ، 215 ، جـ 5 ، ص 60 ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق ، ص 198 ـ 201 ، حسن خطاب الوكيل ، عبرة في ايام الرشيد ، ص ص 58 ـ 67 .

وفي الحقيقة فان ذلك لم يكن سوى ترويج دعائي لا اساس له من الصحة فلا السجون وقتذاك كان بامكانها ان تستوعب هذا الحشد المبالغ فيه ، ولا الدولة كانت تشرف على مثل هذه المؤسسات الاجتماعية حيث كانت لا تتجاوز مآوي غير منظمة يفرض على اهل السجين رعاية سجينهم (1)

وفضلا عن ذلك فانه من الصعوبة بمكان وجود رواية صريحة تتحدث عن استمرار وجود شخص من البرامكة عدا "الفضل" وابيه "يحى" وعلى العكس من ذالك فان المصادر الموثوق بها عندما تتحدث عن هذين الشخصين تبين انهما عوملا معاملة حسنة بالسماح لاقاربهما ومواليهما بزيارتهما ، فضلا عن اتصال الشعراء والندماء لخدمتهما والترفيه عنهما (2) .

وهناك ما يثبت أن "يحى البرمكي" لم يسجن بقرار من الخليفة الرشيد وانما وضع تحت الاقامة الجبرية في منزله ، وانه بناء على طلبه اصر على دخوله السجن بجانب ابنه "الفضل" بعد اخذه تعهدا من الخليفة بأن لا يمس بضرر (3)

---

(1) ـ انظر هادي علوي ، السياسة الاسلامية (الفكر والممارسة) ، دار الطليعة بيروت ، 1394هـ / 1974م ، ص150 ،

(2) ـ ابن المعتز ، طبقات ، ص256ـ 257 ، والطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 296 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص115 ، والاربلي ، خلاصة ، ص147ـ148 ابو الفداء ، المختصر ، ج 2 ، ص 16 ، 6

(3) ـ انظر الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 296 و ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص115 الجهشياري ، الوزراء ، ص 240 ، ابن الوكيل ، احسن المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 143

ويروى انه حين وصلت اليه اخبار الحادثة بادر في تدبير خطة لم تفصح المصادر التاريخية عن غايتها وذلك حين روت خبر اعلانه عن اجتماع طارىء لأغلب افراد العائلة (2) ولعل هذا الموقف من جانب البرامكة كان سببا في اعتقال بعضهم خشية اثارة البلبلة في اوساط العامة (3)

ومن الصعوبة بمكان تصديق الروايات التي تضخم الحادثة حين تتحدث من حشد البرامكة ومواليهم في السجون • وتصور معاناتهم فيها نتيجة المعاملة السيئة التي كانوا يتلقونها على ايدي السجانين (3) •

---

(1) - يستفاد من الروايات ان عدد البرامكة المجتمعين قد بلغ 25 نفرا ،عدا جعفر الذي كان قد اعدم ،قارن ،ابن قتيبة ،الامامة ،ص 200، و ابن عبد ربه العقد ،ج 5 ،ص 59- 60 •

(2) - انظر ،الطبري تاريخ ، ج 8 ، ص 296 ،و ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 306 • ابن خلدون ، كتاب العبر ،ج 3 ، ص 223 •

(3) - انظر ،المسعودي ، مروج ،ج 3 ، ص 393- 394 • ، لمؤلف مجهول ، مختصر (مخطوط) ، ورقة 49ب ، الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 111، ابن بدرون ، قصيدة ،ص 231- 232 ، اليافعي ، مرآة ،ج 1 ،ص 412 • وتبالغ بعض الروايات في الحديث عنهم الى حد رواية بعض القصائد نسبوها اليهم خطأ ،ومنها "القصيدة التي جاء في مطلعها من بحر " الطويل "

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ اهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الاحْيَاءِ فِيهَا وَلَا المَوْتَى

والواقع ان القصيدة للشاعر اسمه " مطيع بن اياس " قالها حين سجن في عهد المهدي ، قارن ،الجهشياري ، الوزراء ،ص 260 ، ب المسعودي ،مروج ج 3 ،ص 392 و ب المرتضي، امالي ، ج 1 ،ص 145،

خطيرة عن امن اقليم خراسان التي تعتبر من الوجهة النظـــــرية تــحت ادارة ومسؤوليــــة " جعفر" (1) •

ويروى ان " جعفرا " حين اكتشف المؤامرة كان الوقت قد فات ولم يعـــد بوسعه سبيل للنجاة غير محاولته اليائسة لاقناع الخادم بمراجعة سيده • وبصـــرف النظر عن وجود هذه المحاولة ام لا ، فالثابت ان عملية الاعدام قد نفذت فعلا وان الخليفة لم يتردد في ذلك قـــــط (2) •

واظن ان هذا القرار غير المتوقع قد احدث ضجة كبيرة في اوساط بغـــداد قبل ان يصل خبره الى شيخ البرامكة " يحيى " الذي كان قد ركن الى الراحة في بيته (3)

---

(1) — انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 115 — 117 • الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 109 ، و ، ابن بدرون ، قصيدة ، ص 232 — 234

(2) — توضح الروايات التاريخية ان " جعفرا " البرمكي قد تودد للخادم " مسرور " واخذ يمينه بالجاه والمال ليراجع الخليفة الرشيد في قراره • وقد حاول هـذا الخادم تنفيذ مااقترح عليه " جعفر " دون جدوى ، للمزيد عن هذا الموضـــوع راجع ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 295 — 296
المسعودي ، مروج ، ج 3 ، ص 287 — 234
ابو الفداء ، المختصر ، ج 2 ، ص 16
ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، ص 61 • ،
ابن كثير ، البداية ، ج 10 ، ص 197
لمؤلف مجهول ، مختصر ، (مخطوط) ، ورقة 149
ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 3 ، ص 223

(3) — تقول الرواية ان " يحيى " بعد سماعه الخبر اغتاض غيضا شديدا وقال ، (••• هكذا تقوم الساعة " انظر ، لمؤلف مجهول ، العيون ، ص 309 ، ولنفس الكاتب الامامة ، ص 200 ، والطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 299

من الملاحظ ان البرامكة قد بلغوا من الجاه والسلطان ما أمكن تسميته بـ" دولة داخل دولة " ، وكانت الاحداث تسير نحو تثبيت هذه الفكرة لولا ظهور حادثة مفاجئة غيرت مفهوم هذا الاتجاه تغييرا جذريا .

ويتمثل ذلك في الانقلاب غير المتوقع من طرف الرشيد ضد وزرائه البرامكة الذي قرر دون تردد تنفيذ عملية قتل "جعفر البرمكي" (1)

وبغض النظر عن الظروف التي احاطت بعملية الاغتيال هذه (2) فان المرجح انها نفذت في سرية تامة ، مما أثار فضول الكثير من المؤرخين ، فنسجوا حول الموضوع قصصا يصعب تصديقها لاختلاط الخيال بالواقع (3) ومن ذلك ان "جعفرا" قد استدعى ليلا الى قصر الرشيد بعد ان جرد من حرسه الخاص بدعوى ورود تقارير

---

(1) ــ نفذ ذلك على يد احد خدام الرشيد "مسرور" او "ياسر" على اختلاف الروايات ، وكان ذلك يوم السبت من مستهل شهر صفر عام 187هـ/ 802م ، ويروى ان خادمه قد اندهش لأوامر سيده ، وارتبك لولا جدية الرشيد وموقفه الصارم ، انظر التفاصيل عند ،
ابن قتيبة ، العيون ، ج 3 ، ص306 ، الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص294 ــ 296 الجهشياري الوزراء ، ص235 ــ 236 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص115 ، 127 ، البغدادي ، تاريخ ، ج 7 ص160 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص157 ، ميرخاوند شاه ، روضة الصفا ، ص 177 .

(2) تصور الروايات ان جعفرا البرمكي كان ساهرا في حفلة غناء مع مغنيه ، ابو زكار الاعمى ، الذي كان ينشده البيت التالي من بحر " الوافر " ـ

فَــلاَ تَبْعَدْ فَكُلُّ فَتىً سَيَأتِي ... عَلَيْــــهِ المَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي

وان جعفرا قد حاول مماطلة الامتثال لاستدعاء الخليفة له ، لولا اصرار الخادم المكلف باحضاره ، انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 117 ، الاصبهاني الاغاني ، ج 7 ، ص227 ــ 228 ، ولمؤلف مجهول ، مختصر (مخطوط) ، ورقة 149 .

(3) ــ انظر الاتليدي ، اعلام الناس ، ص109 ــ 110 .

ونفس الفكرة صرح بها أحد الشعراء المجهولين ممن انطقه كرم البرامكة ،دون أن يكون مؤهلا لقول الشعر على ما يظهر (1) ،كما يلاحظ ذلك من خلال مطلع القصيدة التالية التالية (من بحر الطويل) ،

وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ جَنْدَلَ جَعْفَراً   وَنَادَى مُنَادِي الخَلِيفَةَ يَا يَحْي
بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَادَ تَأَسُّفِي   عَلَيْهِم وَقُلْتُ لاَنَ لاَ تَنْفَعُ الدُّنْيَا (2) .

وهناك قصائد لشعراء غير معروفين ،تجاوزا تجاوبوا مع مأساة البرامكة ونكبتهم ،وظلت قصائدهم متداولة بين العامة وهي لا تخلو من جودة وفائدة (3) .

وممن استحسن شعرهم في رثاء البرامكة شاعر غير معروف جاء في مطلع احدى قصائده من بحر الكامل

ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي اكْنَافِهِمْ   وَبقِي الذِينَ حَيَاتُهم لاَ تَنْفَعُ (4)

---

(1) — جاء في مطلع قصيدته من (مجزوء الخفيف) ما يلي ،

يَا بَنِي بَرْمَكٍ وَاهاً لَكُمْ   وَلاَ يَامِكُمُ المُقْتَبَلَة
كَانَتِ الدُّنْيَا عَرُوسَا بِكُمْ   وَهِيَ اليَوْمَ ثَكُولٌ ارْمَلَة

وردت القصيدة دون تحديد اسم قائلها عند كل من ،
المسعودي ،مروج ،ج 3 ،ص 391 ،ابن تغري بردي ،النجوم ، ج 2 ،ص 140

(2) — الازدي ، تاريخ ،ص 311 ، الاتليدي ،اعلام الناس ،ص 122 .

(3) — قال احدهم ، (من مجزوء البسيط) ،

إِنَّ المَسَاكِينَ بَنُو بَرْمَكٍ   صُبَّتْ عَلَيْهِم غِيَرُ الدَّهْرِ

انظر ، المسعودي ،مروج ،ج 3 ،ص 389 .

(4) — القصيدة طويلة تقول الرواية انها وجدت معلقة على احدى جدران ابنية البرامكة انظر ،الاتليدي ،اعلام الناس ،ص 13 ،وقد تكون هذه القصيدة قد نظمت لنكبة البرامكة على نسج قصيدة للشاعر " لبيد بن ربيعة " الذي يقول في مطلع قصيدة له ،من " بحر الخفيف " ،

ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي اكْنَافِهِمْ   وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
يَتَآكَلُونَ مَغَالَةً وَخِيَانَةً   وَيُعَابُ قَائِلُهُم وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ

انظر ،الجاحظ ، البيان ،ج 1 ، ص 180 .

وتبعا لفعالية نكبة البرامكة وآثارها في نفسية الشاعر "ابي حزرة الاعرابي" (1) ،تنبا بضياع مستقبل "آل الربيع" وكانه يحملهم تبعية مالحق بالبرامكة حيث قال ،

مَا رَمَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمَكٍ لَمَّا ... انْ رَمَى مُلْكَهُمْ بِأَمْرٍ بَدِيعِ
انَّ دَهْرًا لم يَرْعَ حَقًّا لِيحْيَى ... غَيْرُ رَاعٍ حَقًّا لِآلِ الرَّبِيعِ (2)

وتجاوزت المبالغة في تصوير حال البرامكة بعد النكبة الى درجة جعلت من الشاعرة "عريب البرمكية" (3) ،تزعم انها وصلتها من اشعارهم ما يبين حالهم في السجن حيث قالت "من بحر الخفيف" ،

سَأَلُونَا انْ كَيْفَ نَحْنُ فَقُلْنَا ... مَنْ هَوَى نَجْمُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ
نَحْنُ قَوْمٌ اصَابَنَا عَنَتُ الدَّهْرِ ... فَظلنا لريبه نستكين (4) .

---

(2) - المسعودي ،مروج ، ج 3 ، ص393 .

(3) - حول هذه الشاعرة الماجنة والمغنية الحاذقة ،انظر الفصل السادس من من هذا البحث ، ص

(4) - لم يكن هذان البيتان لاحد من البرامكة بل هما جزء من قصيدة كاملة للشاعر "الحسين بن الضحاك" يرثي بها الخليفة العباسي "الامين" بن هرون للرشيد" انظر ، الاصبهاني ، الاغاني ، ج 21، ص 60- 61 .

وما ينسب لهذة الشاعرة قولها في احفاد البرامكة مطلع القصيدة التالية "من البحر البسيط"

كَأَنَّهُمْ وَبَنُو الغَوْغَاءِ حَوْلَهُـــمْ دُرٌّ وَمُشَخْلَبٌ فِي الأَرْضِ مَنْثُـــورُ (1) .

وخرج الشاعر " ابو العتاهية " (2) عما سار فيه معاصروه من الشعراء الذين ظلوا مستمرين في رثاء البرامكة والحصر على فراقهم فجعل من هذه الحادثة عبرة (3) لمن تستهويه ملذات الدنيا عن ذكر ربه عندما قال في مطلع احدى قصائده " من بحر البسيط"

قُولاً لِمَنْ يَرْتَجِي الحَيَاةَ أَمَـــا فِي جُعْفَرٍ عِبْرَة وَيَحْـــيَاهُ

كَانَ وَزِيرَي خَلِيفَةِ اللَّهِ هَـــا رُونَ هُمَا مَا هُمَا خَلِيـلاً هُ .

وفي آخر القصيدة له يقول " من بحر المتقارب" ،

فَطُوبَى لِمَنْ تَـــابَ بَعْدَ غِرَّةٍ فَتَابَ قَبْلَ المَمَـــاتِ طُوبَاهُ (4)

---

(1) ـ مشخلب ، مفردها مشخلبة وهو خرز ابيض يشاكل اللؤلؤ ، انظر ، الجهشياري ، الوزراء ، ص 241 ،

(2) ـ ابو العتاهية ، اسحق اسماعيل (130 ـ 211 هـ / 747 ـ 826 م) من فحول الشعراء في العصر العباسي الاول نشأ في الكوفة ثم رحل الى بغداد حيث اشتهر فيها وكانت علاقته جيدة بالخلفاء العباسيين منذ عهد الخليفة المهدي ، ويروى انه تعفف وزهد في الدنيا في عهد الرشيد لما لاحظه من مظاهر الاسراف واللهو اللذين شجعهما البرامكة في البلاط العباسي وفي المجتمع العباسي .
انظر ، اويستروب Oëstrup دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ، ابو العتاهية ، جـ 1 = ص 377 ـ 378 .

(3) ـ حاول بعضهم اتخاذ قضية البرامكة ونكبتهم محورا لنسج القصص وتنظيم القصائد ونسبها اليهم لتكون عبرة يستدل بها في الحياة . . انظر ، الاربلي ، خلاصة ، ص 163 ، و ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقـــة 83 ب .

(4) ـ الازدي ، تاريخ ، ص 306 ، الطبري ، تاريخ ، جـ 10 ، ص 87 ـ 89

وفي نفس الغرض نظم الشاعر " علي بن ابي معاذ " رايته الشهيرة في العبرة والموعضة حين قال (من بحر الطويل) ،

يا أيُّها المُغتَرُّ بالدَّهـر والدَّهرُ ذُو صَرْفٍ وذُو غَدرِ
إذا كُنتَ ذا جَهلٍ بِتَصريفِهِ فَانظُر إلى المَصلُوبِ بالجِسرِ
فَإنَّ فِيهِ عِبرَةً فاعْتَبِر يا ذا الحِجا والعَقلِ والفِكرِ (1)

كما استغلت حادثة نكبة البرامكة لوعظ المسؤولين وقتئذ حتى يقوموا سلطانهم ويكفوا عن ظلم الناس (2) .

واذا كان هؤلاء الشعراء قد ظلوا على ولائهم وآثارهم عن بقية الوزراء حتى وصلوا بهم الى اكثر مما يستحقون (3) ،فانه على العكس من ذلك بالنسبة لطبقة اخرى من الشعراء الذين كانوا يعتبرون حادثة نكبتهم جزاء لخيانتهم وغدرهم بالدولة التي وضعت كل ثقتها فيهم (4)

---

(1)ـ القصيدة طويلة تصور البرامكة في نفس شاعري مؤثر ، انظر المسعودي ،مروج ،ج 3 ،ص 389ـ390 .

(2)ـ جاء في احدى القصائد الشاعر ـ غير معروف ـ البيت التالي ،(من بحر السريع)
كانَ لَنا فِي أمرِهِم عِبْرَةٌ فَلْيَعْتَبِر ساكِنُ ذا القَصرِ ،
تقول الرواية انها وجدت أمام باب القصر ـ علي بن عيسى بن ماهان ـ أحد كبار رجال الدولة في عهد الرشيد ،في نفس اليوم الذي قتل فيه جعفر البرمكي انظر ،
المسعودي ، مروج ،ج 3 ، ص 389 ،
بن بدرون ،قصيدة ، ص 234 .

(3)ـ يتعذر وجود شخص او اكثر في تاريخ الدولة الاسلامسة ،نال من اهتمام الشعراء والادباء ما ناله البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية ،

(4)ـ انظر ،نماذجا من هذه القصائد ، عند كل من ،ابن المعتز ، طبقات ،ص72 83ـ86، الجهشياري ، الوزراء ،ص 47 ،ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 308 .

والملاحظ ان اغلب الشعراء الذين ردوا على مراثي البرامكة كانوا قد عاتبوا هذه الاسرة على موقفها من الدين الاسلامي خاصة (1) ، وذلك بسبب ما بذله هؤلاء من مجهود في حماية مظاهر الترف والبذخ المؤدية الى المس بمقومات الدين والاخلاق العامة ، فضلا عن اجتهادهم في احياء تراث الامم القديمة الديني الذي يتعارض مع الاسلام (2) .

ولم تكن آثار نكبة البرامكة قاصرة على الشعر وحده بل هناك الكثير من القصص والروايات المنسوجة عنهم وردت اغلبها في مصادر الادب .

وتجب الاشارة الى ان هذه الروايات اخذت طابع الاساطير الخيالية والتي ظلت متداولة على مر الزمن وحتى هذا العصر ، وذلك بسبب اهتمام بعض الرواة الشعوبيين بشواذ القصص المثيرة للدهشة والتعجب في نفسية السامعين امعانا منهم في تشويه تاريخ الدولة الاسلامية وسمعة القادة العرب (3)

---

(1) — قال امام اللغة العربية وراوية العرب " الاصمعي " قصيدة من بحر " السريع "

اذا ذُكِرَ الشِّرْكُ في مَجْلِسٍ ... اَضَاءَتْ وُجُوهُ بَني بَرْمَكِ
وَلَوْ تُلِيَتْ بَيْنَهُم آيَةٌ ... اَتَوا بِالأَحَادِيثِ عَنْ مَزْدَكِ

الجهشياري ، الوزراء ، ص 47 .

(2) — انظر ، ما سبق .

(3) — مثلما هو الحال بالنسبة للخليفة (هرون الرشيد) ، الذي ظلت الروايات الشعوبية توصم جبينه بالعار لموقفه الصارم من وزرائه البرامكة . انظر مثلا الرواية المنسوبة الى الرشيد حين نكبهم ، انه قال " ... لا آمن والله من اغراني بقتل البرامكة ما رأيت رخاء بعدهم ولا وجدت لذة ... وودت والله لو شطرت عمري وغرمت نصف مالي وملكي واني تركت البرامكة على امرهم ..) انظر الاربلي ، خلاصة ، ص 148 .

والملاحظ ان خيال هؤلاء الرواة قد ذهب الى ابعد حد في نسج الاخبار عن هذه الاسرة وقد اتخذ منحنى خطيرا في تاريخ الخلافة العباسية ، يتضح اصاحا كبيرا في محاولة تمجيد دور البرامكة في التاريخ وتخليد ذكرهم بكل الصفات الحميدة وتصويرهم على انهم ذهبوا ضحية التعصب العربي (1) .

وبغض النظر عن الامثلة التى يتعذر احصاءها (2) فان اي بحث في مثل هذه المواضيع لا يعتمد على النقد العلمي البناء لتراث البرامكة ، فانه لا يوصل الباحثين الا الى استنتاجات سطحية وبعيدة كل البعد عن الموضوعية التاريخية (3) .

وليس من المنطق اعتبار نكبة البرامكة سببا لكثير من الاحداث التى توالت على الخلافة العباسية بعدهم حيث لا يمكن الجمع بين فساد ادارة الرشيد بعد البرامكة كما هو الشائع وبين انتصاراته في اغلب الاحداث التى خاضها (4) .

---

(1) — انظر ابن قتيبة ، الامامة ، ص 205
البغدادي ، تاريخ ، ج 14 ، ص 132
ابن عبد ربه ، العقد ، ج 5 ، ص 62—65
الاربلي ، خلاصة ، ص 163
محمد احمد برانق ، البرامكة ، ص 283— 286 .

(2) — انظر على سبيل المثال ، ابن الوكيل ، احسن المسالك (مخطوط) ، ورقة 39 ب
الجهشياري ، الوزراء ، ص 242— 243 .

(3) — حاولت قدر الامكان ان لا اعتمد الروايات عن البرامكة قبل مقارنتها ببعضها وعرضها على غيرها خلال تتبعي لدور البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية .

(4) — اشاع بعض المؤرخين ان اغلب حركات الفتن التى وقعت في اواخر عهد الرشيد ترجع الى سبب تخليه عن وزرائه البرامكة ، وفي الحقيقة فان لهذه الحركات كثورة "رافع بن الليث" و "الثورة الخرامية" باذربيجان ، اهدافها ولا علاقة لها بنكبة البرامكة . انظر الطبري ، تاريخ ج 8 ، ص 314 . 319— 320 و ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 120 ، 122 ، 127 .

والمؤكد ان " الفضل بن الربيع " عدو البرامكة كما يوصف عادة " قد اصبح على رأس الادارة المركزية بعد نكبة البرامكة ، ولا يعني ذلك ان الرشيد قد استغنى عن الاداريين ذوي الخبرة ممن كانوا في خدمة البرامكة ، اذ هناك ما يثبت انه استعان حتى باخلص اصدقائهم وهو " سهل بن هارون " الفارسي الاصل مما يوضح سماحة هذا الخليفة وحسن نيته ويفند مزاعم الشعوبية التي تتهمه بالتعصب العربي ضد الفرس (1) .

كما ان ذالك يخفف من اتهام الروايات لـ " الفضل بن الربيع " وتساعد على الفهم الجيد لأسباب تحامل المؤرخين عليه (2) .

ويبدو ان البرامكة قد تركوا في نفس الخليفة المأمون " 198 — 218هـ / 812 — 833م) ، ذكريات حسنة حيث كان يتحدث عنهم في مجالسه باحترام واعجاب (3) .

ولا يستبعد ان يكون لوزيره " الفضل بن سهل " صنيعة البرامكة دورا في رعاية مصالح بقية اسرة البرامكة وهم الذين كانوا سببا في رفعه الى المقام الاول ضمن صفوف الاداريين (4)

---

(1) — جاء على لسان " سهل بن هرون الرواية التالية : ... وبعث الي " الرشيد ، فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر في تجفيف ريقي ، فقال ، ياسهلا من غمط نعمتي وجانب موافقتي اعجلته عقوبتي ، اذهب فقد احللتك محل " يحي بن خالد " ابن قتيبة و الامامة ، ص 201 — 200

(2) — لعل مرجع تحامل المؤرخين على الفضل بن الربيع يرجع الى تحميله سبب اشعال الفتنة بين الخليفة " الامين " واخيه " المأمون " ولا صلة لها بموقفه تجاه البرامكة وما يبين شعوبية بعض هؤلاء المؤرخين اهمالهم للدور الذي مثله الفضل بن سهل في تزكية هذه الحرب ، وذلك حين كان يحرض المأمون ويغريه بالثورة ضد الامين وهو اغراء بالغ الحدة لا يتكافئ مع ما قام به الفضل بن الربيع ، انظر :
الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص 364 وما بعدها
ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 134 ، 138 ، 50
صالح محمود سليمان ، الشعوبية ، ص 171 ،
امينة بيطار ، تاريخ ، ص 100 — 106

(3) — البغدادي تاريخ ، ج 14 ، ص 130 ، ابن الركيل ، احسن المسالك ، ورقة 134

(4) — عن نشاط هذا الوزير راجع ، البيهقي ، تاريخ ، ص 190 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 165 ، القمي ، الكني ، 231 ، سرور ، الحياة ، ص 222
صالح محمود ، الشعوبية ، ص 171 — 172 ، سامية ، الحياة ، ص 246

والدلائل تشير الى ان هناك اسماء لافراد من اسرة البرامكة قاموا بادوار في احداث الفتنة بين الاخوين " الامين والمامون " في السنوات ما بين عام (190- 198هـ/ 809 -813م) (1) ،كما ورد اسم " موسى بن يحي البرمكي " كوال على احدى الثغور الشرقسة ا". الهدمة ،وان ابنه "عمران " قد خلفه على الولاية بعد وفاته عام 221هـ / 835م (2) •

وهنلك اسماء لبعض افراد اسرة البرامكة ومواليهم لعبوا ادوارا مهمة في خلافة المامون قبل ان يقدم هو الآخر على نكبة وزيره الطموح " الفضل بن الربيع" (3) •

والملاحظ ان الخليفة المامون قد اتعظ من تجربة ابيه الرشيد المريرة مع وزرائه البرامكة ،ولذلك فانه لم يعد يسمح لاحد من اعوانه حمل لقب " الوزير" كما انه لم يعتمد عليهم في اكثر المسائل حيوية (4) • تجنبا لما قد يترتب عن ذلك من تزيد سلطة هؤلاء الاعوان فتكرر عملية نكبتهم عندما يحس الخلفاء بتعارض سلطتهم مع نشاط كتابهم •

---

(1)- انظر ، الجهشياري ،الوزراء ،ص 227، 290 ، و ، سامية توفيق عبد الله ،الحياة ، ص 236- 281•

(2)- انظر ،البلاذري ، فتوح ، 625-626 البغدادي ، تاريخ ،جـ 14 ، ص 130 ، اليافعي ، المرآة ، جـ1 ،ص 426• ابن الوكيل ، احسن غلمسالك " (مخطوط) ، ورقة 67 ب - 168

(3)- انظر ،الطبري ، تاريخه ، جـ 8 ، ص 564- 565 ابن الاثير ، الكامل ،جـ 5 ، ص 150 - 191

(4)- عرضت وظيفة الوزارة على احد اعوان الخليفة " المامون " بعد مقتل " الفضل بن الربيع " فرفض هذا العرض متعللا بقوله " •• لم ار احد تعرض للوزارة وسلمت حاله " انظر ،احمد امين ، ضحى ،جـ 1 ،ص 130 ، ،نقلا عن ابن طيفور ، المنظوم والمنثور ، ص 1125 .

وأرجح ان تكون لنكبة البرامكة ثم "آل سهل" من بعدهم الاثر الكبير في غموض العلاقة بين الخلفاء واعوانهم من الاداريين والكتاب ،فضلا على انها كانت سببا في زهد الكثير منهم في هذه الوظيفة (1) ، كماكانت سببا في ضياع هيبة الوزارة والوزاء عبر الاجيال التالية في تاريخ الخلافة العباسية وغيرها • حتى صارموضوع نكبة هؤلاء الكتاب الاشقياء موضوع حديث الخاصة والعامة (2) •

ولم تصبح عملية رفض هذه الوظيفة من طرف الكتاب شائعة فحسب ،بل صارت مثار سخرية وتهكم لدى المجتمع الاسلامي بعد ذلك بكثير (3) •

---

(1) — قارن الجاحظ ،البيان ، ج 2 ، ص 74ب ، احمد امين ، ضحى ، ج 1 ، ص 130 ،و ب ، محمد كفاني ،في ادب الفرس ،ص 36—37 ، 248—249•

(2) — عبر عن ذلك ساعرمجهول ،في قصيدة من بحر الطويل جاء فيها /

اسرك اني نلت ما نال جعفر من الملك او نال يحى بن خالد

دعيني تجيني منيتي مطمئنة ولم اتكلف هول تلك الموارد

وفي هذا المعني يقول الشاعر " ابو جبيبات " شاعر اهل الكوفة (من مجزوء البسيط)

اسوأ العالمين لديهم من تسمى بكاتب او وزير

انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، 134— 135 •

(3) — بلغ من استهتار العامة بها اللقب ،الى درجة انه كلن يعرض في الساحة العامة ببغداد "قرد مدرب" يعرض عليه صاحبه مختلف الوظائف فيقبلها ،عدا وظيفة " الوزير" اذ يومي القرد بالرفض والاستنكار ،ويصيح بين يدي صاحبه فيضحك المتفرجون ، انظر ، التنوخي (ت 373هـ / 983م) ن شوار المحاضرة ، ج ، 1 ،ص 114• واحمد امين ، ضحى ، ج 2 ،ص 43،وهذا الازدراء لوظيفة الوزير نجدها في ادب الفرس ايضا ،وهذا بعد سلسلة النكبات التي حلت بالوزراء في تاريخ الخلافة العباسية • ، انظر ،محمد كفاني ،في ادب الفرس وحضاراتهم ، ص 36—37 ،النص الفارسي و ،ص 248—249 ، ترجميته العربية •

ومهما يكن من أمر ما وصلت اليه حالة الوزراء ، فان فكرة نكبتهم على يد الخلفاء قد استمرت معالمها واضحة لا في تاريخ الخلافة العباسية فحسب بل في تاريخ الخلافة الاموية في الاندلس ايضا ، مثلما حدث لأسرتي " بني سراج " (1) و " بني المصحفي " في الاندلس (2) ، فضلا عن ماوقع لكثير من كبار الاداريين والكتاب في بلاد المغرب العربي (3) .

---

(1) - اسرة بني سراج / احدى الاسر الهامة ذات النفوذ السياسي الواسع .، حيث شغل بعض افرادها حجابة ووزارة في دولة " بني عباد " الذين استغلوا بدولتهم في اشبيلية فيما بين (414هـ 484هـ / 1023 - 1091) ، ونافسوا قرطبة حضاريا ونازعوها الدور القيادي في الاندلس ، وقد نكبت هذه الاسرة ، على يد احد ملوك دولة بني عباد ، وكانت اشبه بنكبة البرامكة ، انظر - المقري (احمد بن محمد) ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج 1 ص 414-415 ، ج 2 ، ص 116 ، 164 ، ابراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، 1980 ، ص 380 ، العبادي ، في التاريخ ، ص 465 ، 467 ، سيبولد ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ، بني سراج ، ج 11 ، ص 333

(2) - بنو المصحفي ، اشتغل كبير العائلة " المصحفي " ، حاجبا ورئيسا لوزراء الخليفة الاموي بالاندلس " الحكم الثاني المستنصر بالله (350 - 366هـ / 961 - 976م) وفي بداية عهد ابنه هشام المؤيد حيث كان " المصحفي " من الاوصياء على الخليفة هشام الطفل ، الى جانب رئيس الشرطة الشاب الطموح " محمد بن ابي عامر " الذي عمل على ازالة الوزير المصحفي بمساعدة " صبح " ام الخليفة ، وكانت التهمة الموجهة الى الوزير هي استغلاله لاموال الدولة في شؤونه الخاصة وانتهى به الامر الى نكبته وهو في السجن عام 372هـ / 982م ومتابعة ابنائه بالتصفية ومصادرة الاموال ، اسوة بما وقع للبرامكة بالمشرق ، وقد رثاهم الشعراء لما لحادثة نكبتهم من مفاجئة حيث قال احدهم (من بحر الخفيف)

قف قليلا بالمصحفية واندب مقلة اصبحت بلا انا س

ولكم حذر الردى فصمملنا لا امان لصاحب السلطان

انظر ، المقري ، نفح الطيب ، ج 1 ، ص 379 - ج 2 ، ص 17 - 18 ، 124 - 126 و ، ابراهيم بيضون ، الدولة ، ص 341 - 349 .

(3) - انظر ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 7 ، ص 258 ، 325 ، 351 ، 360 .

وحتى ما بعد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) غالبا ما كان الوزير ينكب ويخضع لمعاملة مهينة ، وقد أخذ شان الوزارة في الانحطاط عندما اضطر الخلفاء الى تسليم سلطاتهم الى الامراء المتغلبين الذين كانوا قد وظفوا كتابا حملوا في بعض الاحيان لقـــب " الوزير " (1) .

ومن غير المستبعد ان يكون لنكبة البرامكة وغيرهم من الوزراء في العصور التالية الاثر الواضح على المنظرين السياسيين في تاريخ الدولة الاسلامية ، فالماوردي (ت 450هـ 1058م) الذي يعتبر لحد الآن أول من وصلت كتاباته في مثل هذا الموضوع يلاحظ من خلال حديثه عن الوزير المفوض تاثير دور "يحي البرمكي " في القوانين والنظريات التي وضعها هذا الكاتب لشخصية الوزير ومهامه (2) .

وفي سبيل تجنب الصراع الماسوي لهؤلاء الوزراء مع الخلفاء والسلاطين حاول الكاتب " الماوردي " تحديد سلطة الوزير وحقوقه على الخليفة آخذا بعين الاعتبار جل الاراء التي حددت كتفسير لاسباب نكبة البرامكة (3) .

ومن الصعوبة بمكان الاستمرار في محاولة تتبع آثار البرامكـــة في سياسة الدولة الاسلامية ، على ان المؤكد لدي ان ذكرياتهـــم استمرت ماثلة في الحياة الاجتماعية لسكان العالم الاسلامي خلال العصور التالية وقد حمل لواء ذكراهم كثيـــر ممن كانوا ينتسبون اليهـــم (4) وعلى رأسهـــ

(1) ــ انظر ، الاربلي ، خلاصة ، ص 100 ، دومينيك ، الحضارة ، ص 192 ، محمد صفر الزهراني ، نظام الوزارة في الدولة العباسية ، مؤسســـة الرسالـــة الرياض ، 1400هـ / 1980 ، ص 7 ، محمد فائق نجم ، طبقات ، ص 88ــ89 .

(2) ــ الماوردي ، قوانين الوزارة (سياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ط 1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1391هـ / 1971م ، ص 173ــ 175 .

(3) ــ الماوردي ، قوانيـــــن ، ص 175ــ 177 .

(4) ــ السمعاني ، (عبد الكريم بن محمد) كتاب الانساب ، نشـــر مرغليوث ، مطبعة المشرق ، طبعة حجرية ، لندن ، 1331هـ / 1912م ، ص 75ــ76 .

النديم المشهور " جحضة " (1) • والمؤرخ الكبير "ابن خلكان (2)؛ وفضلا عن ذلك فان المصادر المعتمة بتاريخ الثقافة في البلاد الاسلامية قد ظلت تطلق اسم " زمن البرامكة " و " ايام البرامكة " على كل ما هو جيد ومرغوب فيه (3) كما نسب اليهم المؤرخون اجود انواع الثياب واغلاها ، وقد حمل اسم البرامكة نوعا من البخور والعطر العربيين (4) ، ... من ... احياء ... •

---

(1)- هو احمد بن جعفر بن موسى بن يحى البرمكي (224- 324هـ / 839 - 936 نديم ومغن واديب ، من اهل بغداد ، كان راوية للاخبار ، نغدم نادم الخليفة العباسي المعتز والمعتمد ، وله كتبا عديدة اغلبها في التنجيم والموسيقى ، كما كان من كبار شعراء عصره واليه تنسب القصيدة التي جاء في مطلعها (من بحر الطويل)

انا ابن اناس مولى الناس جودهم فاضحوا حديثا بالنوالي المشهر
فلم يخلو من احسانهم لفظ مخبر ولم يخلو من تقريضهم بطن دفتر

انظر ، تفاصيل اخباره عند ، ابن خلكان ، وفيات ، ج 1 ، ص 41 ومابعدها • القالي (ابوعلي) كتاب ذيل الامالي والنوادر ، الكالمكتب التجاري ، بيروت ، بت ، ص 99 ، المرزباني ، معجم ، ص 455 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 256 ، الزركلي ، الاعلام ، ج 1 ص 107 •

(2)- ابن خلكان ، (احمد بن محمد البرمكي) ، (608 - 681هـ / 1211 - 1281م) ولد في بلدة اربل ودرس في حلب ثم في دمشق ، عمل نائبا لقاضي قضاة القاهرة عام 336هـ / 1238م ، ثم عين قاضي قضاة دمشق ، وولي التدريس في كثير من مدرسها ، ويعد كتابه " وفيات الاغيان وانباء ابناء الزمان ، من اهم المصادر في التراجم والاخبار ، وقد نال البرامكة - اجداده - حظا وافرا ، وكان من اهم مصادري عنهم ، ولذلك فقد ترجم هذا الكتاب الى عدة لغات اجنبية لاعتماده على مصادر هامة لا يزال بعضها يعد من المفقودات ، انظر ، بروكلمان ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة " ابن خلكان " ج 1 ص 157 - 158 الزركلي ، الاعلام ، ج 1 ، ص 220 • و

(3)- انظر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص 136 ، 170 ، 304 ، ابن الوكيل احسين المسالك ، (مخطوط) ، ورقة 165 ، محمد فائق نجحم ، طبقات ، ص 67- 69 •

(4)- (4)-Quatremere, op.CIT.P119.

ويقول هذا المستشرق انه اطلع على مخطوطتين تحمل الاولى عنوانا " البخور البرمكيات تحت رقم (m^{ss} arabe,1036.Fol.176 R°) والثانية بعنوان " برمكية رفيعة تحت رقم (Fol.117 R°) بيدا انه لم يشر الى اي المكتبات تنتمي هذه المخطوطات •

كما ظلت كثير من المحلات والاحياء تحمل اسم البرامكة تخليدا لذكراهم في تاريخ الدولة الاسلامية (1) .

ففي بغداد مثلا ظلت احدى اسواقها تحمل اسم " سوق يحى " وكذلك كان اسمه يطلق على احد ابولب مدينة " بلخ " لفترة طويلة) (2) ، كما بقيت آثار ابنيتهم القوية ماثلة حتى مطلع هذا القرن (3)

واليوم في بلاد الشام لا يزال اسم " البرامكة " يطلق على احد الاحياء الهامة من مدينة دمشق ، وقد ارتبط اسمهم هناك بفضيلة الكرم ، ويدل اسم " جعفر البرمكي " في الجزائر على من يستاثر برايه ويحاول فرضه بالقوة ، اما في مصر فان مصطلح " تبرمكت" تعني في الاوساط الشعبية والسياسية استناد الامور الى غير اهلها .

وتجاوز ذكر البرامكة حدود البلاد الاسلامية ليصبح ذائع الصيت بفضل السمعة التى احرزوها من خلال كتاب " الف ليلة وليلة " (4) ، وقد الف لا " لاهارب مسرحية عن البرامكة عرضت في المسرح الفرنسي عام 1778 (5)

---

(1) ـ قارن ، ... السمعاني ، كتاب الانساب ، ص 76 ، ب ، ابو حيان ، الامتاع ، ج3 ، ص 153 .

(2) ـ انظر ، الاصطخري ، المسالك ، ص 155 .

(3) ـ قام احد الباحثين "الاب الكرملي " بدراسة اثرية عن منطقة "السن " لبغداد واكتشف ان هناك بعض آثار قصور البرامكة لاتزال شاهدة عليهم ، انظر ، الكرملي ، السن ، (مجلة) ، ص 304 .

(4) ـ تاليف ضخم في عدة مجلدات يتضمن العديد من القصص والحكايات اغلبها خيالية و تستند الى واقع تاريخي ، انظر ،

-EI.LITTMAN, EIe, art(AlfLayla waLayla) ,T2.PP369-375.

(5) ويبدو ان معلومات هذا الروائي المسرحي قد صارت من المراجع الاساسية لبعض المؤرخين الاوربيين الذين كتبوا بعده ، انظر ،

-BOUVAT,OP;ciT;p 130.

ومن الطريف ان الانكليزيين عندما يريدون التعبير عن مظاهر الابهة والجلال في حفالاتهم يقولون "مأدبة برمكية " انظر

-GABRIEL ,op,ciT.P 61 .

ونالت قصة العباسة اعجاب بعض الروائيين الاوربيين فكتبوا عنها بمختلف لغاتهم (1) .

والملاحظ ان هذه القصة قد تطورت متخذة شكلا روائيا خياليا لا في الاداب الاجنبية فحسب بل فب الادب العربي ايضا رغم اقتناع مؤلفي هذه الروايات بعدم صحة هذه القصة (2) .

---

(1) -

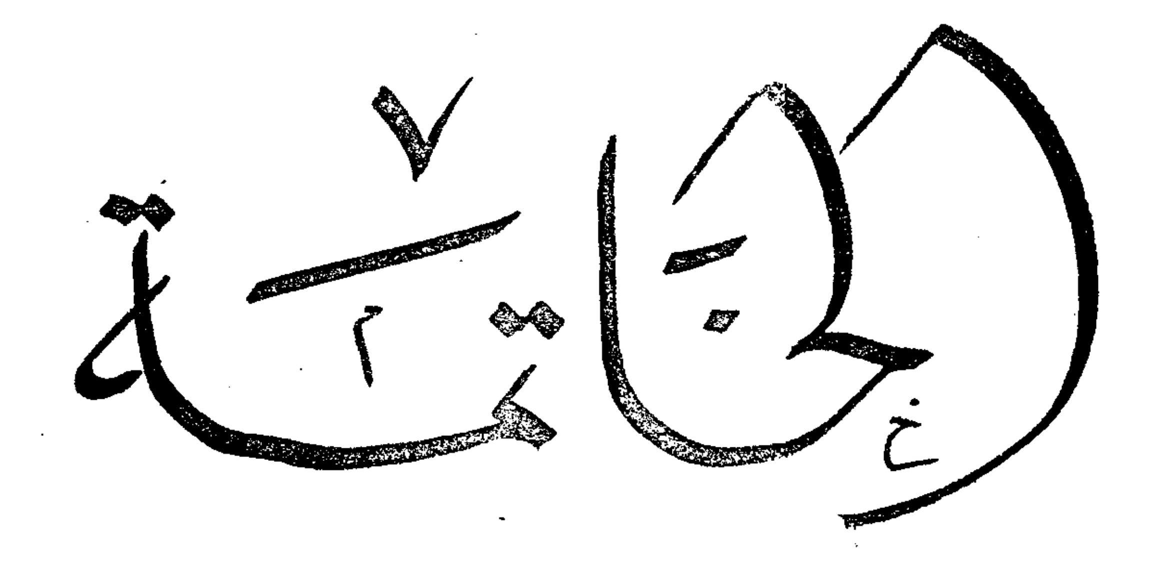
-Quatremere,op;cit; p119, Gabriel,op;cit;p61

-Bouvat,op;cit;p22, Varsy,G.(Djaafar le Barmacide),Revueorientale et americaine) ; 3(1868),pp75-90., Dixmerie,contes philosophiques et moraux,londres,1768?t2.PP178-190.

-Giron Aime et Tozz Albert,les nuits de Baghdad,(roman), Paris, 1905.

ويركز فيه على قصة العباسة وعلاقتها بجعفر البرمكي ، .

(2) - وقفت لحد الآن على ثلاثة ادباء عرب اولوا عنايتهم بالموضوع حيث خصص كلمنهم عنوان كتابه بـ " العباسة " جرجي زيدان ، عدنان مردم بك ، عزيز اباظة ، ويلاحظ تاثر هؤلاء جميعا بالاداب الغربية حيث يعتبر كل من " عدنان " و " عزيز " من رواد الكتاب العرب في موضوعات الشعر المسرحي في تاريخ الادب العربي


الخاتمة

(الخاتمة)

من خلال ماسبق اتضح ان اسرة البرامكة في الخلافة العباسية قد نالت من الجاه والسلطان ما لم يكن متوقعا ، وذلك بالمقارنة لما هو عليه الحال بالنسبة للتطور العام للمجتمع العباسي .

ففي الوقت الذي ما زالت فيه طبقة الموالي تحاول كسب ثقة الرأي العام لتأخذ مكانها ضمن عملية الاحتكاك البشري في المجتمع العباسي الناشئ ، كانت اسرة البرامكة قد وصلت الى قمة النفوذ ، على الرغم من ان قيمتها الاجتماعية لم تكن تتجاوز - بمنظور ذلك العصر - قيمة خدام الخليفة الساهرين على راحته والمتفانين في خدمته والاخلاص له .

والملاحظ ان اسرة البرامكة كانت حديثة عهد بالاسلام ، وقد بينت محاولة بعض الروايات تمجيد علاقة هذه الاسرة بالدولة الاسلامية حين ربطت علاقتها بالاسلام منذ عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان .

وعند نظري الى طبيعة الاحداث اتضح لي انهم بقوا على دينهم حتى اواخر العهد الاموي ، كما لاحظت انهم كانوا سببا في اثارة كثير من مظاهر الفتن والاضطرابات التي شاعت في منطقة " بلخ " ضد السلطة الاموية .

واستنتجت ان خالد الترمكي " وحده ، نهو اول " برمكي " يمكن الاطمئنان الى صحة بعض ما روى عن دوره في الدولة ، وذلك لاتفاق معظم المصادر التاريخية حول ذلك .

وقد لاحظت ان كثيرا من الروايات قد حاولت وضعه في المقام الاول من بين قادة الثورة العباسية ، وبينت ان مصدر ذلك كان ناتجا عن تعصبهم تجاه القادة العرب للانتقاص من شأنهم في مثل هذه الاعمال السياسية الرائدة من جهة ومن جهة اخرى تعاطفهم مع هذه الاسرة للدور الذي مثلته خلال المراحل التالية من تاريخ الخلافة العباسية .

وعند محاولتي تقييم دور " خالد " لاحظت انه كان قد اتبع اسلوبين حكيمين ساعداه على المضي في تنفيذ خطته للرفع من مكانة الاسرة البرمكية .

اولهما سلوكه المحافظ تجاه الخلفاء العباسيين الثلاثة الاوائل تفاديا للاصطدام بسلطتهم مثلما وقع لمعاصره من كبار الوزراء والامراء والتي ادت في نهاية الامر الى سقوطهم وثانيهما ، حظه الكبير في اكتسابه ثقة البيت العباسي الحاكم ، فيه وفي اسرة ايضا وذلك حين عمل الخلفاء على ربط ابنائهم بابناء هذه الاسرة الموالية برابطة اخوة الرضاعة

واتضح لي ان هذين لاسلوبين قد كانا كفيلين بغض الطرف عن الكثير من تصرفاتهم حتى وان كانت تبدو غريبة ومثيرة للشك احيانا .

ومنها السلطة المطلقة التي مارسوها خلال فترة حكم الرشيد والتي وضحت فيها ان البرامكة قد تجاوزا حدود سلطتهم حين وضعوا انفسهم في المقام الاول في اغلب المؤسسات الحكومية ، وقاموا بادوار خطيرة في جميع المجالات حتى ظن انهم هم " الدولة " بل كانوا يشعرون بذلك في كثير من الاحيان كما اشرت الى ذلك خلال بحثي عن ادوارهم في كل من الفصلين الرابع والخامس .

وبينت ان احتكارهم للمناصب الادارية العليا قد ترتب عنه زيادة ملحوظة لعناصر انتهازية اعتمدت على مكانة لبرامكة وسلطتهم في تسخير امكانيات الدولة لمصلحتهم الخاصة ، وحماية افكارهم الشعوبية وتطرفهم الديني المنافي للاسلام تحضيرا للانقلاب المقيت الذي كانوا يحلمون فيه بارجاع الدولة العربية الاسلامية الى كسروية شعوبية ضد من ساسوهم باحسان وهدوهم الى سواء السبيل .

ووضحت بأن الدور المشرف الذي قام به المخلصون لهذه الدولة وحرصهم على بقاء الاسلام والعروبة في التاريخ ضد اتجاه مخطط البرامكة الشعوبي ومواليهم ، قد اثار حفيظة الرواة من الشعوبين فحاولوا تشويه سمعة العناصر العربية وتلطيخها وعلى رأسهم الخليفة

" هرون الرشيد " ، وذلك بنسجهم للروايات الكاذبة ووضع القصص والاساطير الخرافية كقصة علاقة " العباسة - العربية الهاشمية بمولاها جعفر البرمكي " ، وقصص كرم البرامكة الذي فاق الكرم العربي ، وقصائد المدح التي تجاوزت كل انواع المدح ، والتي وصحت انها لا تستند الى واقع تاريخي . وانما كانت من وضع الرواة والقصاصين السذج ، بدليل حسن نية الرشيد وغيره من الخلفاء الذين تولوا بعده تجاه بقي البرامكة وكبار اعوانهم ، حيث بينت انهم قد نالوا من المكانة والجاه حسب قدراتهم على النشاط وحسبما كانت تسمح به امكانيات الدولة).

ولاحظت انه على الرغم من ذلك فقد بقيت مشكلة البرامكة قائمة ، وقد تناول المؤرخون قضيتهم باعجاب متزايد من جهة ومن جهة اخرى فقد تعاطفوا معها دون مراعات للمعطيات المساهمة في وجود قضيتهم او الملابسات التي ادت الى نكبتهم .

وقد حاولت توضيح ذلك من خلال الاستنتاجات التي توصلت اليها اثناء بحثي وتقييمي للدور الذي مثلته هذه الاسرة في الخلافة العباسية ، حيث تبين لي ان مرد ذلك يرجع الى ،

اولا ان الخلفاء العباسيين قد كانوا اوفياء لمبادئ ثورتهم وحريصين على تحويلها الى واقع ملموس في ادارة دولتهم ، وبذلك يكونون قد وفقوا في تنظيم عملية الامتزاج البشري في مجتمعهم ووصلوا به الى ابعد ما يمكن ، وهي العملية التي لوحظ عجز الامويين عن تحقيقها . وقد كانت احدى الاسباب الهامة التي عجلت بسقوطهم .

ثانيا مفاجاة التخلص من اسرة البرامكة التي حدثت بشكل غير متوقع وقتذاك على يد الخليفة ،" هرون الرشيد " عام 187هـ/802م ، وهي في عز سلطانها تجعل الاطمئنان الى مثل هذه الاستنتاجات امرا صعبا ، ولذلك فقد كان لابد من محاولة تفسير طبيعة هذا التطور الذي عاشته بعض الشرائح الاجتماعية في المجتمع العباسي الاول والظرف الذي كانت سببا في بلورته وتنظيمه .

ويتضح ان هذه العلاقة قد ارتبطت بالعديد من الجوانب الحضارية ، وبات من العسير تفسير اية ظاهرة بمعزل عن الاخرى لتشابكهما في سياق الاحداث التاريخية التي واكبت تطور المجتمع العباسي الناشيء ، ويبدو ان مرد ذلك يرجع الى اعتلاء العباسيين العرش ، الذي يعد نقطة تحول في تاريخ نظام الخلافة حيث شاع عليهم بناء ادعائهم الحكم على الحق في قرابتهم من الرسول (ص) ، وكان جوهر شماراتهم قائما على اساس ديني حتى اوحوا بأن سلطتهم تستند على حق الهي •

ثالثا وبالاستناد الى هذه السلطة ابتدع العباسيون منصب " الوزير " وهو مصطلح ماخوذ مأخوذ من القرآن ، يدل على موازرة الحاكم ولم يكن معروفا بهذه الصورة قبل هذه الفترة من تاريخ الدولة الاسلامية وفي سبيل اعطاء هذا الاجراء صبغة شرعية عمد العباسيون الى تقريب الموالي من دورهم وبيوتهم ، وارتبطوا ببعضهم برابطة الاخوة من الرضاعة •

ان وضعية هؤلاء الموالي — ومنهم البرامكة — التي شكل مميزاتها الخلفاء العباسيون قد لعبت دورا هاما في بلورة مؤسسة الوزراء وتطوير مهام وشخصية الوزير •

رابعا نتج عن هذه الوضعية خضوع هذه المؤسسة لرغبة الخليفة من جهة ومن جهة اخرى سهولة الاستغناء عندما يحس الخليفة بان وجود ما يشكل قيدا على سلطته •

خامسا لماذا لم تاخذ قضية الوزراء غير البرامكة حقها من اهتمامات المؤرخين الجواب يرجع الى ما كانت عليه اسرة البرامكة من المكانة في الدولة وايضا الى الامال التي كانت معقودة عليها في تقريب وجهات النظر في الاصلاح الاجتماعي وسط العناصر المكونة للمجتمع العباسي الناشيء •

سادسا لم تتمكن اسرة البرامكة من فهم الدور الحقيقي الذي كان عليها ان تمثله في الدولة ، وذلك حين تمادت في استغلال الصلاحيات المعطاة لها لمصلحتها ومصلحة المد الشعوبي المقيت مما اثار الشكوك حولها وهو الذي ادى في نهاية الامر الى الاطاحة •

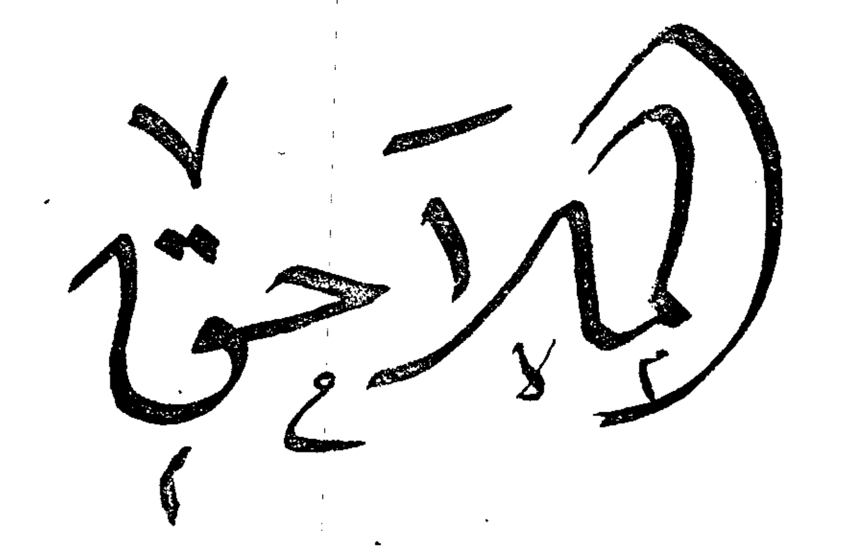
سابعا نتــج عن نكبة البرامكــة وفشلهم تعطيل كبير لمشروع تحقيق الانسجـــام الاجتماعي في الخلافة العباسية ، وما صاحب ذلك من تأخر ملحوظ في عملية التطور الحضاري للمجتمع العباسي .

ثامنا يستنتج ان الخلفاء العباسيين كانوا يريدون من وزرائهم الموالاة التامة لاشخاصهم والتفاني والتفكير في خدمتهم دون ان يكون لهم برنامج مستقل يعملون على تطبيقه .

تاسعا ان الحرية التى تمتع بها البرامكة لم تكن سوى ثمرة ظروف استثنائية ولا علاقة لها بالدور الخاص لاساليب حكم الخلفاء العباسيين .

تم بحمــــد الله وتوفيقــــــه

===================
==============


الملاحق

أولا : التعريف بمحتويات الملاحق :ـ

الملحق رقم (1) :

عبارة عن وثيقة تصدر عن ادارة البرامكة تبيّن رغبتهم في استمالة الرأي العام ، ودعوته الى تأييد سلطاتهم ، وذلك بالجهود المضنية والتحذير الشديد من عواقب اثارة الفتن أو عدم دفع الضرائب ،

الملحق رقم (2)

عبارة عن جدول يحصي مداخيل بيت المال لسنة 130هـ/796م ويعد الجدول وثيقة هامّة للاقتصاد الدّولة يتعذّر وجود نظير في التاريخ الخلافة العباسية، فضلا على أنه يحدّد بوضوح سياسية البرامكة المالية التي كانت قائمة لإستيراد المواد الكمالية التي تخدم استهلاك الطبقة الحاكمية دون النظر الى الغذاء الأساسي للسكان .

الملحق رقم (3) . خطابة لجعفر البرمكي ، بين يدي الرشيد تبيّن رغبته في البقاء في قصر الخليفة نديما ، وعجز عن مواجهة القضايا الصعبة في الميدان ، كما توضّح أسلوب التملق الذي كان يمارسه هذا " البرمكي " مع الرشيد

الملحق رقم (4)

رسالة أحمد المتكلمين الى يحيى البرمكي ، وتوضّح مكانة البرامكة في الادارة العباسيّة ، وهيبتها في نظر الرأي العام ،

الملحق رقم 5 ،

مراسلة تؤكد فساد ادارة البرامكة ، وتلاعب بعض افرادها باقتصاد الدولة وتواطئهم مع بعض السكان ، والتي كانت من ضمن اسباب نكبتهم على يد الخليفة الرشيد .

الملحق رقم 6 ،

نماذج من المكتشفات الاثرية لبعض المسكوكات المضروبة باسم بعض من افراد اسرة البرامكة ، والمحفوظة في بعض المتاحف العالمية .

الملحق رقم 7 ،

رسالة من "يحي البرمكي" الى الخليفة الرشيد يستعطفه فيها للافراج عنه ، ويعترف له فيها تجاوزات واخطاء ابنه "جعفر" التي استحق عنها العقوبة الكافية .

ثانيا : نص الملاحق :

ملحق رقم 1 : سياسة البرامكة .

... بعد الحمد لله عزّ وجل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ان الله بمنّه ولطفه منّ عليهم منذ ظهر أهل بيت نبيه بيت الخلافة ومعدن الرسالة ... فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النعمة واحذروا أن تغيّروا فيغيّر بكم . وان الله جلّ وعزّ استأثر بخليفته موسى الهادي الامام فقبضه اليه وولّى بعده رشيدا مرضيا أمير المؤمنين رؤوفا بكم رحيما ، من محسنكم قبولا وعلى مسيئكم بالعفو عطوفا . وهو أمتعه الله بالنعمة وحفظ له ما استرعاه اياه من أمر الأمة ، وتولاه بما تولى به أولياءه وأهل طاعته ، يعدكم من نفسه الرأفة بكم والرحمة لكم . وقسم أعطياتكم فيكم عند استحقاقكم ويبذل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما في بيوت الأموال ... غير مقاصّ لكم بذلك فيما تستقبلون من أعطياتكم ، وحامل باقي ذلك للدّفع عن حريمكم ، وما لعلّه أن يحدث في النواحي والأقطار من العصاة المارقين الى بيوت الأموال ، حتى تعود الأموال الى جمامها وكثرتها ... فاحمدوا الله وجدّدوا شكرا يوجب لكم المزيد من احسانه اليكم بما جدّد لكم من رأي أمير المؤمنين ، وتفضّل به عليكم . وارغبوا الى الله في البقاء ... واعطوا صفقة ايمانكم ، وقوموا الى بيعتكم حاطكم الله وحاط عليكم وأصلح بكم وعلى أيديكم وتولاكم ولاية عباده الصالحين ....))

(4) كتب هذا البيان صديق البرامكة يوسف بن القاسم : وأرسل الى أغلب الولايات ليتلى على مسامع المسلمين من على المنابر ، أنظر ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ص 230 – 231 .

نص ملحق رقم (2)

قائمة لخراج الدولة في عهد البرامكة (1)

الاقاليم	مقدار الجباية	الامتعة والعروض
السواد	14 800 000 درهم	الحلل النجرانية
ابواب المال	= 80 780 00	الطين للختم ، 240 رطلا
كسكر	= 11 6 00 000	
كوردجلة	= 20 800 000	
حلوان	= 4 800 000	
الاهواز	= 25 000 000	السكر ، 30 الف رطلا
فارس	= 27 000 000	ماء الزبيب الاسود ، 20 الف رطلا ، الرمان والسفرجل 250 الف ، ماء الورد ، 30 الف قرورة ، الانباجات 15 الف رطلا ، السيرافي 50 الف رطلا ، الزبيب بالكر الهاشمي ، 3 اكرار .
كرمان	= 4 200 000	المتاع اليمني 500 ثوب ، التمر 20 الف ، الكمون 100 رطلا .
مكران	= 400 000	
السند وما يليها	= 11 500 000	الطعام بالقفيز ، ملبون قفيز ، الفيلة 3 ، الثياب الخشنة 1000 ثوب ، الفوط 4000 ، العود الهندي 150 منا ومن سائر اصناف العود ، 150 منا ، النعال ، الفا زوج ،
سجستان	= 4 600 000	الثياب المعينة 300 ثوب ، الفنيذ 20 الف رطلا
خرسان	= 28 000 000	نقر الفضة 2000 نقرة ، البراذين 4000 ، الرقيق 1000 رأس ، المتاع 27 الف ثوب ، الاهليج 300
جرجان	= 6 300 000	الابراسيم 1000 منا
قومس	= 1 500 000	نقر الفضة 1000 ، الاكسية 200 ، الثياب الرمان 40 الف رمانة ،

(1) ـ ضياء الدين الريس ، الخراج ، ص 477 ـ 482 نقلا عن ا لجاهشياري ، الوزراء ، ص 282 ـ 885

الاقاليم	مقدار الجباية	الامتعـــة والعروض
طبرستان الرويان دنبونـــد		الفرش الطبري 600 قطعة ، الاكسية 200 ، الثياب 500 ، المناديل 300 ، الجمات 600 جام ،
الـــري	= 120 000 000	الرمان ، مائة مليون ، الخوخ 1000 رطلا ،
اصفهـــان	= 11 000 000	العسل 20 الف رطلا ، الشمع 20 الف رطلا الرمان والروب 100 منا ، العسل 20 رطلا
همـــدان	= 11 800 000	
البصرة واكوفـــة	= 20 700 000	العسل الابيض 20 الف رطلا ،
شهرزور	= 24 000 000	
الموصل وما يليها	= 24 000 000	
الجزيرة والفرات	= 3 000 000	
اذربيجـــان	= 4 000000	
موقان وكرخ	= 300 000	
جيـــلان		من الرقيق ، 100 راس والطيلسات من العسل 12 ازقا ، ومن البزاة ، عشر بزاة ، ومن الاكسية 20 كساء .
ارمينيـــة	= 13 000 000	البسط 20 بساطا ، الرقم 850 قطعة ، الملح 10 الف رطلا ، الطريخ 10 الف رطلا ، البزاة 30 بازيا ، البغال 200 بغلا
قنسرين والعواصم	دينار 490 000	
حمـــص	+ 320 000	الزبيـــب ، الف راحلة .
دمـــشق	= 420 000	
الاردن	= 96 000	
فلسطين	= 320 000	ومن جميع اجناد الشام من الزبيب 300 الف رطـــلا
مصر سوى بعض المقاطعات	= 920 000	
برقـــة	درهم 1 000 000	من البســاط ، 12 بساطا .
أفريقيـــة	= 13000 000	
اليمـــن	دينار 878 000	
الحـــجاز	= 300 000	

نص ملحق رقم (3) : خطابة لجعفر البرمكي ،

... الحمد لله بأمير المؤمنين الذي آنس وحشتي

وأجاب دعوتي ورحم تضرعي وأنسأ في أجلي حتى

حتى أراني وجه سيدي وأكرمني بقربه وامتن

علي بتقبيل يده وردني الى خدمته ، فوالله

ان كنت لا ذكر غيبتي عنه ومخرجي والمقادير التي

أزعجتني فأعلم أنها كانت بمعاصي لحقتني وخطايا

أحاطت بي ولو طال مقامي عنك يا أمير المؤمنين

- جعلني الله فداك - لخفت أن يذهب عقلي اشفاقا

على قربك وأسفا على فراقك وأن يعجل بي

عن اذنك الاشتياق الى رؤيتك والحمد لله الذي

عصمني في حال الغيبة وأمتعني بالعافية وعرفني الاجابة

ومسكني بالطاعة وحال بيني وبين استعمال المعصية

فلم أشخص الا عن رأيك ولم أقدم الا عن اذنك وأمرك

والله يا أمير المؤمنين ... لقد عاينت ما لو تعرض

لي الدنيا كلها لاخترت قربك عليها ولما رأيتها عوضا عن المقام

معك ......

وفارقت يا أمير المؤمنين كور الشام وهم منقادون

لأمرك نادمون على ما فرط من معصيتهم لك متمسكون بحبلك نازلون على حكمك

... والله يا أمير المؤمنين ما تقدمت اليهم الا بوصيتك وما عاملتهم الا بأمرك

... والله ما انقادوا الا لدعوتك وتوحد الله بالصنع لك وتخوفهم من سطوتك وان كنت

. بذلت جهدي وبلغت مجهودي قاضيا بعض حقك علي فبل ما ازدادت نعمتك علي عظما الا ازدادت عن شكرك عجزا وضعفا . وما خلق الله احدا من رعيتك أبعد من أن يطمع نفسه في قضاء حقك مني ، وما ذلك الا أن اكون باذلا مهجتي في طاعتك وكل ما يقرب الى موافقتك ولكني أعرف من أياديك عندي ما لا أعرف مثلها عند غيري ...

وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاق له اذا كان الشكر مقصرا عن بلوغ تأدية بعضه بل دون شقص من عشري عشيره ، أن يتولى مكافأتك عني بما هو أوسع له ، وأقدر عليه ، وأن يقضي عني حقك ، وجليل منتك ، فان ذلك بيده وهو القادر عليه ...[1]))

---

(1) ـ الطبري ، تاريخ ، جـ 8 ، ص 263 ـ 265 .

نص ملحق (4) ، كتابة يحيى البرمكي ، (1)

«لـأبي صاعد الجواد ، الوري الزناد ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل الأشم الباذل ما اللباب العلاحان ، من المستنين المستجير البائس الضرير فاني أحمد اللّه ذا العزة القدير السيّار الـى الصغير والكبير ، بالرحمة الساعة والبركة الـ... ستامة ، أما بعد فاغنم واسلم ، واعلم ان كنت تعلم ، انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ، ومن يحسن يغنم ، ومن يصنع المعروف لا يعدم ، وقد سبق الي ... علي ... لي ، وفعلته عني بما لا أقوى له ولا أقعد ولا أتنبه ولا أرقد ، فلست بذي الحياة صحيح ... مستريح ، فرأيت بعد اللّه ... الي ، وتحملت بك عليه ... لـ... ذلك قد ... لت:(2)

أسرت بنو جحنتا السيئات كأنما ... لمحت بمذنب نبي ورائي
راغب راغب السيئات بـ... سنة عفوا عنه وفضل عطاء
ولست مقرا كامن أصر ومن تاب ... مقرا بذنبه بسواء

فان رأيت ... أراك اللّه ما تحب وأبقاك في خير ... الا تزهد فيما ترى من تضرعي وتخشعي وتذللي وتضعفي ، فان ذلك ليس مني بتخيير ولا ابعة ،،، ولكنه تذلل وتضرع ،،، الا من لدن المتضرع له عز رفعة الشرف،،»

(1) — رسالة من ابرهيم بن سيابة ، يقول عنها الجاحظ: « وبلغني أن عامة أهل بغداد يحفظونها في تلك الأيام...» الجاحظ: البيان والتبيين ،

جـ 3 ، ص 173 — 179 . (2) القصيدة من بحر الخفيف .

نص ملحق رقم 5 .

سوء ادارة البرامكة

((... قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها موسوق السعاية بحمد الله في أيامنا كاسدة وألسنة السعاة في أيامنا كليلة خاسئة . فاذا قرأت كتابي هذا فاحمل الناس على قنونه وخذهم بما في دواوينك فانا لم نولك الناحية لتتبع الرسوم العافية ولا لإحياء الأعلام الداثرة وجنبني وتجنب بيت جرير يخاطب الفرزدق : (من بحر الوافر) .

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ .. رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا

واجرأ مورك على ما يكسب الدعاء لنا لا علينا ، واعلم أنها مدة تنتهي وأيام تنقضي ، فأما ذكر جميل وأما خزي طويل ...)) (1)

(1) رسالة جوابية من محمد بن يحيى البرمكي الى أحد عماله في أرمينية حين لفت انتباهه الى تلاعب بعض السكان هناك باقتصاد الدولة . أنظر ، ماجد ، الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الأول ، ص 96 ، نقلا عن الحصري القيرواني زهر الآداب ، ج 1 ، ص 303 .

ملحق رقم (6)

ولتسهيل عرض المسكوكات يستحسن الاستعانة بالنموذج التالي

الظهر	الوجه
	محمد رسول الله جعفر
محمد رسول الله أرسله بالهدى والدين الحق ليظهره على الدين كله	بسم الله ضرب هذه الدنيا سنة سبعين و

والمسكوكات المعروفة موجودة في المتاحف التالية،

– م ع = المتحف العراقي – بغداد

– م ق = المتحف الخديوي القاهرة

– م ب = المتحف البريطاني لندن BRITISH MUSEUM LONDON

– م و ب = متحف المكتبة الوطنية باريس MUSEE BIBLIOTHEQUE NATIONAL PARIS

– م ج ف = متحف جامعة فلادلفيا أمريكا UNIVERSITE MUSEUM PHILADELPHIA USA

كل المجالات المعروضة في الملحق منسوبة باسم جعفر البرمكي ،،

1) -

2) -

3) -

(1) دينار ، مضروب سنة 176هـ/ 792م .

موجود في : م.ع ، لوح 3، رقم 95 ب ، وفي ، م.خ .

أنظر ، النقشبندي ، الدينار ، ص 100 ، 108 ،

2) دينار مضروب سنة 178 هـ/ 794م .

محفوظة ، في ، م . ع . لوح 3 ، رقم 96 ب ، وفي م.خ ،

وفي . م.ج . ف ، أنظر النقشبندي . الدينار ، ص 100 ، 108 .

3) دينار مضروب سنة 182 هـ/ 778م .

وهو محفوظ في المتاحف التالية ،

م.ع . لوح 3 ، رقم 97 ، وفي ، م.ب .

وفي م.ج . ف ، : نظر ، النقشبندي ، الدينار ، ص 100 . 108 .

(4 - (5 -

(6 - (7 -

(4) دينار ، مضروب سنة 183هـ/ 799م .
موجود في م .ع ، لوح 3، رقم 98أ .
(5) دينار، مضروب سنة 184هـ/ 800م) وهو محفوظ في المتاحق التالية :)
م . ع ، لوح 3، رقم 100 جـ ،
وفي م . ج . ف ، وفي م . ب . انظر ، النقشبندي ، الدينار ص 102 ،
108 و ، - STANLEY LANNE BOO LE ? CATALOGUE? T.1 N° 152
(6) دينار مضروب سنة 185 هـ/ 801م . وهو محفوظ في المتاحق التالية
لوح 3 ، رقم 102 أ)
في م . ع ، وفي م . ب ،
وفي م . ج . ف ، انظر النقشبندي ، الدينار ، ص 102 : 108 .

(7) دينار مضروب سنة 186هـ/ 802م ، م .ع . لوح 3 ، رقم 103أ
أنظر النقشبندي ، الدينار ص 103 ، 108 .

-(9 -(8

-(10

---

(8) درهم مضروب باسم جعفر، سنة 173هـ/ 789م .

محفوظ في المتحف البريطاني ،

أنظر، 193 N° Stanley Lane Poole, Catalogue Tome1

(9) درهم مضروب باسم جعفر ، سنة 177هـ/ 793م . محفوظ في المتحف

البريطاني ، أنظر، 212 Stanley Lane Poole .op.cit.T.1 N°

(10) درهم مضروب باسم جعفر ، سنة 181هـ/ 797م ، محفوظ في المتحف

البريطاني ، أنظر، 197 N°

Stanley(L.P.) op.cit. Tome1

درهم مزيف ، مضروب سنة 179هـ/ 795م ، يحمل اسم جعفر البرمكي ، يختلف نظام ضربه عن ما سبق (1) حيث يوجد في الوجه ،

الطوق ، بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة تسع وسبعين ومئة

المركز ، لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

وفي القفا ، الطوق ، محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

المركز ، محمد رسول الله
مما امر به الامير الامين
محمد بن أمير المؤمنين
جعفر

---

(1) - انظر ، عبد العزيز حميد ، المسكوكات المزيفة في العصر العباسي ، (مجلة كلية الآداب) ، عدد 22 (1398هـ/1978م) ، بغداد ، ص 334 - 335 .

نص ملحق رقم 7، نكبة البرامكة، (1)

بسم الله الرحمن الرحيم،

الى أمير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وغاله الزمان وأناخ عليه الخذلان ...

يأمير المؤمنين قد أصابتني مصيبتان الحال والمال ، أما المال فان ذلك منك ولك وان في يدي عارية منك ولا بأس برد العواري الى أهلها وأما المصيبة بجعفر بن يحيى وبراءته وعاقبته بما استحق من أمرك وان جزاؤه فوق ما استحق وأنا الفقير ، فاذكر ياأمير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة واستعتذر ولكنني أقر وبموتي أن أفوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتأويل حجتي ففي ذلك ما يكفي به أمير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه.

وكتب اليه في أسفل الرسالة قصيدة طويلة ، مطلعها [2]

قل للخليفة ذي الصنيعة والعطايا الفاشية

وابن الخلائف من قريش والملوك العالية

إن البرامكة الذين رموا لديك بداهية

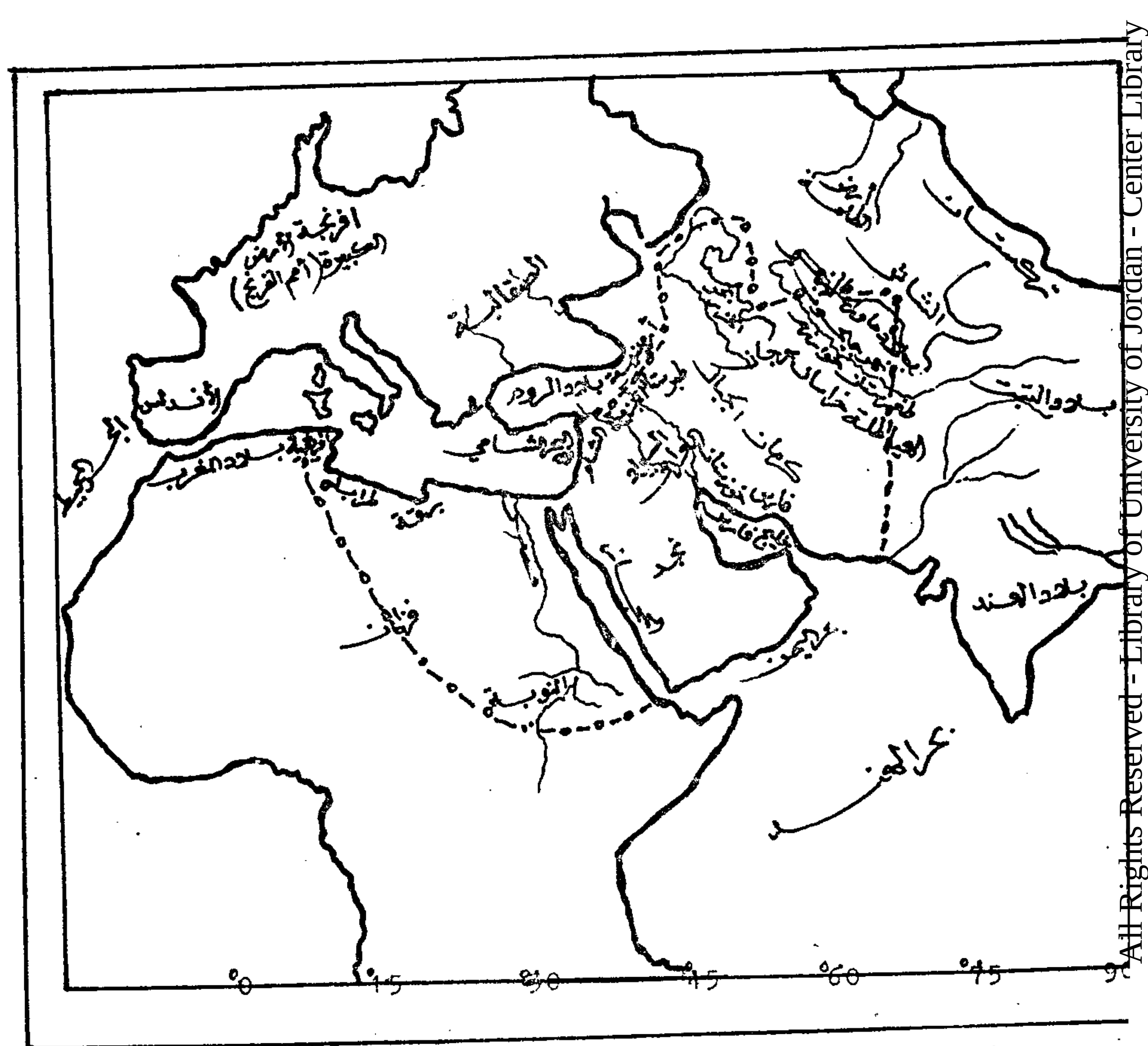
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة بادية،

(1) الاتليدي ، اعلام الناس ، ص 111 ــ 112، ورد الرسالة مع بعض الاختلاف، عند كل من ، ابن عبد ربه ،العقد الفريد، ج 5 ، ص 68 ــ 69 ، وابن بدرون ، شرح قصيدة ، ص 239 ــ 241،

(2) الابيات من مجزوء الكامل .

خريطة توضح حدود الخلافة العباسية

في عهد الخليفة "هرون الرشيد" عصر نفوذ البرامكة - (1)



(1) - انظر، عبد المنعم ماجد، وعلي البنا، الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1387 هـ/ 1967 م، رقم 16.

(-0-0-0- حدود الخلافة العباسية.

قائمة المصادر والمراجع

اولا : المصادر

(1)ـ ابن ابي اصيبعة (موفق الدين ابي العباس احمد) ، ت 668هـ/1270م .
عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1385هـ/ 1965م .
(2)ـ ابن الاثير (ابو الحسن علي) ت 630هـ/ 1222م .
الكامل في التاريخ ، ط 4 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1403 هـ 1983م .
(3)ـ الاتليدي (محمد بن ذياب) ، ت 1100هـ / 1628م .
اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، مصر ، 1361هـ/1942
(4)ـ الاربلي (عبد الرحمن سنبط) ، ت 718هـ / 1318م .
خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك ، تصحيح مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .
(5)ـ الأزدي (ابو زكريا يزيد) ، ت 334هـ / 945م .
تاريخ الموصل ، تحقيق ، د ، علي حبيبة ، القاهرة 1387/1967
(6)ـ الأصبهاني (ابو الفرج علي) ، ت 356هـ / 966م
ـ كتاب الاغاني ، مؤسسة جمال ، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ، بيروت (ب ت)
ـ مقاتل الطالبين ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة 1368هـ/ 1949م .
(7)ـ الاصطخري (ابو اسحق ابراهيم الكرخي) ، ت 346هـ / 957م .
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، دالا القلم ، بيروت 1381هـ / 1961م .
(8)ـ الاصفهاني (ابو عبد الله حمزة) ، ت 360هـ / 970م
تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، بدون اشارة لمكان الطبع وتاريخه

(9) ـ ابن بـــدرون (عبد الملك بن عبد الله) ، ت 608هـ / 1211م .
شـــرح قصيـــدة ابن عبدون ، تصحيح رينهارت دوزي ، مطبعة الاخوين لختمانس ، ليدن ، 1263هـ / 1846م .
(10) ـ البغدادي (ابو بكر احمد بن علي الخطيب) ، ت 463هـ / 1080م
تاريخ بغداد او مدينة السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
(11) ـ البغدادي (عبد القاهر البغدادي) ، ت 429هـ / 1037م .
الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، ط 4 ، منشـــورات دار الآفاق ، بيروت ، 1400هـ / 1980م .
(11) ـ ابو بكر بن العربـي (القاضي) ، ت 543هـ / 1148م .
العـــواصم من القواصـــم ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعـــة السلفية ، القاهرة ، 1371هـ / 1951م .
(12) ـ البـلاذري (ابو العباس احمد بن يحى) ، ت 279هـ / 892م .
ـ فتـــوح البلدان ، تحقيق عبد الله انيس الطباع ، وعمر انيس الطبـــاع دار النشر للجامعيين ، بيروت ، 1377هـ / 1957م .
ـ انساب الاشـــراف ، مخطوط ، نسخة مصورة عن المخطوط الاصلـــي ، مكتبـة الدكتور سهيل زكار الخاصة ، دمشـــق .
(13) ـ البيهـــقي (ابو الفضل) ، ت 470هـ / 1077م .
تاريـــخ البيهقي ، ترجمة يحى الخشاب وصادق نشأة ، مكتبة الانجلو المصرية ، دار الطباعـــة الحديثة ، بدون تاريـــخ .
(14) ـ ابن تغري بردي (جمال الدين ابو المحاسن) ، ت 874هـ / 1469م .
النجـــوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(15) التنـــوخي (ابوعلي الحسن بن علي) ، ت 373هـ/ 983م .

نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، بلا مكان النشر ، 1391

(16)ـ الثعالبي (ابو المنصور عبد الملك) ، ت 429هـ/1027م .

تاريـــخ غرر السير المعروف بكتاب غرر اخبار ملوك الفرس وسيـــرهم ، نشر وترجمة

زوتنبورج ، مكتبة الأزدي ، طهران ، 1383هـ/ 1963م .

(17)ـ الجـــاحظ (ابوعثمان عمرو بن بحر) ، ت 255هـ/ 886م .

البيان والتبييـــن ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1388هـ/ 1968م .

(18)ـ ابن جلجـــل (ابو داود بن سليمان) ، ت بعد 384هـ/بعد 993م 0

طبقات الاطباء والحكمـــاء ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعـــة المعهـــد العلمي

الفرنسي للاثار الشرقية ، القاهرة ، 1375هـ/ 1955م .

(19)ـ الجهشياري ، (ابوعبد الله محمد بن عبدوس) ، ت 331هـ/ 942م .

كـــتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط 1 ، مطبعـــــــة

البابي الحلبي ، القاهرة ، 1357هـ / 1938م .

(20)ـ ابن حـــزم (علي ابن محمد) ، ت 456هـ/ 1063م .

الفصل في الملل والنحـــل ، القاهرة ، 1317هـ/ 1899م .

(21)ـ الحصري القيرواني (ابو اسحق ابراهيم) ، ت 453هـ/ 1061م .

ـ زهر الاداب وثمر الألباب ، تحقيق زكي مبارك ، ط4 ، دار الجيـــل بيروت ، 1392هـ

ـ جمع الجواهر في الملح والنوادر راو ذيل زهر الاداب ، تحقيق علي محمد البجـاوي

دار احياء الكتـــب العربية ، القاهرة ، 1373هـ/ 1953م .

(22)ـ الحميـــري (محمد عبد المنعم) ت 456هـ/ 1063م .

الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكـــــتبة لبنـــا ن

بيروت ، 1395هـ/ 1975م .

(23)- ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس) ،حوالي 403هـ/ حوالي 1012
كتاب الامتاع والموانسة ، تحقيق احمد امين واحمد الزين ،
منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ، بدون تاريخ ،
(24)- خاوند مير (غياث الدين همام الدين) ،ت 914هـ/ 1507م .
- دستور الوزراء ، طبعة حجرية ، بدون تاريخ
حبيب السير ،منسوب اليه ،طبعة حجرية ،استانبول 1271هـ/ 1854م .
(25)- خرداذبة (عبيد الله بن عبد الله) ت 280هـ/ 893م .
المسالك والممالك ،تحقيق دي جويه ،ليدن ، 1306هـ/ 1889م .
(26) - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ،ت 808هـ/ 1405م .
العبر وديوان المبتداء والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من
ذوي السلطان الاكبر ،منشورات موسسة الاعلمي ،بيروت ، 1391هـ/ 1971م
المقدمة ،دار الفكر ،بيروت ، (ب ت) وط2 ،الدار التونسية
للنشر ،الموسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1404هـ/ 1984م .
(27)- ابن خلكان (شمس الدين احمد) ،ت 681هـ/ 1282م .
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،تحقيق احسان عباس ،دار صادر ، بيروت
1398هـ / 1978م .
28)- خليفة بن خياط (الليثي) ت حوالي 240هـ/ حوالي 855م .
كتاب التاريخ ، دمشق ، 1387هـ / 1967م .
(29)- الدينوري ، (ابو حنيفة احمد بن داود) ، ت 282هـ/ 895م .
الاخبار الطوال ،تحقيق عبد المنعم عامر ،ط 4 ،القاهرة ، 1380هـ 1360م
(30)- الذهبي (شمس الدين ابو عبد الله) ت 746هـ/ 1345م .
العبر في خبر من غبر ،تحقيق صلاح الدين المنجد " سلسلة
التراث العربي "، الكويت ، 1380هـ/ 1960م .

(31) - ابن الساعي (تاج الدين ابن ابي طالب) ت 674هـ/ 1271م .
نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، تحقيق
مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ب ت .
(32) - السمعاني (عبد الكريم بن محمد) ، ت 562هـ/ 1167م .
كتاب الانساب ، نشر وتقديم مرغليوث ز مطبعة المشرق ، طبعة
حجرية ، لندن ، 1331هـ/ 1912م .
(33) - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) ، ت 911هـ/ 1505م .
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 2 ،
مطبعة السعادة ، مصر ، 1378هـ/ 1959م .
(34) - الشهرستاني (ابو الفتح محمد بن عبد الكريم) ، ت 548هـ/ 1153م .
الملل والنحل ، ط 2 دار المعرفة بيروت ، 1395هـ/ 1975م .
(35) - الصولي ، (ابو بكر محمد بن يحي) ت 335هـ/ 946م .
الاوراق ، ط 1 مطبعة الصاوي ، مصر ، 1353هـ/ 1934م .
أدب الكاتب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، المكتبة العربية -
بغداد ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1341هـ/ 1922م .
(36) - الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير) ، ت 310هـ/ 967م .
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد الفضل بن ابراهيم ، ط 3 ، دار
المعارف بمصر ، 1399هـ/ 1979م . وط 1 ، المطبعة الحسينية ، القاهرة
1318هـ/ 1900م . (ج 10) .
(37) - ابن الطقطقي (محمد علي بم طباطبا) ، ت 709هـ/ 1309م .
الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، المطبعة الرحمانية
مصر ، 1345هـ/ 1927م .

(38)- ابن طيفور (ابو الفضل احمد بن ابي طاهر) ،ت 280هـ/ 893م .
بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ،مكتبة المثنى ،بغداد ،1388هـ/ 1968م .
(39)- ابن عبد ربه (ابو عمر احمد بن محمد) ،ت 328ه/ 940م .
العقد الفريد ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1402هـ/ 2982م .
(40)- ابن العبري (غريغوريوس) ت 685هـ/ 1286م .
تاريخ مختصر الدول ،دار المسيرة ،بيروت ، بدون تاريخ
(41) - ابن عساكر (ابو القاسم علي بن الحسين) ،ت 571هـ/ 1064م .
التاريخ الكبير ، تحقيق عبد القادر افندي بدران مطبعة الشام ، 1330هـ/ 1911م .
(42)- ابن العماد (ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي) ،ت 1089هـ/ 1678م .
شذرات الذهب ، في اخبار من ذهب ،تحقيق لجنة احياء التراث العربي دار الافاق الجديدة ،منشورات دار الافاق ،بيروت ،بدون تاريخ .
(43)- الغزولي (علاء الدين علي) ،ت 815هـ/ 1412م .
مطالع البدور في منازل السرور ،ط 1 ،مطبعة ادارة الوطن القاهرة 1300هـ
(44)- ابو الفداء (عماد الدين اسماعيل) ،ت 732هـ/ 1331م .
المختصر في اخبار البشر ،دار الام المعرفة ،بيروت ،بدون تغريخ .
(45)- الفردوسي (ابو القاسم) ،ت 411هـ/ 1020م .
الشاهنامة ،ترجمة الفتح بن علي البندراني ، ط1 ،مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ،1350ه/ 1932م .
(46)- ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن ابراهيم الهمداني) ،ت ؟
- مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ،ليدن ،1302هـ/ 1885م .
- بغداد مدينة السلام ،تحقيق صالح احمد العلي ،ط 1 ،بغداد ، دار الطليعة ،للطباعة والنشر باريس 1397هـ/ 1977م .
(47)- القالي (ابو علي) ،ت 356هـ/ 967م .
كتاب ذيل الامالي والنوادر ،المكتب التجاري بيروت ،بدون تاريخ .

(48)ـ ابن قتيبـــة (ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) ت 276هـ/889م •

ـ عيون الاخبار ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،نسخة مصورة عن الطبعة دار الكتب المصـــرية ،1393هـ/ 1925م •

ـ المعارف ،تحقيق ثروة عكاشة ،ط 2 ،دار المعارف ،القاهرة 1388هـ/1969

ـ الشعر والشعراء ،وقيل طبقات الشعراء ،مطبعة بريل ، ليدن ،1320هـ/1902

ـ ادب الكاتب ،تحقيق محمد محي الدين ،ط4 ،مطبعة السعادة ، مصــــر 1382هـ / 1963م •

ـ الامامة والسياسة ، (منسوب اليـــه) ،ط3 ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ، 1382هـ/ 1963م •

(49)ـ القزوينـــي (زكريا بن محمد) ،ت 682هـ/ 1283م •

كتاب آثار البلاد ، نشر فرديناند وستنفلدن ،بريل ، 1368هـ/1948م •

(50)ـ القلقشنـــدي (احمد بن علي) ،ت 82هـ/ 1417م •

ـ مآثر الاناقة في معالم الخلافة ،تحقيق عبد الستار الفراج ،ط 2 ،عالـــم الكتب ،بيروت ، 1400هـ/ 1980م •

ـ صبح الاعشى في صناعة الانشاء ،المؤسسة المصرية العامة للتاليــــف والترجمة ، القاهـــرة ، 1383هـ/ 1963م •

(51)ـ القمـــي (الشيخ عباس القمي) ،ت ؟ ،

الكنى والالقـــاب ،المطبعة الحيدرية ،النجف ،1376هـ/ 1956م •

(52)ـ الكتبـــي (محمد بن شاكر بن احمد) ،ت 764هـ/ 1355م •

فوات الوفيات ،تحقيق احسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت ،1393هـ/ 1973م •

(53)ـ ابن كثير (عماد الدين ابو الفداء) ،ت 774هـ/ 1372م •

البداية والنهاية ، ط 1 ،مكتبة المعارف ،بيروت ، والرياض ،1386/ هـ

(54)ـ الماوردي ، (ابو الحسن علي بن محمد) ، ت 450هـ/ 1058م •

ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1398/ هـ

ـ قوانيـــن الوزارة وسياسة الملك ،تحقيق رضوان السيـــــد ، ط 1 ، دار الطليعة ،بيروت ، 1399هـ/ 1979م •

(55) ـ المبرد (ابو العباس محمد بن زيد) ، ت 286هـ/ 899م •

ـ كتاب الفاضل ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، دار النهضة ، 1371هـ/ 1956م •

ـ كتاب الكامل في الادب ، تحقيق محمد ابو الفضل ، والسيد شحاتة ، دار النهضة ، مصر ، بدون تاريخ •

(56) ـ لمؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي) •

تاريخ الخلفاء ، نسخة مصورة عن مخطوطة وحيدة في موسكو ، سلسلة آثار الاداب الشرقية ، دار النشر " العلم " ، موسكو ، 1387هـ/ 1967م •

(57) ـ لمؤلف مجهول

العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1288هـ/ 1871م •

(58) ـ المرتضى (الشريف علي بن الحسين) ، ت 436هـ/ 1044م •

امالي المرتضى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1387هـ/ 1967م •

(59) ـ المرزباني (ابو عبد الله محمد) ، ت 384هـ/ 993م •

معجم الشعراء ، تحقيق كرنكو ، مكتبة القدس ، القاهرة ، 1354هـ/1935م •

(60) ـ المسعودي ، (ابو الحسن علي) ، ت 346هـ/ 1054م •

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط 3 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1377هـ/ 1958م •

ـ التنبيه والاشراف ، لجنة تحقيق التراث ، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت ، 1401هـ/ 1981م •

ـ اخبار الزمان ، ط 2 ، دار الاندلس ، بيروت ، 1386هـ/ 1966م •

(61) ـ ابن المعتز (عبد الله ابو محمد المعتز بالله) ، ت 296هـ/ 909م •

طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار الفراج ، ط 3 ، دار المعارف مصر ، 1375هـ/ 1966م •

(62) - المقدسي (المطهر بن طاهر) ،507هـ/ 1113م.

البدأ والتاريخ ، ط 2 ، مكتبة الازدي ، طهران ، 1386هـ/ 1966م.

(63) - المقدسي (المعروف بالبشاري) ، ت 380هـ/ 990م.

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق ديجويه ، ط 2 ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1324هـ/ 1906م.

(64) - المقريزي (احمد بن علي) ت 845هـ/ 1442م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار التحرير القاهرة ، بت ،

- المقفى ، مخطوط ، نسخة مصورة ، مكتبة دكتور سهيل زكار ، الخاصة .

(65) - المقري (احمد بن محمد) ، ت 1041هـ/ 1631م.

نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

(66) - ميرخاوند (محمد بن خاوند شاه) ، ت 903هـ/ 1497م.

تاريخ روضة الصفا ، بالفارسية ، طبعة حجرية ، اسطانبول ، 1271هـ/1854

(67) - ابن النديم ، (ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب) ت 236هـ/ 850م.

كتاب الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، 1391هـ/ 1971م.

(68) - النويري (شهاب الدين احمد) ت 733هـ/ 1333م.

نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1375هـ/ 1955م

(69) - وكيع (محمد بن خلف) ، ت 306هـ/ 918م.

اخبار القضاة ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي ، ط 1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1366هـ/ 1947م.

(70) - ابن الوكيل (يوسف بن محمد) ، بعد 1144هـ/ بعد 1702م.

احسن المسالك لأخبار البرامك ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ، قسم المخطوطات العربية ، رقم 2107.

(71) - اليافعي ، (ابو محمد بن عبد الله) ، ت 768هـ/ 1366م.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط 2 ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1390هـ/ 1970.

(72) ـياقوت الحموي (شهاب الدين ابي عبد الله) ،ت628هـ/1144م .

معجم البلدان ،دار صادر، بيروت 1399هـ/1979م .

(73) ـ يحي بن آدم (القرشي) ،ت 203 هـ/818م .

كتاب الخراج ،تحقيق احمد محمد شاكر ،المكتبة العلمية ،بكستان

لاهور ،1395 هـ/1975م .

(74) ـ اليعقوبي (احمد بن اسحق ،ت 284 هـ/897م .

ـ كتاب البلدان ،مطبعة بريل ،ليدن ،1309هـ/1891م .

ـ مشاكلة الناس لزمانهم ،تحقيق وليم ميلورد ، ط2،

دار الكتاب الجديد ،بيروت ،1400هـ /1980م .

ـ تاريخ اليعقوبي ،دار صادر ،دار بيروت ،1379هـ /1960م .

(75) ـ ابو يوسف (ابو يعقوب بن ابراهيم) ،ت 182هـ /798م .

كتاب الخراج ،ط3 ،المطبعة السلفية ،القاهرة

1382هـ /1962م .

ثانيا : المراجع :

(1) - ابراهيم علي طرخان ،

نظام الاقطاع الاسلامي في العصور الوسطى الى نهاية العصر الايوبي ، رسالة جامعية قدمت لكلية الاداب ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1369هـ/1949م .

(2) - ادوارد بروي ،

تاريخ الحضارات ، ط5 ، بيروت ، 1387هـ/1967م ،

(3) - ارثر كريستنسن ،

ايران في عهد الساسانيين ترجمة يحي الخشاب ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ، 1377هـ/1957م .

(4) - احمد امين ،

ضحى الاسلام ، ط8 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1392هـ/ 1972م .

فجر الاسلام ، ط11 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1395هـ / 1970م .

(5) - احمد زكي ،

جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، ط1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1356هـ/1937م .

(6) - احمد عادل كمال ،

جداول التقويم الميلادي المقابل للتقويم الهجري ، ط1 ، دار النفائس بيروت ، 1400هـ/1980م .

(7) - احمد الشايب ،

تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري ، ط2 ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1373هـ/ 1953م .

(8) - احمد محمود حسنين ،

رسالة في تاريخ هارون الرشيد ، دراسة جامعية قدمت لجامعة الازهر ، 1346هـ/1927م ، مكتبة كلية الاداب ، قسم الرسائل ، رقم 8099 .

(9) - احمد مختار العبادي ،

في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1392هـ/ 1972م .

(10) - احمد مختار العبادي ، السيد عبد العزيز سالم ،
في تاريخ البحرية الاسلاميةفي مصر والشام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر
بيروت ، 1401هـ / 1981 م .

(11) - د. امينة محمدعلي بيطار ،
الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية
وحتى الفتح الفاطمي ، رسالة جامعية ، قدمت لكلية الاداب قسم التاريخ
جامعة القاهرة ، 1395هـ / 1975 م .

(12) - انيس المقدسي ،
امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ط1 ، المطبعة الادبية
بيروت ، 1351هـ / 1932 م .

(13) - بارتولد شبولر ،
تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، ط4 ، دار المعارف بمصر
1386هـ / 1966 م .

(14) - بدوي عبد الرحمن ،
التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، (ترجمة لدراسات كبار المستشرقين) ،
ط4 ، نشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، و دار القلم بيروت ، 1400 / هـ

(15) - بلياييف (اي ، أ) ،
العرب والاسلام والخلافة العربية ترجمة انيس فريحة ، ط1 ، الدار المتحدة للنشر ،
بيروت ، 1392هـ / 1972م .

(16) - توفيق سلطان اليوزبكي ،
الوزارة (نشاتها وتطورها في الدولة الاسلامية ، 132-447هـ) ط2 ، موسسة
دار الكتب جامعة الموصل (العراق) ، 1396هـ / 1976 م .

(17) - ثريا حافظ ،
الخرسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الاول . ط1 ، المملكة
العربية السعودية ، جدة ، 1402 هـ / 1982 م .

(18) - جاســــم آل كلـــــكاوي ،
البرامكة والعلويـــــــون،مطبعة آل البيت ،كربلاء، 1384هـ /1965م ٥

(19) - جرجــــي زيدان ،
تاريـــخ التمدن الاسلامي ،القـــاهرة، بدون تاريــــــخ .

(20) تـــاريخ الادب ،تحقيـــق شوقي ضيف،دار الهلال ،القاهرة ،بدون تاريـــخ .
العباســــة ،سلسة روايات تاريخ الاسلام ،دار الهلال ،دار مكتبـــة الحياة ،
بيروت ،بـــدون تاريـــــخ .

(20) - جميل نخلـــــلة المدور،
حضارة الاسلام في دار الاسلام ،ط2 ،مطبعة المؤيد ،مصـــر، 1323هـ/1905م .

(21) - جواتـــيان (س. د) ،
دراسات في التاريخ الاسلامـــي والمنظـــم الاسلامـــية ،ترجمة عطية القـــوصي ،
وكـــالة المطبـــوعات الكويت، 1400هـ /1980م .

(22) - حسن ابراهيم حســـن ،
تاريـــخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الاول ،
ط7 ،مكتبة النهضـــة المصـــرية ، 1384هـ/1964م .

(23) - حسن احمد محمــــود واحمد ابراهيم الشريف،
العالم الاسلامي في العصر العباسي ،ط3 ،دار الفكر العربي ،القاهرة، 1393/هـ

(24) - حســـن خطاب الوكيـــل ،
غبرة في ايام الرشيـــد ط1 ،مطبعة الجمالية ،مصـــر، 1332هـ/1914م .

(25) - الخضري محمد بـــك،
محاضرات تاريخ الامـــم الاسلامية ،الدولة العباسية ،ط10 ،مطبعة الاستقامة ،
القاهـــرة ، بدون تاريـــــخ .

(26) - خير الدين الزركـــلي ،
الاعـــلام (قاموس تراجـــم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و
المستـــشرقيـــن) ،ط5 ، دار العلم للملايين ،بيروت ، 1400 هـ/1980م .

(27) ــ دانيـــال دينيت،
الجزية والاسلام ،ترجمة فوزي فهيم جاد اللهمنشورات دار مكتبة الحياة،مؤسسة فركلين ،بيروت، بدون تاريخ .
(28) ــ دومنيك سورديل جانين ،
الحضارة الاسلامية في عصرها الذهبي ،ترجمة حسني زينة ،ط4، المكتبة التاريخية ،دار الحقيقة ،بيروت، 1400هـ/1980 م .
(29) ــ رمزية محمد الاطرقجي ،
بناء بغداد في عهد ابي جعفر المنصور،رسالة جامعية ،قدمت لجامعة عين شمس، مكتبة الجامعة رقم ، 1271ــ16754 .
(30) ــ زمباور،
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي،مطبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة، 1371هـ / 1951م .
(31) ــ سامية توفيق عبد الله ،
تطور نظام الوزارة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة جامعية قدمت لجامعة القاهرة، 1399 هـ/1979م ،مكتبة الجامعة قسم الرسائل رقم 0917 .
(32) ــ سامية توفيق عبد الله،
الحياة السياسية في خراسان في بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،رسالة جامعية قدمت لجامعة القاهرة ،مكتبة الجامعة ، قسم الرسائل رقم 02974 .
(33) ــ سامية محمود ابراهيم نصار،
الحركات المناهضة للخلافة العباسية في الشرق اسلامي منذ قيامها حتى اوائل القرن الثالث الهجري ،رسالة جامعية قدمت لجامعة القاهرة 1403هـ/1983م مكتبة الجامعة قسم الرسائل رقم 3782 .

(34) السيد احمد ابراهيم حمور،
هرون الرشيد وعصره بين حقائق التاريخ وشائعات المغرضين، رسالة جامعية قدمت لجامعة الازهر 1389هـ/1969م .. مكتبة الجامعة، قسم الرسائل، رقم 159/165 .

(35) سهيل زكار،
تاريخ العرب والاسلام منذ ماقبل الاسلام وحتى القرن السابع الهجري، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، 1401هـ / 1981م .

(36) سليمان محمد الطاوي،
عمر بن الخطاب واصول السياسة والادارة الجديدة دار الفكر مصر بدون تاريخ .

(37) شكري فيصل،
المجتمعات الاسلامية في القرن الاول الهجري ط4، دار العلم للملايين بيروت، 1398هـ / 1978م .

(38) شكري ابو خليل،
هرون الرشيد، ط3، دار الفكر، دمشق، 1401هـ/1981م .

(39) شوقي ضيف،
الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط10، دار المعارف، مصر، 1398هـ/1968م

(40) ضيف الله بطانية،
العلاقات بين العباسيين والعلويين في العصر العباسي الاول، رسالة جامعية قدمت لجامعة الازهر، 1393هـ/1973م، رقم 1175 .

(41) صالح محمود سليمان صالح،
الشعوبية واثرها في الشعر العربي رسالة جامعية قدمت لجامعة الازهر، مكتبة الجامعة قسم الرسائل رقم 628 .

(42) صبحي الصالح،
النظم الاسلامية (نشأتها وتطورها)، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ/

(43) — طاهر مظفر العميد ،

بغداد مدينة المنصور المدوّرة ، مطبعة النعمان ، النجف بغداد ، 1387/هـ

(44) عبد الجبار الجومرد ،

هرون الرشيد (دراسة تاريخية اجتماعية) مطبعة دار الكتاب ،

بيروت ، 1376هـ/1956 م

(45) — عبد الرحمن العمري ،

اثر الفرس السياسي في العصر العباسي الاول وسالة جامعية قدمت

لجامعة الازهر ، 1397هـ/1977م قسم الرسائل ، رقم 1349/1247 .

(46) — عبد العزيز الدوري ،

الجذور التاريخية للشعوبية ، ط3 دار الطليعة بيروت ، 1401هـ/1981

مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ط2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1381هـ/1961

(47) — عبد اللطيف الطيباوي ،

محاضرات في التاريخ العرب والاسلام دار الاندلس بيروت ، 1382هـ/1963م

(48) — عبد الله فياض ،

تاريخ البرامكة ، مطبعة الرشيد ، بغداد ، 1367هـ / 1948 م .

(49) — عبد الله مهدي الخطيب ،

الحكم الاموي في خراسان (دراسة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ،

رسالة جامعية قدمت لجامعة الازهر مكتبة الجامعة ، قسم الرسائل ،

(50) — عبد المنعم ماجد ،

تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة الرسالة

القاهرة ، 1382هـ /1963 م .

العصر العباسي الاول او القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسين ،

(التاريخ السياسي) ، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1399 هـ/1979م .

الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى ط2 ، دار

الفكر العربي القاهرة ، 1387هـ/1967 م .

(51) عدنان مردم بك،
العباسة، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1388 هـ/1968 م.
(52) عزيز اباظة،
العباسة، دار المعارف، مصر، 1385هـ/1965 م.
(53) عمر رضا كحالة،
اعلام النساء في عالمي العروبة والاسلام، ط2، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1378هـ/1959م.
(54) عمر فاروق،
طبيعة الدعوة العباسية، ط1، دار الارشاد، 1389هـ/1970م.
بحوث في التاريخ العباسي، ط1، دار القلم، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، 1397هـ/ 1977 م.
ابو نواس، مطبعة الكشاف، بيروت، 1351 هـ/ 1933م.
(55) عمر محمد سعيد موعد،
نظم بلاط العباسيين ورسومه في بغداد (132-656هـ) رسالة جامعية قدمت لجامعة عين شمس، قسم الرسائل رقم 19142.
(56) فائق مصلح،
طبقات المجتمع العراقي في العصر العباسي الاول، رسالة جامعية، قدمت لجامعة عين شمس، 1391 هـ/ 1971م، قسم الرسائل، رقم 17398/7393
(57) فان فلوتن،
السيادة العربية والشيعة والاسرائليات في عهد بني امية، ترجمة، حسن ابراهيم ومحمد زكي ابراهيم، ط2، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1385هـ/1965م
(58) فتحي عبد الفتاح ابو يوسف،
احوال خراسان السياسية والحضارية من سقوط الطاهريين حتى بداية الحكم الغزنوي، (259 - 389 هـ)، رسالة جامعية قدمت لجامعة عين شمس، 1401 هـ/1981م، قسم الرسائل رقم 25662-25664.

(59) — فليب حتي ،

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، ط 2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1392 هـ / 1972 م .

(60) — كارل بروكلمن ،

تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس و منير البعلبكي ، ط7 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1397 هـ / 1977 م .

تاريخ الادب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط4 ، دار المعارف القاهرة ، بدون تاريخ .

(61) — كلود كاهن ،

تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامراطورية العثمانية ترجمة بدر الدين القاسم ، ط2 ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1397 هـ / 1977 م .

(62) — محمد احمد برانق ،

البرامكة في ظلال الخلفاء ، دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ .

(63) — محمد امين غالب الطويل ،

تاريخ العلويين ، ط3 ، دار الاندلس ، بيروت ، 1399 هـ / 1979 م .

(63) — محمد بديع الشريف ،

الصراع بين الموالي والعرب ، دار الكتاب العربي ، مصر ، 1374 هـ / 1954 .

(64) — محمد توفيق خفاجي ،

تطور النظم الادارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي الى نهاية القرن الرابع ، رسالة جامعية ، قدمت لجامعة القاهرة ، 1386 هـ 1966 م ، مكتبة الجامعة ، قسم الرسائل رقم 539 .

(65) — محمد جابر عبد العال الحيني ،

حركات الشيعة المتطرفين واثرها في الحياة الاجتماعية والادبية لمدن العراق . ابان العصر العباسي الاول ، ط2 ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1387 هـ / 1967 م .

(66)- محمد جمال الدين سرور ،

الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة ،ط4 ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1393هـ/ 1973م .

(67)- محمد سفر الزهراني ،

نظام الوزارة في الدولة العباسية ، موسسة الرسالة ،الرياض،1400هـ/1980

(68)- محمد ضياء الدين الريس ،

الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط4 ، دار الانصار ،القاهرة ، 1397هـ/ 1977م .

(69)- محمد فؤاد عبد الباقي ،

المعجم المفهرس للألفاظ القرآن ،مطبعة دار الكتاب المصرية القاهرة ، 1384هـ/1964م .

(70)- محمد عبد الحي محمد شعبان ،

الدولة العباسية (الفاطميون) ،دار الأهلية ، بيروت ، 1401هـ/ 1981م .

(71)- محمد عبد الرحيم الصديقي ،

النبراس ،ط1 ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، 1384هـ/ 1964م .

(72)- محمد عبد السلام الكفافي ،

في ادب الفرس وحضارتهم (نصوص ومحاضرات) ، دار النهضة العربية ،بيروت ، 1391هـ/ 1971م

73)- محمد علي نصر الله ،

تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام ، ط1 ،دار الحداثة ،بيروت ،1402هـ

(74)- محمد عمارة ،

المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية ، الموسسة العربية للدراسة والنشر بيروت ، 1392هـ/ 1972م .

(75)- محمد كرد علي ،

امراء البيان ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، بيروت ، 1356هـ/7

(75)- محمـــد كرد علي ،

امراء البيـــان ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1356/هـ

رسائل البلغاء ،مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،1326/ هـ

(76)- محمد ماهر حمادة ،

المصادر العربية والمعربة ، موسسة الرسالة ، بيروت ، 1392هـ/ 1972م .

الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الاول ، ط 2 ،

موسسة الرسالة ، بيـــــــروت ، 1401هـ/ 1981م .

(77)- محمد محمد شمس الدين ،

رسالة في تاريخ هرون الرشيد ،دراسة قدمت لجامعة الازهر ،1349/ هـ

1930م ،مكتبة الجامعة قسم الرسائل رقم 81.00 .

(78)- محمد محمـدي ،

الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الاسلامية الاولى ، منشورات اللغة

الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية ،بيروت ،1384هـ/ 1964م .

(79)- محمد مصطفى هدارة ،

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجـــري ،ط 2 ، دار المعارف

مصـــــر ،1389هـ/ 1969م .

(80)- موريس لومبار ،

الاســـــلام في مجده الاول (القرن 8م- 11م / 2هـ- 5هـ) ، ترجمـــة

وتعليق اسماعيل العربي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1399/هـ

(81)- موسى سانـــــت،

ميــــلاد العصور الوسطى ،ترجمة حسين مونس ،محمود يوســـــــــف

زايـــــــد ،ط 2 ،دار القومية ،القاهرة ،1377هـ/ 1957م .

(82)- نورمان بينيـــــز،

الامبراطورية البيزنطيـــة ، ترجمة حسين مونس محمود يوسف زايد ،ط 2

الدار القوميـــة ،القاهرة ،1377هـ/ 1957م .

(83) — هاملتون جيـــــب ،

دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس وآخرون ، دار العلـــــم للملايين ، بيروت ، 1384هـ/ 1964م .

(84) — يوليوس فلهوزن ،

تاريـــخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الامويـــة ترجمة ، محمد عبد الهادي ابو ريدة ، القاهرة ، 1378هـ/ 1958م .

ثالثا : الدوريات

(أ)_ العربية :

(1)_ ابراهيم امين الشواربي ،

(مصادر فارسية في التاريخ الاسلامي) ، مجلة كلية الاداب ،ج 7 ، (1364/ 1944م ،القاهرة) .

(2)_ انستانس الكرملي ،

(السن او اثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة) ،مجلة المشرق عدد 10، (1325هـ/ 1907م ، بيروت) .

(3)_ صالح احمد العلي ،

(استيطان العرب في خراسان) ،مجلة كلية الاداب ،(1379هـ/1959م بغداد) .

(4)_ عبد العزيز الدوري ،

(ماساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الآخيرة في دراسة التاريخ العربي حتى سنة 334هـ/) ،مجلة الابحاث ،عدد 12، (1379هـ/ 1959 بيروت)

(ضوء جديد على الدعوة العباسية) ،مجلة كلية الاداب ، (1381هـ / 1961م ، بغداد) .

(5)_ عبد العزيز حميد ،

المسكوكات المزيفة في العصر العباسي) ،مجلة كلية الاداب ،عدد 22، (1398هـ/ 1978م بغداد) .

(6)_ عبد الكريم البليخ ،

(الرقة ،مدينة الرشيد التي تغنى بها الشعراء) ،مجلة الدوحة ،عدد 69، 1404هـ/1984م قطر) .

(7)_ عمر فاروق ،

(مصادر التاريخ الاسلامي) ،مجلة المكتبة ،عدد 62(1388هـ/ 1968 بغداد) .

(7) ـ عـــمر فاروق ،

(نصوص تاريخية ساعد اكتشافها على اعادة الثورة العباسية) ،مجلة كليـــة

الاداب ، (1388هـ/ 1968م الرياض) •

الثورة العباسية ثورة عربيه) ،مجلة الشرطة ،عدد / 19/ 20، (1391هـ/

1971م ، بغـــداد) •

(يعقوب بن داد و وزير الخليفة المهدي) ، مجلة كلية الاداب ،(1388هـ /

1968م ،بغـــداد) •

(8) ـ فريـــال داود المختار ،

دور الطرز في مدينة الاسلام) ،مجلة المورد ،عدد 3 (1394هـ/ 1974

بغـــداد) •

(9) ـ لويس شيخـــو ،

(كتب عن البرامكة) مجلة المشرق ،جـ1 ،(1316هـ/ 1898م ،بيروت) •

(10) ـ محمد بهجت الاثري ،

(الفضل بن الربيـــع) ،مجلة الجيل ،عدد 10(404=هـ/ 1984م ،بيروت)

(11) ـ محمد سعيد رضا ،

(الاثار السياسية والاجتماعية لنظلم المصادرات في العصر العباسي) ،مجلة

كلية الاداب ،عدد 12(1397هـ/ 1977م ،البصرة) •

(12) ـ محمـــد كرد ،

(سهل بن هرون) ،مجلة المجمع العلمي العربي ،مجلد 7 جـ1 (1346هـ/

1927م ، دمشـــق) •

(13) ـ محمد ماهر حمادة ،

(المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة) ،مجلة كلية اللغة العربية ،

عدد 9 (1399هـ/1979م ،السعوديـــة) •

(14) ـ نبيـــه عاقل ،

بعض احداث الدولة العباسية والدور العباسي الاول من خلال منظور عنصري

واقتصادي واجتماعي) ،مجلة دراسات تاريخية ،عدد 4 (1401هـ/ 1981م ،دمشق) •

- دائرة المعارف الاسلامية (1)

(استعنت بمقالات بعض المؤرخين ومنهم

1- اوستروب OESTRUP . "(ابو العتاهية) ، جـ1 ، ص377-378 .

2- بارتولد BARRTOLD (ابو مسلم الخراساني) ، جـ 1 ، ص403- 404 .

3- بخنر BICHNER (الساسانيون) ، جـ 11 ، ص 47-55 .

4- بروكلمان BROKHELMAN (ابن خلكان) ، جـ 1 ، ص 157- 158 .

= = (ابونواس) جـ1 ، ص 413- 415 .

4- جولد زهير GOLDZHER (اهل الذمة) ، جـ 3 ، ص 106- 9 ج 10

7- رينه باسيه RENèe,B (ادريس العلوي) جـ 1 ، ص 544-545 .

8- ستريك STERCK (ارمينيا) جـ 1 ، ص 637-671 .

9- سير بولد SYRPOLD (بنو سراج) جـ 11 ، ص 333 .

10- شادا SCHAADA (ابوشيص) جـ 1 ، ص 259-200 .

.... وغيرها

---

(1) ترجمة لجنة من الاساتذة ، القاهرة 1352هـ / 1933م .

رابعاً المراجع الأجنبيــة :-

1) AMAR DHINA,
GRANDS TOURNANTS DE L'HISTOIRE DE L'ISLAM DE LA BATAILLE DE BADR A L'ATTAQUE D'ALGER PAR CHARLES QUINT ,deuxième édition, S.N.E.D ALGER 1982

2) BERNARD LEWIS,
LES ARABES DANS L'HISTOIRE,traduit de l'anglais par ANNIE MESRITZ ,A LA BACONNIERE,NEUCHATEL SUISE,distribué en FRANCE par la société Française du livre PARIS - 7

3) BLANCHERE (R),
HISTOIRE DE LA LITTERATURE ARABE PARIS, 1958.

4) BOUVAT(L) ,
LES BARMACIDES D'APRES LES HISTORIENS ARABES ET PERSANS ,PARIS, 1912.

5) BROWN LIIERARY HISTORY OF PERSIA , LONDON-LEPCIX 1909.

6) CHARLES PELLAT,
IBN AL-MUQAFFA CONSEILLEUR DU CALIF, MAISONNEUVE ET LA ROSE, PARIS, 1976.

7) DOMINIQUE SOURDEL,
1) HISTOIRE DES ARABES,deuxième édition corrigée, QUE SAIS-JE? , PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE, 1984.

2) LE VISARAT ABBASIDE DE 749 à 936 INSTITUT FRANCAIS. DAMAS 1959 -60.

8)DOZY , ESSAI SUR L'HISTOIRE DE L'ISLAMISME,TRADUIT PAR CHAUVIN 1879 LEYD - PARIS.

9) GABRIEL AUDISO,
LA VIE DE HAROUN-AL RACHID,7ième édition LIBRAIRIE GALLIMARD,1930 .

10) FRANCESCO GABRIELI,
LES ARABES,traduit par MARIE DE WASTER BUCHET- CHASTEL, Paris 1963.

11) LA HARPE, LE BARMACIDE, TRAGEDIE ,PARIS 1878

12) LA VOIX (M.HENRI). CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE NATIONALE,PARIS 1887.

13) NIKITA ELISSEFF,L'ORIENT MUSULMAN AU MOYEN AGE 622-1260 ARMAND COLIN,COLLECTION U PARIS 1977.

14) RENE GROUSSET,LES CIVILISATION DE L'ORIENT les éditions G. PARIS, 1929.

15)ROBERT FOSSIER, LE MOYEN AGE(les Mondes Nouveaux350-950) EDITEUR,ARMAND COLIN,PARIS 1982.

16) Ssheffer(ch), NOTICE SUR L'HISTOIRE DES BARMACIDES, (CHRESTOMATHIE PERSANE) PARIS, 1885.

17) CLAUD CAHEN, POINT DE VU SUR LA REVOLUTION ABBACIDE) REVUE HISTORIQUE, (1963 , PARIS).

18) DOMINIQUE SOURDEL,(La biographie d'Ibn AL MUKAFFA'd'après les sources ancienne),BARAMICA, T1(1954)

19)QUATREME ET MARC,

(Notes sur les Barmacides),JOURNAL ASIATIQUE 5iéme SERIE , N°17 (1861. PARIS).

20) MOSCATI,

(LE CALIFAT D'ALHADI),REVUE,STUDIA ORIENTALIA N°13 , T4 (1946)

21) NADVI (S.S.),

(THE ORIGIN OF THE BARMACIDE),ISLAMIC CULTUR N° 6 (1932).

22)VAJDA,

(LES ZINDIQS EN PAYS D'ISLAM AU DEBUT DE LA PERIODE ABBASSIDE), R.O.5 (REVISTA DEGLIS STUDIO ORIENTALI), T.17 (1938).

فهرست الأعلام والأماكن

اولا ، الاعـــــــلام

تغري بردي (ابن)، (مؤرخ)، ص87، 96، 102، 110، 111، 118، 120،
122، 126، 130، 131، 132، 137، 151، 157، 160،
256، 281، 284، 291.

الجاحظ (كاتب)، ص5، 299، 318.

الجهشيلري (مؤرخ)، ص 11، 29، 61، 77، 82، 87، 89، 90، 93، 95،
98، 99، 100، 101، 110، 113، 129، 130، 132، 140،
141، 145، 148، 150، 152، 153، 157، 160، 162، 3،
168، 170، 173، 176، 178، 179، 182، 185، 187،
188، 189، 190، 195، 197، 206، 210، 235، 244، 250
256، 257، 265، 266، 278، 283، 286، 288، 289، 293.

جعفر (البرمكي)، ص 2، 4، 6، 9، 13، 19، 22، 23، 24، 26، 27،
30، 137، 138، 140، 145، 146، 147، 149، 153، 156،
157، 170، 173، 174، 175، 176، 191، 192، 194، 213،
214، 250، 256، 269، 271، 274، 275، 276، 277، 278،
280، 283، 284، 285، 289، 290، 291، 293، 299،
303، 304، 308، 317، 321، 324، 325.

ابو جعفر (خليفة عباسي)، ص19، 37، 41، 90، 94، 96، 97، 99، 100،
102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 117،
129، 132، 149، 234، 236، 237، 252، 278، 282.

خالد (البرمكي) ص 2، 18، 19، 20، 23، 37، 41، 60، 63، 67،
70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81،
82، 84، 86، 87، 88، 89، 99، 91، 92، 93، 95، 97، 99،
100، 102، 103، 104، 105، 106، 106، 107، 108،
109، 177، 212، 213، 214، 220، 233، 234، 235، 236،
237، 238، 299، 306، 307، 309، 312، 319.

ثانيـــا : الاماكـــــن :

ثالثا :الشعوب والمصطلحات

---

(1) الخلافة العباسية، ص2، 3، 6، 7، 8، 10، 12، 19، 22، 23، 29، 39، 42، 57، 58، 63، 69، 81، 82، 87، 89، 90، 93، 95، 96 .

ملخص باللغة الفرنسية

الفهرست